مركز البحوث والدراسات

الحوار

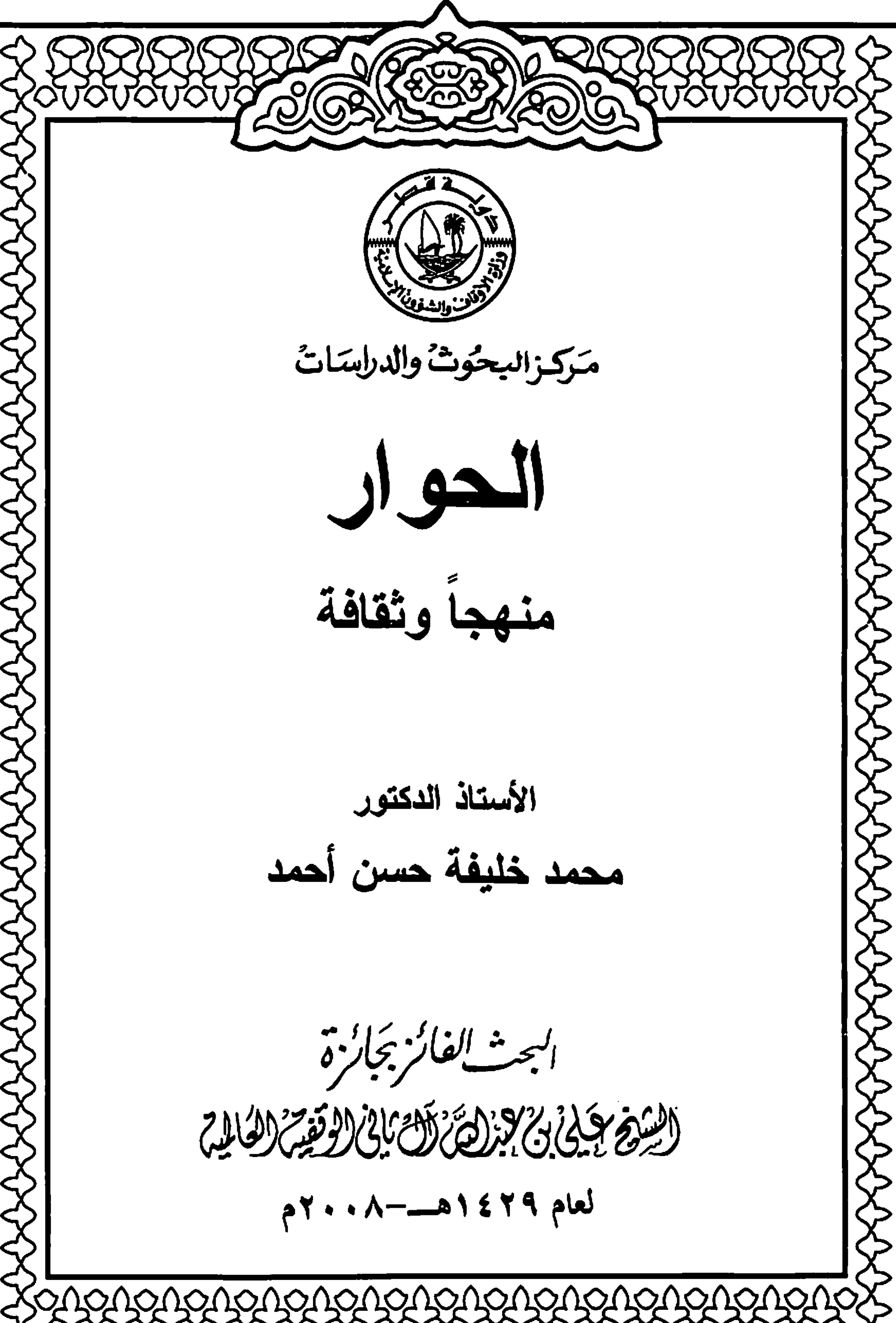
منهجاً وثقافة

أ. د. محمد خليفة حسن أحمد

البحث الفائز بجائزة

الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية

لعام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م



مركز البحوث والدراسات

الحوار

منهجاً وثقافة

الأستاذ الدكتور

محمد خليفة حسن أحمد

البحث الفائز بجائزة

الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية

لعام ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٩هـ - تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٨م

محمد خليفة حسن أحمد

الحوار منهجاً وثقافة

الدوحـة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٨م.

٢٤٨ ص، ٢٤سم

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٧١٦ / ٢٠٠٨

الرقم الدولى الموحد للكتاب: ٧ - ١٥ - ١٤ - ٩٩٩٩٢١

جائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية

هاتف : ٤٤٤٧٣٠٠/٤٣٠٩١٠١ - فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢

ص.ب: ٨٩٣ - الدوحة

موقعنا على الإنترنت : www. sheikhali-waqfiah.org.qa
www.Islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

يقول تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

محمد خليفة حسن أحمد

* من مواليد جمهورية مصر العربية (١٩٤٣م).

- دكتوراه في الآداب جامعة تيمبل ١٩٧٦م تخصص تاريخ الأديان.

- عمل أستاذ مقارنة الأديان في كلية الآداب (جامعة القاهرة).

- يعمل حالياً في الجامعة الإسلامية في إسلام آباد باكستان.

* **تولى العديد من الوظائف العلمية والإدارية منها:**

- وكيل كلية الآداب جامعة القاهرة: ١٩٩٩- ٢٠٠٢م.

- مدير مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٩٩٢م — ١٩٩٥م.

- مدير مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة: ١٩٩٧- ٢٠٠٤م.

- عضو في العديد من الجمعيات العلمية والاتحادات والمجالس المتخصصة.

- للفائز (٤٤) بحثاً مطبوعاً في مجالات ومناسبات علمية متعددة، ولدية بعض الأبحاث في اللغة الإنكليزية.

تقديم

أحمد بن عبد الله غراب المري

وزير الأوقاف والشـؤون الإسـلامية

الحمد لله، الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي أكرمنا بمهمة دعوة الناس إلى الخير، وإلحاق الرحمة بهم، وأقدرنا على الاضطلاع بهذا العمل الكبير، فالأعمال تشرف بشرف مقاصدها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

والصلاة والسلام على المنقذ من الضلال، الذي أخرج العالم من الظلمات إلى النور بدعوته الناس إلى الإيمان بالله والالتزام بشرعه والانعتاق من تسلط الإنسان على الإنسان بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، استجابة لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥)، وقوله: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق:٤٥) القائل: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس.

وبعد:

فهذا «**الكتاب السابع**»: « **الحوار منهجاً وثقافة**»، للدكتور محمد خليفة حسن أحمد، في سلسلة إنجازات «**جائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية**»، وقد لا نكون بحاجة إلى تأكيد أهمية ودقة هذا الإنتاج المقدور، ودوره في البناء الذهني والثقافي لعالم المسلمين، وتأهيلهم للتعامل مع حقبة العولمة، وانفتاح العالم على

بعضه، وإلغاء القيود والسدود والحدود، وتبدل عوامل تشكيل الأمم، وبروز الجغرافيا الثقافية والحضارية للعالم، حيث المعركة اليوم معركة مبادئ وأفكار، الأمر الذي يشكل الفرصة الذهبية أمام المسلمين، إذا كانوا بمستوى إسلامهم وعصرهم، ويتطلب التمكن من الأدوات والآليات المطلوبة للاضطلاع بمهمة الحوار الحضاري، والتعايش الإنساني، وبناء المشترك البشري، والقدرة على إزالة الحواجز النفسية المتراكمة والصور المشوهة عن الإسلام، وتوصيل الإسلام، كخطاب إنساني لكل الناس، بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار والجدال بالتي هي أحسن، بعيداً عن الانغلاق والتعصب والغلو والتطرف والقسر والإكراه.

فلقد كرم الله بني آدم، ولعل من أعلى خصائص التكريم توفير حرية الاختيار وإزالة العوائق والموانع التي تحول بين الإنسان وبين اختياره؛ لأن المسؤولية هي فرع الحرية، فلا مسؤولية بدون حرية، ولا تدين صحيح بلا حرية اختيار.

لذلك فالإيمان، الذي يعتبر أعلى أنواع الاختيار هو قناعة أولاً وقبل كل شيء، فالله تعالى يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦)، والقناعة لا تتحقق إلا بالدليل والبرهان، لذلك كان مرتكز الدعوة إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وشعارها قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة:١١١). فالإيمان ثمرة النظر والتفكير والاستدلال، وبناء الإيمان يتطلب حسن القيام بمهمة الدعوة وممارسة المجادلة والمحاججة والمثاقفة والمناظرة والمحاورة.

لذلك فإن انطلاق مبدأ الحوار إنما يكون من الإيمان ابتداءً بالحرية والاختيار الإنساني في الوجهة والاعتقاد، والاقتناع بأن التنوع في الخلق حقيقة وواقع، وأن الاختلاف حق من حقوق الإنسان وكرامته، وأن الحوار لا يعني ولا يبتغى منه إلغاء

التنوع ومصادرة حق الاختلاف وإكراه الناس على ما لا يختارون.. فأصحاب الرؤية الآحادية، الذين لا يمتلك تراثهم وقيمهم حق التنوع والاختلاف غير مؤهلين ثقافياً وحضارياً لممارسة الحوار، ولو ادعوا ذلك؛ لأنهم يعتقدون أن الصراع هو السبيل الوحيد للقضاء على (الآخر)، وترويضه، وتعبيده للسيد المهيمن؛ لذلك نجد أن كل المعلومات والمعارف والمخترعات والتكنولوجيا، إذا قُرئت أهدافها بدقة يتبين منها أنها إنما أُنتجت للسيطرة والصراع والمواجهة وتأمين الغلبة، ولعل هذا يفسر التقدم الهائل في العلوم التكنولوجية على حساب علوم وخصائص الارتقاء بالإنسان نفسه.

لذلك قد لا يكون مستغرباً أن نجد دولاً حديثة وحضارات قام كيانها كله وأدواتها ومكوناتها ومخترعاتها وأنظمتها السياسية وأدبياتها على المواجهة؛ لأنه من الصعب عليها البقاء والاستمرار بدون وجود عدو، وعند عدم وجوده فعلاً لا بد من اصطناعه، حتى ولو كان شبحاً غير موجود. ولعل هذا يفسر الكثير من الأبعاد الإعلامية والاستراتيجية واللوجستية والتحالفية، التي تخطط لها الدول المهيمنة اليوم، وأن الندوات ودعوات الحوار لا تخرج عن كونها غطاءً لا بد منه للظهور بالمظهر الإنساني.

نعود إلى القول: إن الحوار، كان ولا يزال سبيل الأنبياء في الدعوة إلى الله، فما عرض في الكتاب والسنة من المشاهد، من حوار الأنبياء مع أقوامهم، ابتداءً من نشأة الخلق الأولى، والامتداد به في الرسالة الخاتمة، حتى النشأة الآخرة، قد استغرق كل جوانب الحياة، وعرض لكل الحالات، وطرح كل الموضوعات، وناقش جميع المعتقدات، والملفت حقاً أنه أفرد لمعتقدات (الآخر) المساحات التعبيرية الكبيرة، ووضع

المسلم في الخارطة الفكرية لرحلة البشرية، ليكون على بينة من استيعاب (الآخر) وكيفية حواره.

لقد كان الحوار هو وسيلة الأنبياء في دعوتهم إلى أقوامهم، مع أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، المؤيَّدة بالوحي، المسددة به، وأن النبوة تاريخياً لم تعمد إلى المواجهة وكان شعارها الكبير -كما أسلفنا-: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ﴾، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾، ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾، ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍۖ ﴾، إلا في حالات استثنائية جداً، وذلك لحماية عملية الحوار وضمان استمرارها؛ لأنها تؤمن أن القوة والمواجهة ليست وسيلة إقناع ودعوة، الأمر الذي يشكل رصيداً ثميناً ومنجماً ضخماً لأصحاب الرسالة الخاتمة، ورثة النبوة التاريخية، وذلك عندما يكونون حقاً من ورثة النبوة، ويمارسون باستمرار حواراً مع أنفسهم ومراجعتها لتصويب أدائهم ومحاولة الإفادة من الأساليب الحوارية بكل أجناسها وأشكالها وموضوعاتها، والتدرب عليها عملياً، ولا يكتفون بالفخر والمباهاة بها، ويعلمون علم اليقين أن فاعليتهم أو سلاحهم الفاعل ونصرة مبادئهم الإنسانية إنما هو الحوار، لا المواجهة، والعنف، والتطرف، واللجوء إلى السلاح، وأن هزيمتهم والسيطرة عليهم إنما تتحقق باستفزازهم، وجرهم إلى ساحات الصراع والمواجهة.

فخصومنا وأعداؤنا كانوا دائماً هم الأقوى في المواجهة، ونحن تاريخياً لم ننتصر بعدد ولا عدة، وإنما كان نصرنا بهذا الدين، حيث كنا ولا نزال، بما نمتلك من قيم إنسانية تعترف بإنسانية الإنسان وتقرر كرامته وتدعو إلى السلم والتعايش والتعارف، الأقوى في الحوار، ولا أدل على ذلك من أن اعتناق الإسلام وانتشاره في معظم العالم كان ثمرة للدعوة والإقناع والقدوة الحسنة بعيداً عن الغزو والحروب والمواجهات.

ونستطيع القول اليوم: إن معظم موضوعات الحوار وأنديته وندواته ومشاهده بعامة إنما تأتي من قبل (الآخر) كثمرة لتخلفنا وضعفنا؛ هو الذي يحددها حسب أجندته السياسية والفكرية وأولوياته الاستراتيجية، وما علينا إلا الاستجابة والإجابة، وبذلك يمكن وضع الموضوعات المختارة للحوار بالنسبة لعالم المسلمين في نطاق الفكر الدفاعي، ورد التهم والشبهات.

ويترتب على ذلك ما يمكن أن يكون إحدى آفات الحوار الكبرى، وهي فقدان الحرية، التي هي من أهم مقومات الحوار وشروطه.. وهذه الآفة تتمثل في المسموح له والممنوع من الموضوعات في الحوار، لذلك فوجود بعض الموضوعات المحظورة والمحرمة على ساحات الحوار، حيث لا يسمح بطرحها ولا مناقشتها ولا حتى الاقتراب منها، يحوِّل ندوات الحوار ومنتدياته إلى مخافر تدار بعقليات أمنية، وليس بأبحاث علمية موضوعية، الأمر الذي يتناقض ابتداءً مع الشروط الموضوعية والضرورية المطلوب توفيرها لإنجاح الحوار.

وقد يكون من الإصابات، التي تترتب على ذلك أيضاً، عدم توفير الاحترام وتكافؤ الفرص للأطراف المشاركة في الحوار، الأمر الذي يحوِّل الحوار لأن يكون نوعاً من التقرير والإملاء لأفكار ورغبات الأقوى المهيمن؛ والتاريخ والحاضر يحمل لنا الدلالات الكثيرة لموضوعات حوارية كانت المشاركة فيها على مستوى الأمم جميعاً للوصول إلى توصيات ومقررات وصيغ إنسانية، فتأتي الدول المهيمنة لتصادرها ولتضرب بها عرض الحائط، وتستبدلها بما تريد، وتحمل الكثير من الدول قسراً على الموافقة عليها، خشية فوات مصالحها. وكثيراً ما تحرم الدول المهيمنة طرح الكثير من الموضوعات والمشروعات بالإرادة المنفردة، بعيداً عن تكافؤ

الفرص.. فكيف، والحالة هذه، يمكن أن تصدق دعاوى الحوار، أو أن يؤدي الحوار رسالته الإنسانية؟

ومن الآفات أيضاً: التحكم في وضع عناوين وأهداف الحوار مسبقاً، وتحديد محاوره، واستدعاء (الآخر) المختار بعناية لملء المربع المرسوم له مسبقاً، دون أن يكون عنده حرية الرأي والنظر في غير ما حدد له.

ولعل من أخطر آفات الحوار وإصاباته: ما يعتريه من تدليس والتباس وزيف، وذلك عندما يغيّب الطرف (الآخر) الحقيقي عن ساحة الحوار -كما أسلفنا- ولا تتاح له الفرصة لطرح أفكاره وبيان دوافعه وأهدافه ومناقشتها مناقشة موضوعية، وإنما يكتفى بإحضار بعض الأشخاص للحوار نيابة عنه، أو بالوكالة عنه، وليس هذا فقط وإنما قد يصار إلى طرح أفكار (الآخر) ومناقشتها من خلال خصومه، بل وأعدائه، ولعل الكثير من صور الحوار اليوم لا تخرج عن أن يكون حواراً مع (الذات) يقوم بين الدول القوية وتلامذتها في بلاد المسلمين.

فكيف لمثل هذه الحوارات أن تؤدي رسالتها وتحقق أهدافها، وهي أقرب إلى الملهاة والمهازل الفكرية والثقافية؟ وقد تتحول لتصبح محاولة متجددة للاختراق الثقافي.

ولعل من المشاهد الحوارية المزرية، الحوارات، التي تتم على مستوى (الذات)، في الكثير من المحافل الثقافية والفضائيات، بين اتجاهين متناقضين، أو رأيين مختلفين والتي غالباً ما يسودها الضجيج والصياح والزعيق والاستخفاف بعقل المشاهد والسامع والمشارك، والتي هي أقرب ما تكون لمناقرة وصراع الديكة منها للحوار الهادئ.

ونود أن نقول: بأنه على الرغم من كل الإصابات يبقى الحوار بالنسبة للمسلم تكليفاً شرعياً، ووسيلة دعوية استجابة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ ﴾ (آل عمران:٦٤)، ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾، ولا شك أن الحوار هو نوع من البيان، والمناظرة، والمجادلة، والمثاقفة، واكتشاف المشترك، وتوسيع دائرة التفاهم والتعاون، ووسيلة لامتصاص الاحتقان والتعصب والغلو واستلال أسباب الحروب والمواجهات، وأنه الوسيلة الأجدى لقبول الإسلام والإقبال عليه.

وبعد:

فالكتاب الذي نقدمه يعتبر مساهمة منهجية في بيان أهمية الحوار، وإشاعة ثقافته وترشيده، وبيان مقوماته وشروطه، حتى لا يتحول الحوار بسبب عدم تأهلنا إلى هزائم فكرية متلاحقة.

ولعل من الأمور الجديرة بالتنويه أن «**جائزة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني الوقفية العالمية**» تتميز عن غيرها من الجوائز الثقافية والفكرية بأنها جائزة وقفية تفردت بها دولة قطر، تُمنح للإنتاج الجديد، الذي يتم إعداده خصيصاً لها، وليس لأعمال فكرية منشورة من قبل.

وتعتبر هذه الجائزة، بعمرها المديد، إن شاء الله، إحدى الثمرات العلمية والثقافية، التي رعاها منذ نشأتها **حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني**، أمير البلاد المفدى، حفظه الله وجزاه خيراً، حتى امتدت وأثمرت واستوت على سوقها، ولا تزال الرعاية والمساندة مستمرة من سموه وسمو ولي عهده الأمين **سمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني**، حفظه الله.

ولا يفوتني، بهذه المناسبة، أن أشير إلى أن هذه الجائزة كانت ولا تزال ثمرة لعمل الوقف في المجال العلمي والثقافي، وعطائه الممتد الذي لا ينفد.

والكتاب، بطبيعة الحال، يمثل وجهة نظر الباحث ويعبر عن رؤيتـــه، ولا يعـــبر بالضرورة عن رأي الوزارة، بل قد يكون للوزارة تحفظات على بعض ما ورد.

ويبقى العاصم الأساس، في مثل هذا الموضوع الدقيق، يَكمُنُ في المعـــايرة بقـــيم الكتاب والسنة، فهي المعيار والحاكم في القبول والرد لكل إنتاج بشري.

والله نسأل أن يكتب لإنتاج الجائزة القبول والامتداد وحسن العطاء، وأن يرزق القائمين عليها الإخلاص في القول والصواب في العمل.

إنه نعم المسؤول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الحوار منهجاً وثقافة

المحاور الرئيسة

* منهجية الحوار: مقدماته، شروطه، آدابه، عوائقه.
* مشروعية الحوار في الكتاب والسنة.
* الحوار الداخلي (بناء الذات) والحوار الخارجي (التعايش وبناء المشترك الإنساني مع الآخر) (لتعارفوا).
* الإسلام بين الحوار والمواجهة (نظرية صراع الحضارات).
* وسائل بناء ثقافة الحوار.
* من ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة والإعلام.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هدف هذا الكتاب بيان قيمة الحوار في حياة المسلمين، والمكانة العظيمة التي اكتسبها الحوار في الإسلام وحضارته، وقد اتسع مجال استخدام الحوار ليغطي معظم الأنشطة والمجالات الإسلامية، فهو وسيلة المسلمين في فهم دينهم، وفي الدعوة إليه، وفي تكوين تراثهم الفكري ومنجزاتهم العلمية، والحوار وسيلة بعض العلوم الإسلامية في التعليم والتربية، وأداة منهجية لجمع المعارف والمعلومات، وهو أيضا وسيلة المسلمين في الاتصال بغيرهم، وهو أساس العلاقات الدينية مع غير المسلمين، وعلامة مهمة من علامات التقاء الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى عبر التاريخ.

ومن أهم مقومات الحوار عند المسلمين عالمية الإسلام وحضارته، ووحدة الإله ووحدة الدين، ووحدة البشرية، فقد كانت هذه هي الثوابت التي وجهت الحوار مع غير المسلمين في إطار الاعتراف بحق الاختلاف الديني والثقافي، والاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية، وفي ضوء هذه المقومات أيضاً تحددت أهداف الحوار ومقاصده، فهو يهدف إلى تحقيق التعارف الإنساني، وتحقيق الفهم المتبادل بين أهل الأديان والحضارات، ودعم التعايش الإنساني المشترك، ومواجهة نظريات الصراع والصدام، ودعم الاعتدال الديني، والسعي نحو التقريب بين الأديان والمذاهب، وتصحيح صورة الأديان، ومن أهداف الحوار أيضاً تطوير الخطاب الديني والثقافي، والكشف عن المشترك الإنساني، وتحقيق التعايش، والارتقاء بالحياة الدينية للشعوب.

ويرتبط نجاح الحوار بتوفير عدة شروط من أهمها الاعتراف باستقلالية الأديـــان والثقافات، وأن يكون الحوار ديمقراطيا تتحقق فيه المســـاواة والعدالة لكل الأديان، ولا يخضع الحوار لهيمنة دين معين، ومن شروطه أيضا استمراريته من ناحية، وفاعليته من ناحية أخرى بحيث يكون له تأثيره في الارتقاء بالحياة الروحية للإنسان، ويجـــب أن تتوافر للحوار مجموعة آداب وضوابط سلوكية مثل الإخلاص، والصدق، والصبر، والحلم، والرفق، والمرونة، والتسامح، والفطنة والكياسة، وحسن الخلق، والفـــصاحة وسلاسة القول.

وهناك إشكاليات وعوائق يواجهها الحوار في الوقت الحالي من أهمها إشـــكالية التوظيف السياسي للحوار في المجال الديني والحضاري، وتسييس حوارات الأديـــان وحوارات الحضارات، وهناك إشكالية التمثيل الديني والثقافي داخل الحوار، ومشكلة غياب المحاور المسلم المؤهل والمدرب على الحوار وطرقه، بالإضافة إلى مشكلات لغة الحوار، وموضوعـــاته، وسبـــل إدارته، ومشكلات تمويله، وتبعيته لجهات سياسية أو كنسية.

وعند المسلمين اكتسب الحوار مشروعيته من الكتاب والـــسنة، ومـــن طبيعـــة الإسلام وحضارته من حيث العالمية، والوسطية، والعقلانية والخيرية، ودعوة الإسلام إلى التعارف، والالتقاء الديني والحضاري.

وينقسم الحوار عادة إلى حوار داخلي هدفه بناء (الذات)، وحوار خارجي هدفه ربط الذات بالذوات الأخرى المحيطة بها لتحقيق التعارف والتفاهم، ويهدف الحـــوار الخارجي مع غير المسلم إلى دعم العلاقات الدينية والثقافية، وتحقيق التعايش المشترك، وبناء المشترك الإنساني على أسس الأخوة الإنسانية، والجوار الإنساني، والاستخلاف في عمارة الأرض، والتكريم الإلهي للإنسان، وتغطي مجالات المشترك الإنساني كـــل

الأنشطة الإنسانية، والقيم الإنسانية المشتركة، والقضايا التي تهم الإنسان في كل مكان.

وقد تعرض الحوار في الفترة الحالية لأزمة شديدة نتيجة تطور نظرية صدام الحضارات كنظرية سياسية في العلاقات الدولية تأكد دورها بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م حيث أصبحت النظرية الموجهة للعلاقات الدولية، وقد أضرت هذه النظرية بعلاقة الغرب بالعالم الإسلامي، وأحدثت أزمة في الحوار بين الغرب والمسلمين، وبسببها أصبح الغرب غير مستعد نفسياً للحوار مع العالم الإسلامي، وبخاصة في ضوء الصورة المشوهة التي يقدمها الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين، وقد أدت نظرية الصدام إلى حدوث مواجهة سياسية، ودينية، وحضارية بين الغرب والإسلام وذلك بسبب اتهام النظرية للإسلام بأنه مهدد للغرب وحضارته، وتطوير نظرية الإسلام العدو، وبخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، واتجاه الغرب إلى البحث عن عدو جديد، وتتخذ المواجهة الآن شكلين الأول يتمثل في لجوء المسلمين إلى الدفاع عن دينهم ضد التشويه المتعمد، ويتمثل الثاني في الدفاع عن بلاد المسلمين ضد كل أشكال الاستعمار الجديد، وضد الهيمنة الجديدة، واستراتيجيات تفكيك العالم الإسلامي، والدفاع عن الأقليات المسلمة في الغرب التي وقعت تحت الاضطهاد المباشر، ويحتاج الأمر الآن إلى ضرورة إعادة بناء ثقافة الحوار بعد التدهور الذي أصاب علاقات الغرب بالإسلام وذلك عن طريق آليات سياسية وثقافية، وتربوية، ودينية وإعلامية، ومن خلال مجهود مزدوج يتم على مستوى الداخل الإسلامي، وعلى مستوى الخارج.

وعلى الرغم مما يواجهه الحوار من أزمات وعوائق ، فإن جهود الحوار في النصف الثاني من القرن العشرين حققت فوائد وثمرات مفيدة، فقد تحسنت العلاقات

بين المسلمين وغير المسلمين في الداخل والخارج إلى حد كبير، وعلى مستوى العلاقات الإسلامية المسيحية صدر إعلان الفاتيكان في بداية الستينيات من القرن العشرين لتطوير العلاقات المسيحية الإسلامية، وتأسست لجان الحوار المسيحي الإسلامي بين الفاتيكان والعالم الإسلامي، وسارعت المذاهب المسيحية الأخرى بعقد الحوارات مع المسلمين، واعترف بالإسلام كشريك فيما سمته الكنيسة الغربية بالتراث الإبراهيمي Abrahamic Tradition واهتمت المنظمات الدولية بحوار الحضارات، وأصدرت في ذلك بعض المواثيق والبيانات المهمة، وظهرت إلى الوجود منتديات ومفوضيات للحوار بين الأديان، والحوار بين الحضارات، وتبنت بعض القيادات العالمية السياسية، والدينية، والثقافية موضوع حوار الحضارات، وكونت حوله مفاهيم، وأفكار عالمية، وأطلقت دعوات إيجابية تدعو إلى نشر ثقافة الحوار في العالم.

وعلى الرغم من هذه الدعوات الإيجابية، ومن مثالية بعضها المفرطة، فإن السنوات التالية لأحداث سبتمبر ٢٠٠١ أدت إلى أزمة شديدة بين الغرب والعالم الإسلامي، فانقطع الحوار تقريباً، وتوقفت سبل الاتصال الديني والثقافي، ويحتاج الأمر لذلك إلى مجهود عظيم لاستعادة الحوار من ناحية، وإعادة بناء ثقافة الحوار من ناحية أخرى من أجل دعم السلام العالمي واستقراره لمصلحة البشرية.

الفصل الأول

منهجية الحوار: مقوماته وشروطه وآدابه وعوائقه

الحوار نوع من أنواع الخطاب الإنساني، والحوار الديني والثقافي، فهو شكل من أشكال الخطاب الديني والثقافي الموجه، وقد تم تعريف الحوار بأنه «فن من فنون الكلام والمحادثة، وصيغة متقدمة من صيغ التواصل، والتفاهم، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة، ومنهج من مناهج الوعي والثقافة، ووسيلة من وسائل التبليغ والدعوة»[1].

وفي تفصيل آخر لمعنى الحوار يقول د. عبد الستار الهيتي «الحوار أداة أسلوبية تستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة في حقل من حقول العلم والمعرفة أو جانب من جوانب الفكر والعقيدة، للوصول إلى حقيقة معينة بهذا الشكل من أشكال الأسلوب والمحادثة، وهو عملية تتضمن طرحاً من طرف، يتمثله الطرف الآخر ويجيب عليه فيحدث تجاوب يُولّد عند كل منهما مراجعة لما طرحه الطرف الآخر وهذه العملية هي التي يطلق عليها الحوار أو المحاورة»[2].

ويعرف «تشارلز كِمبل» الحوار بأنه: «محادثة أو عملية اتصال كلامية، إنه علاقة متبادلة يحاول فيها طرفان أو أكثر التعبير بدقة عما يقصدانه، وأن ينصتوا باحترام إلى ما يقوله كل طرف مهما اختلفت الرؤى. والحوار أكثر من مجرد تبادل للآراء، فهو أساساً يعبر عن رؤية وموقف وانفتاح، فالحوار وسيلة اتصال، ومن

---

(١) عبد الستار إبراهيم الهيتي، الحوار: الذات والآخر، كتاب الأمة العدد ٩٩، ص ٣١، السنة ٢٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠.

الناحية المثالية فإن تبادل الآراء موجود في عمليات الاتصال، والثقة والفهم، والتحدي، والنمو بل وفي التطور الروحي»[1].

وقد استخدم الحوار عند المسلمين على عدة مستويات مهمة من أهمها مستوى الدعوة الإسلامية حيث اعتمد الحوار كوسيلة عقلية من وسائل الدعوة الإسلامية استناداً إلى عقلانية الإسلام كدين من ناحية، وضرورة الاقتناع العقلي بالإسلام وعقائده من جانب غير المسلم، وتطبيقاً لقاعدة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦) التي تنص على عدم إكراه الآخرين على الدخول في الدين وضرورة توفر الاقتناع العقلي بالإسلام، والدين في الآية الكريمة هو«المعتقد والملة» بقرينة قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[2] وقيل نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يُكرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام»[3] وهذا قول الشعبيّ وقتادة والحسن والضحاك، والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إليّ قريب، فقال عمر: اللهم اشهد وتلا ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[4].

وقد اختلفت الأديان في موقفها من الحوار بين قبوله والعمل به، وبين رفضه وعدم الاهتمام بالعمل به، ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة الأديان من حيث

---

(١) Charles Kimball, Striving Together: A way forward in Christian – Muslim Relations. Mary knoll, Orbis Books, 1991, P.86.

(٢) أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ٣/٢٧٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٠ وقيل إنها نزلت في الأنصار أو في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين، وقيل إنها وردت في سبي أهل الكتاب، انظر ص ٢٨٠-٢٨١.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٠.

عالميتها، أو خصوصيتها، فالديانات التي تتصف بالعالمية عادة ما تكون منفتحة على (الآخر)، وراغبة في ضمه إليها، ويكون الحوار هو إحدى وسائل الاتصال بـ(الآخر) ودعوته إلى الدين، أما الديانات التي تتصف بالخصوصية فهي ديانات قومية، وعادة ما تكون منغلقة على نفسها، وغير منفتحة على (الآخر)، وليست لديها رغبة في دعوة (الآخر) استناداً إلى هذه القومية والعصبية الدينية، والقبلية، والحوار في هذه الحالة لا قيمة له فيما يتعلق بعملية الاتصال بـ(الآخر)، وهذا لا يعني بالضرورة أن الحوار ليس له استخدام آخر في مثل هذه الديانات فاليهودية مثلاً، وهي ديانة قومية خاصة خلت من هدف الدعوة ولكنها استخدمت الحوار كوسيلة تعليمية دينية، كما استخدمته في نظام الفتوى القائم على أساس من الأسئلة والأجوبة، وفي مشاورات الحاخامات ودروسهم الدينية.

أما الإسلام فإن عالميته استوجبت الدعوة إليه ونشره بين الناس، ولأنها دعوة عقلية تتفق مع عقلانية الدين كان الحوار هو أهم وسائل المسلمين في الدعوة إلى دينهم: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥) وقد نزلت هذه الآية بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وفيها أمر الله نبيه ﷺ «أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يُوعظ المسلمون إلى يوم القيامة»[1] .

كما استخدم المسلمون الحوار في خطابهم الديني الموجه إلى أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ...﴾ (آل عمران:٦٤). والخطاب هنا موجه إلى أهل نجران، أو ليهود المدينة، وقيل لليهود

(١) أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٠٠.

والنصارى جميعاً[1] والسواء هو العدل والنصفة[2] والمعنى: «أجيبوا إلى ما دعيتم إليه، وهو الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق»[3] وفي تفسير الطبري «هلموا إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره... والكلمة السواء هي قول لا إله إلا الله»[4].

وقد اعتبر فضيلة الدكتور عمر عبيد حسنة الحوار من لوازم الحياة معللاً ذلك بقوله: «وإذا كانت العلة والهدف من تنوع الخلق هو التعارف والتعايش والتفاهم تحقيقا لسنة الله في التدافع والتكاثر والتنامي، الذي لا يمكن أن يكون إلا بالتنوع، فإن الحوار بأشكاله ومسمياته ومصطلحاته المتعددة يصبح من لوازم الحياة وضمان استمرارها، وإقامة العمران، والاضطلاع بأعباء الاستخلاف البشرى الذي يقتضى الاضطلاع به التعارف والتعاون والتعايش والتدافع»[5].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠٥/٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٠٦.
(٣) نفس المصدر، ص ١٠٦.
(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام دار الفكر، ٣٠٢/٣-٣٠٤.
(٥) عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الحوار: الذات والآخر للدكتور عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص٥.

المبحث الأول: مقومات الحوار وأهدافه

أولاً: مقومات الحوار ومنطلقاته:

يعتبر الموقف الإسلامي من الحوار من أكثر مواقف الأديان إيجابية، فهو موقف يتصف بالقبول الفوري، وبالتلقائية وعدم التعقيد، ويتم من نقطة انطلاق محبة للإنسانية، وساعية إلى تحقيق الالتقاء البشري على أسس من المحبة والعدالة، والخيرية، ويقوم الحوار في الإسلام على عدة منطلقات ومبادئ جعلت الحوار أساساً للعلاقات بين المسلمين والشعوب على اختلاف أديانها وثقافاتها، وفيما يلي عرض سريع لهذه المبادئ والمقومات:

١- عالمية الإسلام ووحدة الدين:

العالمية تعني صلاحية الدين لكل العالم على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وهذه العالمية تقضي بتوصيل الدين إلى كل البشر، وتعريفهم به، وتحبيبهم فيه بدون إكراه من خلال عملية معرفية بحتة، وهذه العملية المعرفية وسيلتها الإقناع العقلي من خلال الحوار مع الضمان التام لحرية الاعتقاد، فعالمية الإسلام حتمت بالضرورة اتصاله (بالآخر) اتصالاً معرفياً، والدخول في حوار معرفي معه، وهدف الحوار التعريف بعالمية الإله الواحد، وأنه إله واحد لكل البشرية، والتعريف بعالمية التوحيد وأنه عقيدة البشر منذ بداية الخليقة، والتعريف أيضاً بوحدة البشرية، وأنها بشرية واحدة منذ آدم عليه السلام وتعود إلى أصل واحد، وتعبد إلها واحداً، وتدين بدين واحد، وداخل هذا الإطار من العالمية يصبح الحوار أمراً طبيعياً وفطرياً يستند إلى وحدة الخالق، ووحدة الخلق، والاشتراك في التوحيد، وللتأكيد على هذا كله عرف القرآن

الكريم الإسلام بأنه دين الفطرة ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠). فالدين عند الله هو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، والتمسك به تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه»[١] وورد في تفسير ابن كثير: «إن الله فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره» وأن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام ثم طرأ على بعضهم الأديان كاليهودية والنصرانية والمجوسية وأن الله «ساوى بين خلقه في الفطرة على الجبلة المستقيمة»[٢].

وتمثل وحدة الدين نقطة انطلاق الإسلام تجاه غير المسلم، والمقصود بوحدة الدين استسلام الإرادة الإنسانية لإرادة الإله الواحد، فالخبرة الدينية العامة تقوم على أساس من استسلام إرادة الإنسان لإرادة قوة عليا مهيمنة حددها الإسلام في إرادة الإله الواحد[٣] واختلفت الأديان حول طبيعة هذه القوة، وسمتها بمسميات مختلفة، ومن منطلق وحدة الدين أصبح الحوار مطلوباً من أجل إقناع البشر بأن الاستسلام والخضوع لا يتم إلا لإرادة الإله الواحد، والحوار بهذا الشكل، هو في أساسه دعوة عقلية للعودة إلى الدين الواحد والإله الواحد للبشرية الواحدة.

٢- عالمية الإسلام ووحدة الإنسانية:

تمثل وحدة الإنسانية مقوماً أساسياً من مقومات الحوار في الإسلام. فوحدة الإنسانية تحتم الحوار من أجل القضاء على الاختلافات الظاهرة، والعودة إلى وحدة الأصل.

---

(١) التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤١٠هـ، ص٤٠٧.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير (دار الفكر، ١٤٠٠هـ) ٤٣٣/٣.

(٣) Isma'il R. al Faruqi and Lois Lamya al Faruqi, The Cultural Atlas of Islam, Macmillan Pub. Co. New York, 1986, P.193

وفي هذا الخصوص، يجب أن نشير إلى شيوع خـــاطئ لمــصطلح (الآخـــر) في الأدبيات الإسلامية المعاصرة المتأثرة بالأدبيات الغربية، فقد ابتدع الغرب مـــصطلح (الآخر) ليعبر به عن غير الأوربي، وهو مصطلح مشبع بالنعرة العنصرية الاستعلائية[1] ولا يجب استخدامه في الأدبيات الإسلامية إذ ليس له أصـــل في مـــصادر الـــدين الإسلامي الأساسية، فالإسلام لا يقسم البشرية إلى مسلمين وغير مسلمين، والعلاقة بين البشر تقوم على أساس من مبدأ الأخوة الإنسانية، والخير الذي يحققه الدين هـــو خير للجميع ، وليس خيرا للمنتمين إليه فقط.

إن الإسلام يرفض ثنائية (الأنا) و(الآخر) أو ثنائية (نحن) و(هم) إيمانـــا بـــأن البشرية واحدة، والدين واحد، ويرفض الإسلام القسمة الدينية، أو العرقية، للبشرية ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢) وقيل الأمـــة في هذا الموضع الدين والملة «أي دينكم دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة إلى عبـــادة لله وحده لا شريك له»[2]. والحوار الذي ينشده الإسلام هـــو حـــوار مـــع أخ في الإنسانية، وليس حوارا مع (آخر) مختلف دينياً أو عرقياً، إنه حوار داخـــل إطـــار الأخوة الإنسانية، ويسعى إلى استعادة هذه الأخوة بالتأكيد على أن «غير المـــسلم» شريك في عبادة الإله الواحد، وأخ في الإنسانية.

وقد أثبت المجتمع المسلم عبر تاريخه أنه مجتمع لا يفرق بين المسلم وغير المـــسلم استناداً إلى قاعدة الأخوة الإنسانية، وتمكن من صهر الجماعات المختلفـــة داخلـــه واندماجها فيه دون أن يعزلها عن مجتمع المسلمين، كما جعلها جماعـــات متعايـــشة وفعالة، ونشطة، ومندمجة إلى حد عدم القدرة على التفرقة بين «المـــسلم» و«غـــير

---

(١) انظر تحليل محمد خير فرج لكتاب: صورة الأخر: العربي ناظراً أو منظوراً إليه ترجمة الطاهر لبيب، مجلـــة الاجتهاد العدد ٤٩ السنة ١٢ شتاء ٢٠٠١/١٤٢٢هـــ بيروت، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٨؛ وتفسير ابن كثير، ٢٣٨/٣.

المسلم» في الشارع الإسلامي، وعاش الجميع في ظل خيرية الإسلام التي لم يتم احتكارها لمصطلحة جماعة بشرية بعينها، فالهدف تحقيق سعادة الإنسان عموماً، وليس سعادة المسلم فقط، والحوار المقصود مع غير المسلم هدفه الاجتماع حول صلة الأخوة الإنسانية، وتحقيق التعارف، ورفع أسباب الاختلاف، وتبادل المصالح والمنافع، وتحقيق الإفادة والاستفادة داخل عالم إنساني واحد ومشترك، والتنوع «هو سبيل النمو والتكاثر والارتقاء»، والجوار تجسيد لهذا التنوع والإفادة منه في إثراء وبناء المشترك الإنساني، والتعارف الناتج عن الحوار هو سبيل العمران والتكامل والتعاون»[1].

٣- الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية:

إن الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية هو اعتراف بالواقع التاريخي للإنسان قديما وحديثا، وإعلان الرغبة في استعادة الوحدة الدينية والثقافية القائمة على أساس من وحدة الدين ووحدة الإنسانية، كما أن الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية قائم على أساس من القاعدة القرآنية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وعلى أساس من التسامح الديني والثقافي الذي أكدته العديد من الآيات القرآنية الكريمة، فالإكراه لا يُولّد إلا الكراهية والحقد والعنف، ولا يفلح في كسب مؤمنين جدد، ويفتح باباً واسعاً للنفاق الديني، ويدخل في الدين من يخربه من الداخل بسبب عدم اقتناعه وبسبب إكراهه على الدخول فيه، ويجب أن نقبل هذه الاختلاف لأنه آية من آيات الله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ (الروم:٢٢). كما أن هذا الاختلاف معبر عن مشيئة إلهية: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ (هود:١١٨-١١٩). والاختلاف معبر

(١) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق، ص ١٨.

أيضاً عن حكمة إلهية وغاية إلهيـــة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة:٤٨).

ولا يمنع هذا الاختلاف الديني والثقافي من تلاقي البشر وتعارفهم، وتبادل المصالح بينهم، وقد عبر د.حامد الرفاعي عن كليات جامعة تصطلح عليها الثقافات البشرية وتتخذها منطلقاً لتحقيق مصالحها المشتركة وأمنها المشترك مثل الاتفاق على:

«أن الأرض سكنهم ومصدر عيشهم المشترك، وأن خير الأرض للجميع علـــى أساس من احترام حق التملك ومشروعية الانتفاع، وأن التعارف والتواصل والتناصح الثقافي هو غاية لترشيد السير المشترك في ميادين الحياة، وأن التدافع والتعاون لـــدرء المفاسد وجلب المصالح أمر واجب لصرف الفساد وتحقيق الخير للجميع، وأن العدل هو الأساس الذي ينبغي أن تقوم بموجبه وعلـــى أســـاس منـــه علاقـــات الأمـــم والشعوب»[(١)].

ويؤكد حسن الوراكلي أن الحوار الحضاري هو وسيلة المسلمين لتجاوز هـــذه الاختلافات المتنوعة بين البشر حيث يقول: «حوار المسلمين الحضاري آلية نافذة في التبشير بقيم الإسلام في العدل، والسلم، والتسامح، ووســيلة ناجحـــة في تجـــاوز معوقات التباين والتمايز العرقية والمذهبية والثقافية بين بني البشر، ونبذ نزعات العداء بينهم، وبث روح السلم القائم على أساس التعارف والتعاون كما أقرها الإسلام في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾»[(٢)] «والشعوب أعم من القبائل وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب»[(٣)].

---

(١) حامد بن أحمد الرفاعي، الإسلام والحضارات الأخرى، أعمال ندوة الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملـــك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢/١٥٥.

(٢) حسن عبد الكريم الوراكلي. ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين: تأملات في سؤال المفهوم والإجراء، أعمال ندوة: الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٢/٥١٠-٥١١.

(٣) تفسير ابن كثير، ٤/٢١٨.

وفي تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي ليعرف بعضهم بعضاً في النسب.. إنما جعلنا الشعوب والقبائل منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقربه إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم»[1] ويفسر ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي جعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضاً نسباً بعيداً (أهل الشعوب) وبعضكم يناسب بعضاً نسباً قريباً (أهل القبائل) ويركز تفسير القرطبي على التعارف، وما ينتج عنه من تواصل فيقول: «خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى أنساباً وأصهاراً وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل للحكمة التي قدرها وهو أعلم بها، فصار كل أحد يحوز نسبه... »[2].

٤- مقومات العدالة والمساواة والاحترام والاعتراف المتبادل:

استناداً إلى مقومات وحدة الدين، ووحدة الإنسانية، والاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية تتولد مجموعة مقومات للحوار لا يمكن أن يتم بدونها، فهذه الوحدة على مستوى الدين والأخوة الإنسانية والاعتراف بالتعددية تتطلب الالتزام بالعدالة في التعامل مع البشر، وقد أكدت آيات كثيرة على قيمة العدل والإنصاف في القول في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام:١٥٢) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (النساء:٥٨) ولأن الحوار عادة ما يكون مع قوم بيننا وبينهم خلاف يصبح مطلب العدل أكثر إلحاحاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥) والآية تنهى عن

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٤٠/٢٦.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٤٢/١٦.

اتبـــاع الهوى؛ لأنه مُردٍ ومهـــلك؛ لأنه يحمـــل على الشهادة بغير الحق، وعلـــى الجور في الحكم[1].

وتستدعى هذه المقومات أيضاً ضرورة تحقيق المساواة الناتجة عن مبدأ العدالـــة والمرتبطة به، فالحوار حشد للطاقات العقلية والقوى الفكرية لدى الإنـــسان بـــدون النظر إلى جنسه أو لونه وذلك لاستثمار هذه الطاقة في إبداع مـــا يـــسميه حـــسن الوراكلي «حضارة الحق والعدل، والمساواة والتقوى»[2].

إن الحوار المستند إلى العدالة والمساواة يتخلص من كل صفات التعصب القومي، والديني، والمذهبي، والعنصري، ويصبح هدفه تحقيق الخير للجميع، ويؤكد الـــدكتور عمر عبيد حسنة على هذا بقوله: «إن انطلاق مبدأ الحوار إنما يكون مـــن الإيمـــان ابتداءً بالحرية والاختيار الإنساني في الوجهة والاعتقاد، والاقتناع بأن التنوع حقيقـــة وواقع، وأن الاختلاف حق من حقوق الإنسان وكرامته، وأن الحوار لا يعني إلغـــاء التنوع ومصادرة حق الاختلاف وإكراه الناس على ما لا يختارون»[3].

وينتج عن هذه المقومات مبدأ الاحـــترام والاعتراف المتبادل الذي بدونه أيضاً لا تقوم للحوار قائمة، فالاعتراف بالأديان شرط أساسي من شروط قيـــام الحـــوار بينها، ولا جدوي من حوار ديني أو ثقافي لا يعترف فيـــه المتحـــاورون بالأديـــان والثقافات التي يتم التحاور معها، وقد تحرر الإسلام من هذه المعـــضلة الـــشائكة في الحوار فتم الاعتراف بالأديان والثقافات الأخرى مع الأخذ في الاعتبار أن الاعتراف لا يعني قبول كل محتويات هذه الأديان والثقافات ، إنما هو اعتراف بحق الاختلاف الديني والثقافي: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦) أي لكـــم الـــشرك ولي

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الجزء الخامس ص ٤١٣؛ وانظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي الأحكام ٥/٣٢١-٣٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٥١٦.

(٣) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق، ص ٢٨.

الإسلام[1] واعتراف بواقع تاريخي لا يمكن تغييره بالقوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد:١١) ومن نتائج الاعتراف المتبادل احترام أهل الأديان والثقافات لبعضهم البعض، وبالتالي البعد بالحوار عن لغة الرفض، والسخرية والاستهزاء، والشتم واللعان والسباب، وعدم الاكتراث، وغير ذلك من علامات عدم الاحترام ومظاهره.

ثانياً: أهداف الحوار ومقاصده:

للحوار أهداف ومقاصد متعددة نوجزها فيما يلي:

١- تحقيق التعارف الإنساني تنفيذا للأمر الإلهي ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ الذي نصت عليه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ... ﴾ (الحجرات:١٣).

٢- تطوير العلاقات الدينية والثقافية بين الشعوب، وبنائها على أساس من الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية، وما تفرزه التعددية من قيم التسامح، ونبذ التعصب الديني والثقافي، والقضاء على كل أشكال الاضطهاد المرتبطة بالدين والثقافة.

٣- تنمية العلاقات السلمية بين أهل الأديان والثقافات، ورفض الحروب كوسيلة لحل النزاعات الدينية والثقافية، ودحض كل النظريات السياسية والثقافية المؤيدة للصراع والساعية إلى تحقيق الصدام بين البشر على أسس دينية أو ثقافية[2].

٤- تحقيق الفهم المتبادل بين أهل الأديان والثقافات والوصول إلى تفاهم ديني وثقافي يحقق التعايش بين البشر.

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥٦١/٤.

(٢) عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص ١٦٩.

٥- دعم الاعتدال الديني، والبعد عن كل أشكال التطرف الديني والثقافي، وبناء علاقات أهل الأديان والثقافات على أساس من قاعدة التسامح وقبول الاختلاف الديني والثقافي.

٦- التقريب بين الأديان من ناحية، وبين الأديان ومذاهبها المختلفة من ناحية أخرى، والتقريب أيضا بين المذاهب تجاه بعضها البعض باعتماد الحوار الداخلي والخارجي كأساس للتقارب والتقريب، والبحث من خلال الحوار عن أسس لوضع العلاقات بين الأديان والفرق.

٧- تصحيح صورة الأديان والفرق، وإزالة الشبهات، وتصحيح الأخطاء حولها، وتكوين المعرفة السليمة بها من خلال الحوار.

٨- تطوير أسلوب الخطاب الديني والثقافي الموجه إلى الغير، وتحويله من خلال الحوار إلى أسلوب إيجابي ينشر قيم التسامح الديني والثقافي، ويتلاءم مع العصر ومقتضياته، ويعبر عن قضاياه، ومن أهمها قضية العلاقة بالأديان والثقافات الأخرى، وتحديد آلية التطوير من خلال المناهج الدينية والتعليمية وتطوير أجهزة وسائل الإعلام[١].

٩- الكشف عن المشترك الإنساني على المستوى الديني والثقافي، ودعم سبل التعايش المشترك، وتحقيق المصالح والمنافع الإنسانية[٢].

١٠- الارتقاء بالحياة الروحية للإنسان من خلال التعرف على الخبرات والتجارب الدينية والروحية التي تحتوي عليها الأديان الأخرى، وتعميق التجربة أو الخبرة الدينية للإنسان والجماعات، فالحوار «يزكى النفس ويصقل المواهب، ويشحذ الهمم، ويمكن من البرهان، ويؤصل للحقيقة، ويؤسس للحياة المشتركة، ويسع دائرة التفاهم، وينمي الخبرات والطاقات، ويمنح الفرد الشفافية والسلوك الحضاري»[٣].

---

(١) أماني مسعود، تجديد الخطاب الديني الإسلامي في الكتابات الغربية، أعمال ندوة: تجديد الخطاب الديني بين التدخل الغربي والضرورة الإصلاحية، جامعة القاهرة، ١٥-١٦ يونيو ٢٠٠٥م، عرض مجلة منار الإسلام العدد ٣٧١، السنة ٣١، ذو العقدة ١٤٢٦، ديسمبر ٢٠٠٥م، ص٥٥.

(٢) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦.

المبحث الثاني: شروط الحوار

إن الحوار بين الأديان يجب أن يتحرر من كل تبعية لأي دين من الأديان، أو مذهب من المذاهب، حتى تزول مخاوف المشتركين فيه من استغلال الحوار لتحقيق مصلحة دين على دين آخر أو في مواجهة الأديان الأخرى، وبداية نقول: إن لكل دين مشترك في الحوار أهدافه الخاصة به التي يسعى إلى تحقيقها من الحوار، ولمصلحة الحوار يجب أن تتخلى المسيحية عن سيطرتها الواضحة على الحوار، وتبدى استعداداً للعمل مع الأديان الأخرى -وبنفس القدر من المساواة- في تطوير الحوار إلى مؤسسة مستقلة لا تدين بالتبعية للمسيحية ومؤسساتها الكنسية، ولا يتحقق هذا الاستقلال للحوار بين الأديان إلا من خلال عمل إداري وتنظيمي شاق يضع أهدافاً عامة ومشتركة للحوار بين الأديان تستفيد منها كل الأديان، ويتم فيها التخلص من الأهداف الخاصة التي تحتكر الحوار وتوجهه لخدمة دين أو مذهب معين.

وفي سبيل تحقيق استقلالية الحوار بين الأديان يجب ألا يخضع الحوار لسيطرة دين معين من الأديان المشاركة في الحوار بل يجب التفكير في وضع بنية للحوار بين الأديان وتنظيم مستقل عن الأديان ذاتها وبخاصة في مؤسساته العليا، فالحوار في بنيته الهرمية لا بد أن يبدأ من القاعدة التي يطور فيها كل دين على حدة اهتماما بالحوار على المستويين الداخلي والخارجي، ومن الطبيعي أن يكون للدين هنا تنظيماته الخاصة بالحوار بين المذاهب الدينية الداخلية فيه، ويصح لأي دين هنا أن يرتب أولويات الحوار الديني بالنسبة له، فقد يكون الحوار الديني الداخلي أهم من الحوار الخارجي، وقد يكون الحوار مع مذهب معين أولى من الحوار مع مذهب آخر، كما قد يكون الحوار مع دين معين أولى من الحوار مع ديانات أخرى، فهناك

أولويات في الحوار تمليها ظروف كل دين وأوضاعه الدينية والداخلية، وقد خضع الحوار الديني في الغرب بالفعل لهذه الأولويات فوجدنا الحوار بين الكاثوليكية والبروتستانتية يأخذ المكانة والأهمية الأولى على المستوى الداخلي، كما وجدنا أن الحوار، بين الكاثوليكية واليهودية وبين البروتستانتية واليهودية يحتل أيضاً المرتبة الأولى في حوارات المسيحية مع الأديان الأخرى.

وإذا طبقنا هذا على بقية الأديان لوجدنا هذا أمراً منطقياً فمسألة تحديد الأولويات في الحوار تخضع لظروف وأوضاع كل دين... ففي الإسلام مثلاً يجب أن يحتل الحوار بين السنة والشيعة الأهمية الأولى لدور مثل هذا الحوار في التقريب بين السنة والشيعة، هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فنظراً لاتساع العالم الإسلامي وتوسطه بين الشرق والغرب نجد أن الأولوية في الحوار ستختلف في المشرق الإسلامي عنها في المغرب الإسلامي، فالمسلمون في المشرق الإسلامي في حاجة إلى الحوار مع ديانات الشرق الأقصى مثل الهندوسية والبوذية والشنتوية والكونفوشيوسية[1] ربما أكثر من حاجتهم إلى الحوار مع اليهودية والمسيحية، والوضع في المغرب الإسلامي وفي بلدان العالم العربي عموماً يختلف، فالحاجة إلى الحوار مع اليهودية والمسيحية أكبر. فالأولوية هنا تحددها ظروف كل منطقة إسلامية على حدة، وإن كنا سنكتشف في النهاية أن الدين الإسلامي سيدخل بهذا الشكل في حوار مع كل أديان العالم، وهي ميزة لا نجدها في الأديان الأخرى حتى مع المسيحية ذاتها التي رغم عالميتها فهي ديانة غربية واحتكاكها الأكبر باليهودية

---

(١) Osman Bakar,, Islam and other Religions in Asia: Toward a better mutual understanding and co-operation for the common good' in Islam and other Religions in Asia: Co-existence and co-operation an International symposium, Seoul,.25-26 Nov. 2005, Korean Association of Islamic Studies, 2005 P41-42.

وانظر أيضاً: صالح بن سليمان الوهيبي، كلمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي في مؤتمر الإسلام والأديان الأخرى في آسيا: التعايش والتعاون، ٢٥-٢٦ نوفمبر ٢٠٠٥م، سيول، ص ٢٣٥

والإسلام، والتنصير هو الذي جعلها في حاجة إلى الحوار مع الأديان الأخرى، ولذلك لا نستغرب النشأة التنصيرية للحوار بين الأديان في الغرب.

وبعد الحوار الداخلي بين مذاهب الدين الواحد والحوار الخارجي المحدود، أي بين هذا الدين الواحد ومجموعة الأديان الأخرى التي تدخل في دائرة علاقاته الدينية والتاريخية يمكن أن نتصور حواراً أكبر لا يدور بين دين ومذاهبه أو بين دين ودين آخر أو أكثر من دين له به علاقة دينية وتاريخية، إنما هو حوار عام بين كل أديان العالم، ومثل هذا الحوار العام بين الأديان هو الذي يجب أن تتوفر له الاستقلالية التامة، فإذا جاز أن تكون لدين من الأديان سيطرة على الحوار الداخلي، أو أن تكون هذه السيطرة مشتركة في حالة اشتراك هذا الدين في حوار مع دين آخر، فإن هذا لا يجب أن يكون القاعدة في حالة الحوار العام بين الأديان، فاستقلالية الحوار نابعة أصلاً من مبدأ استقلالية الأديان، وعلى الأديان أن تتخلص من نزعة السيطرة التي تمارسها على الأديان الأخرى، والميل إلى هذه السيادة المستقلة التي يمكن أن تتحقق من خلال إنشاء هيئة عليا للحوار بين الأديان، أو مؤسسة عالمية مستقلة يتوفر لدى أعضائها القدرة على إدارة الحوار في استقلالية تامة وتنظيم شؤون الحوار بين الأديان بشكل مستقل عن الأديان المشتركة في هذه الهيئة أو المؤسسة العليا العالمية، وتضع هذه الهيئة العليا العالمية الأهداف المشتركة للحوار بين الأديان، وهي أهداف عليا لا يمكن النزول بها إلى مستوى خدمة دين معين على حساب الأديان الأخرى، أو استغلالها لتمكين دين معين من فرض السيادة على بقية الأديان، ويجب الربط بين استقلالية الحوار بين الأديان ومبدأ استقلال الأديان، بل واستقلال الشعوب ذاتها، فبدون هذا الشعور المتبادل بالاستقلالية لا يمكن للحوار بين الأديان أن ينجح في تحقيق أهدافه العامة لخير البشرية.

وتنبع ديموقراطية الحوار بين الأديان من استقلالية الحوار، كما أنها ترتبط أيضاً باستقلالية الأديان ذاتها، وشعور أهل الأديان جميعاً بأنهم متساوون في علاقاتهم بعضهم ببعض، وأنه ليس لدين معين الحق في فرض السيادة على الأديان الأخرى في أية صورة من الصور، والحقيقة أن استقلالية الحوار وديموقراطيته تتطلب إجراء تغييرات جذرية في تصور الأديان لذاتها ولعلاقاتها بالأديان الأخرى، وهي مسألة تبدو في غاية الصعوبة، ولكن يبدو أن استقلالية الحوار وديموقراطيته لا يمكن أن تتحقق بدون تضحية من بعض الأديان التي تعتبر نفسها ذات سيادة، وتمارس هذا الشعور نظرياً وعملياً في علاقتها بالأديان الأخرى.

فالديانات الأقدم في الظهور تعتبر نفسها أصلاً للديانات الأحدث، ومن ثم تنظر إليها نظرة لا تعترف فيها باستقلال هذه الديانات، وتصر على تبعية هذه الأديان لها، مثل هذه النظرة نجدها في علاقة اليهودية بالمسيحية والإسلام، وعلاقة المسيحية بالإسلام[1] ونجدها أيضاً في علاقة الهندوسية بالبوذية رغم أن هذه الديانات الأحدث في الظهور لها كيانها المستقل، بل ولها في معظم الأحوال رؤيتها التصحيحية للأديان السابقة عليها، ولكي تتحقق الديموقراطية في الحوار بين الأديان التي تنتمي إلى مجموعة دينية واحدة، وترتبط فيما بينها بتراث ديني مشترك. وتتشابه في بعض عقائدها، يجب أن تتحدد العلاقات على أساس من الاستقلال التام بينما تؤخذ العناصر الدينية المشتركة من معتقدات وعبادات على أنها أمور مدعمة للحوار بينها،

---

(١) لقد عبر «دوجلاس برات» عن هذا بقوله: «اعتقد المسيحيون لعدة قرون أن وحيهم ودينهم قد نسخ وحي اليهود واليهودية. وربما تبدو دعوى الإسلام أنه دين ووحي مهددة للمسيحية من هذا المنظور... إن توقيت ظهور الإسلام يمثل إشكالية لأنه لا يندرج تحت الفهم المسيحي الكلاسيكي للوحي... وإذا كان لا يندرج فهو إما أن يكون غير متصل بموضوع الوحي أو أن يكون ديناً مزوراً».

See, Douglas Pratt, The Challenge of Islam: Encounters in Interfaith Dialogue, Ashgate Hampshire and Burlington, 2005, P.196.

وتمثل القاعدة الدينية المشتركة التي تجعل الحوار ممكنا، وتؤخذ الاختلافات على أنها تمثل استقلالية الأديان، وتكون شخصياتها المستقلة وهويتها الدينية التي تميزها عن بقية الأديان.

ومن مظاهر الديموقراطية في الحوار الديني حق كل دين في التعبير الحر عن مفاهيمه واعتقاداته، وعن طريق ممثليه الشرعيين في الحوار وبدون تدخل من المحاورين غير المنتمين إليه، ويقتصر دور المحاورين من خارج الدين على طرح التساؤلات الهادفة إلى مزيد من الفهم وإعطاء رأي دينهم أو موقفه من المسألة المطروحة للبحث والحوار، وفي المحاولة المشتركة للوصول إلى حل معين أو موقف ديني موحد إن أمكن ذلك، أو في تبادل الآراء والتوفيق بينها للوصول إلى نوع من التقريب للرؤي المعروضة.

ومن مظاهر ديموقراطية الحوار عدم ممارسة الضغوط الدينية على المحاورين بهدف توجيه الحوار لخدمة هدف معين، أو توظيف الحوار لتحقيق مصلحة دينية خاصة على حساب الأهداف العامة المشتركة للحوار بين الأديان، إن هدف الحوار تبادل الآراء لا رفضها، فلا سيد ولا مسود في الحوار بين الأديان من حيث المساواة التامة بين المتحاورين وبين دياناتهم.

ومن طبيعة الحوار الاستمرارية، وهي مطلوبة في كل أشكال الحوار مثل الحوار السياسي والاقتصادي، لكنه في هذه الأشكال قد يصل إلى نهاية مع تمام الوصول إلى حلول للمشاكل السياسية والاقتصادية، أو ينقطع قبل الوصول إلى هذه النهاية الإيجابية، أما الحوار بين الأديان فهو حوار متواصل لا ينقطع، فموضوعات الحوار لا تنتهي، ومجالات التحاور مفتوحة بصفة دائمة، وقضايا الأديان لا تتوقف لتقدم

الحلول للمشاكل الإنسانية المعاصرة[1] كما أن مشاكل الأديان في علاقاتها ببعضها البعض كثيرة وحساسة، وتحتاج إلى مثابرة وصبر، وجهود ضخمة من المتحاورين، وعادة ما يكون للحوار المحدود زماناً تأثيراً ضعيفاً وقيمة أقل، ولذلك من الأفضل أن يستمر الحوار، ويمتد لفترات زمنية طويلة حتى يتمكن المحاورون من تحقيق نتائج جيدة، بل ويقترح بعض المخططين للحوارات أن تنشأ علاقات شخصية طيبة وصداقات بين المتحاورين تضمن استمرارية الحوار بينهم فيما بعد[2].

إن الحوار بين الأديان عملية فكرية متواصلة ومستمرة ولا يمكن وضع نهاية لها، ولاستمرارية الحوار لا بد من تربية أجيال من المتحاورين وإعدادهم للعمل التحاوري بين الأديان باعتباره عملاً متواصلاً، فالتقاء الأديان من الأمور المطلوبة والحتمية ويساعد على استمرار الثقة في ضرورتها وأهميتها، والإيمان بأهداف الحوار، والرغبة في تحقيقها، والإخلاص لها.

كما أن صعوبات الحوار بين الأديان تحتاج إلى إيمان عميق بقيم الحوار الروحية والإنسانية كما تحتاج إلى الإعداد الروحي والعلمي من جانب المتحاورين بل هي تتطلب عدة مواصفات وشروط في المتحاور، وتوفر عدة شروط وآداب للحوار.

ويعتمد الحوار على معيار الروحانية واستيعاب القيم الدينية الموجودة في الأديان المتحاورة، فهو حوار روحاني يهدف إلى توصيل القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية التي تحتوي عليها ديانات العالم إلى كل المؤمنين بهذه الأديان، وهذا بخلاف الحوار

---

(١) محمد عبد الرحيم الزيني، منهج الحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد ٢٩، بيروت صيف وخريف ١٩٩٩م، ص ٦٥.

(٢) David R. Smock, ed, Interfaith Dialogue and Peacebuilding, United States Institute of Peace, Washington, D.C, 2002, P.130- 131

السياسي والاقتصادي وغيره من أشكال الحوار التي تهتم بقضايا وقتية تنتهي بانتهاء أسبابها، أو بتمام الوصول إلى علاج لها، أما قضايا الحوار بين الأديان فهي قضايا روحانية في طبيعتها والحوار حولها ينمي الشعور الديني العام، ويثرى الخبرة الدينية لدى المتحاورين، ويؤدي إلى تغير في الشخصية الدينية فيعمق فهمها لذاتها وفهمها للآخرين حيث يكتسب المحاور خلاصة الفكر الروحي في كل الأديان؛ ولأن الحوار بين الأديان حوار روحاني فهو يحتاج إلى لغة دينية قادرة على توصيل المادة الروحية والقيم الدينية الكامنة في الأديان، ولتحقيق هذا لا بد من الابتعاد عن لغة الجدل الديني الدفاعي والهجومي لأنها لغة تنفير وطرد للروحانية، وإيقاظ أو إثارة لعوامل الصراع، والتحدي، والنزاع بين الأديان، إن الحوار عملية تثقيف ديني متواصلة لأطراف الحوار ترفع من مستوى التفكير الديني عندهم، وتسمو بأرواحهم في عالم من القيم الدينية والأخلاقية التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني، وشكلت روح الإنسان وعقله منذ بداية التاريخ، ويتوقع من الحوار بين الأديان أن يكون تأثيره الروحي عاماً بما يطور من مفاهيم روحية سامية وقيم دينية وأخلاقية رفيعة.

وقد اهتم بعض الدارسين في الغرب بهذا الجانب الروحي في حوار الأديان فنجد مثلاً ليونارد سودلر يحدد لحوار الأديان ثلاثة مجالات. الأول هو المجال العلمي حيث التعاون على مساعدة الإنسانية، والثاني هو المجال الروحي أو «التعمق الروحي» من الداخل، أما المجال الثالث فهو المجال المعرفي حيث يسعى المحاور إلى فهم الحقيقة[1].

---

(١) Leonard Swidler, Theoria- Praxis: How Jews, Christians and Muslims come together More from Theory to Practice, Leuren, Belgium, Uitgererij Peeters, 1998, P.24

المبحث الثالث: آداب الحوار

ازدادت أنشطة الحوار في العصر الحديث، وتجاوزت كثيراً حـدود اسـتخدام الحوار في الدعوة الإسلامية أو في التنصير، ولقد انطلقت حـديثاً دعـوات حـوار الأديان، وحوار الثقافات، أو حوار الحضارات، لكي تعطي للحوار استخداماً أوسع وتأثيراً أكبر في المجالات الدينية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتـصادية، واتسعت دائرة استخدام الحوار من الدائرة الفردية (حوار الفـرد مـع الفـرد) إلى حوارات جماعية عبر عنها المجتمع الحديث مـن خـلال المـؤتمرات والنـدوات، والمنتديات، والمحاضرات، والموائد المستديرة، وورش العمل، والفرق البحثية إلى غـير ذلك من الآليات التي تدار من خلال الحوار، ومع اتساع دائرة الحوار واسـتخداماته زادت آدابه وضوابطه.

وفيمـا يلي عرض للآداب التي أقرها الإسلام موزعـة بـين آداب للحـوار مصدرها القرآن الكريم، وآداب للحـوار مصدرها سنة الرسـول ﷺ، وبعـضها بطبيعة الحال يجمع بين المصدرين معاً. وننهي الحديث عن آداب الحـوار بمجموعـة أو منظـومة من الآداب التي حمـلها لنا العـصر الحـديث مـن خـلال هـذه الاستخـدامات الحديثة للحـوار. وهي وإن حملت مسميات مختلفة مثل ضوابط، أو بروتوكولات، أو غير ذلك، فهي بلا شك تدخل في دائرة الآداب، وسنعرضـها على أنـها آداب حـديثة للحوار تفرقة لها عن آداب الحوار في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

أولاً: آداب الحوار في القرآن الكريم:

نظراً لأهمية الحوار في الدعوة الإسلامية وفي التعامل الإنساني على اختلاف أشكاله، فقد أعطي القرآن الكريم مجموعة من الآداب تكون منظومة قرآنية للحوار وآدابه، ومن أهم هذه الآداب:

١- الحوار الحسن كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥) أي من «احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب»[1]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٦). وفي تفسير الطبري: «لا تجادلوا اليهود والنصارى إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه»[2]. وعن مجاهد «إن قالوا شراً، فقولوا خيراً»[3] ويعني هذا الالتزام في الحوار بالتعبير المهذب، والقول اللين المتسامح بصرف النظر عن سلوك الطرف الآخر في الحوار، وقد أضيف إلى هذه المعاني الثابتة ما يفهم منه «اللغة السهلة الواضحة الشفافة لما لها من أثر حسن في تألف السامع وجلب اهتمامه وتنفر من اللغة المتقعرة المعقدة المتكلفة لما لها من أثر سيء في استصعاب السامع ما يلقي إليه من مقال....»[4].

٢- القول الطيب كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥٩٢/٢.
(٢) الطبري، ١/٢١.
(٣) المصدر السابق، ص١.
(٤) حسن الوراكلي، مرجع سابق، ص٥٣٣-٥٣٤.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٥) وهي صفة في الحوار مكملة للحوار الحسن، ومؤكدة على أن الكلام الطيب في الحوار يساعد على كسب ثقة الطرف الآخر ووده وصداقته، وهي صفات مطلوبة في الحوارات الحديثة التي تأخذ شكل ندوات، أو منتديات على عدة أيام لا بد وأن يحدث فيها التآلف والود من خلال الكلام الطيب المحمود المقبول الحسن كما في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣) وهي صفة تشير إلى معاني البر والعدل والحسن النافع فضلاً عن التلطف بالقول، والمجاملة بالخطاب[١].

٣- اللين في التعامل في الحوار كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩) أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك[٢] وهي تشير إلى صفات اللين والرحمة، والبعد عن الفظاظة والغلظة، لأنها صفات منفرة في الحوار، وتسبب الجفوة بين المتحاورين[٣] وتؤثر سلباً على الحالة النفسية للمتحاورين، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤).

٤- الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥) وكذلك

---

(١) عبد الستار الهيتي الحوار. مرجع سابق، ص ١١١.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤٢١/١.

(٣) محمد حسون، من علل المحاورة، مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤٨٢، شوال ١٤٢٦هـ، ص٤٦.

في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣) وهذه الآيات الكريمة تدعو إلى التزام الحكمة والموعظة الحسنة في إقناع الطرف الآخر في الحوار. وهذا الأسلوب في الحوار يساعد على الوصول إلى الحقيقة، والتقريب بين الأفكار، وخلق أجواء مناسبة للحوار.

٥- التزام حدود الأدب وعدم السقوط في السباب كما في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١٠٨) وهذه الآيات تحث على الاحترام المتبادل وعدم اللجوء إلى السباب، واللعان، والشتم مما لا يجوز في حوار ديني، أو ثقافي، فهناك ضرورة للالتزام بحدود الأدب العام فضلاً عن أدب الحوار ذاته.

٦- صفة التواضع كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم:٣٢) وتحتوي هذه الصفة في الحوار على عدة أمور منها البعد عن الكبر والغرور مما يتنافى مع صفات العلماء، ومنها تجنب عدم احترام المحاورين، أو تجاهل آرائهم، ومن التواضع الصمت، وحسن الاستماع، وحسن الحديث، وعفة اللسان، وعدم الإسراف في المدح، وعدم المبالغة في الذم، وتجنب الحديث عن النفس، ومن علامات التواضع الحوار الهادي المهذب، المرن، المتسامح، والقائم على الاحترام والتقدير[1].

---

(١) عبد الستار الهيتي مرجع سابق ص ٨١- ٨٨؛ وانظر أيضاً: بركات محمد مراد، القرآن والسنة النبوية الشريفة أساساً للجدل والمناظرة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٨٣ السنة ٤٢ شوال ١٤٢٦هـ/ نوفمبر ٢٠٠٥م، ص ٤٦.

٧- العدالة والمساواة: وهي من الصفات المهمة في الحوار لضمان إنصاف المتحاورين، وتأكيد قيمة العدل والمساواة في الحوار[1]. والآيات القرآنية التي تحض على العدل، والقسط، والمساواة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء: ٥٨) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨) وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (الأنعام:١٥٢).

٨- الاستشارة والمشاورة في الحوار، وهي صفات واجبة من أجل ضمان ديموقراطية الحوار، وعدم هيمنة طرف من أطراف الحوار عليه، كما أن المشورة بين أعضاء الدين الواحد داخل الحوار مطلوبة حتى لا يهيمن عضو واحد برأيه على بقية الأعضاء، ولا يجب أن يقطع بأمر أو يتخذ قراراً دون الرجوع إلى زملائه المتحاورين، وفي هذا يمكن الأخذ بمضمون الآيات القرآنية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ثانياً: آداب الحوار في السنة النبوية الشريفة:

تعتبر سنة الرسول ﷺ المصدر الثاني لآداب الحوار عند المسلمين، فقد احتوى الحديث النبوي على مضامين أصلية في آداب الحوار، كما اشتملت سنته ﷺ على العديد من الأفعال التي تضمنت بعض صفات الحوار وآدابه، ويعتبر الرسول ﷺ نموذج المحاور المسلم، وهو المحاور الأول في الإسلام، وواضع أسس وتقاليد الحوار، وهو الأسوة الحسنة في كل الآداب المتعلقة به، وتتراوح هذه الآداب النبوية بين

---

(١) بركات محمد مراد، مرجع سابق، ص ٤٥.

الإخلاص والصدق، والصبر، والحلم، والأناة والدماثة واللطف، والكياسة والفطنة والتقدير، والرفق والمرونة، والتسامح واللباقة، وحسن الخلق، وقد كان الرسول ﷺ في حواره مع أهل قريش ومع أهل الكتاب، أعظم الناس خلقاً، وأوفرهم رفقاً، وأكثرهم شفقة[1] وكان الرسول ﷺ أكثر الناس أدباً في الحوار والسلوك وأشدهم حياء وأوفرهم مجاملة للآخرين[2] وكان حواره ﷺ يأخذ لكل حالة مقتضاها في نطاق من: «نصاعة البيان، وسلاسة القول، ورقة الحوار، وسعة الصدر، وجلال التسامح، وكظم الغيظ، ويسر الإقناع...» [3].

وتشير بعض الأحاديث النبوية إلى بعض آداب الحوار، ومن بينها: روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «...**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»[4] وفي الحوار تضمن الكلمة الطيبة حواراً جاداً بعيداً عن الأساليب البذيئة، والألفاظ والكلمات الجارحة التي قد تؤدي إلى فشل الحوار[5] ومن ذلك أيضاً قول الرسول ﷺ: « **اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[6] وفي توخي اللين، والسهولة، واليسر قوله ﷺ: «**من كان هيناً ليناً سهلاً قريباً حرمه الله على النار**»[7] وقوله ﷺ: «**إِنِّي**

(١) حسن الوراكلي ، مرجع السابق، ص ٥٢٩ - ٥٣٠.

(٢) فوزي فاضل الزفزاف، أدب الحوار في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. مجلة منبر الإسلام، السنة ٦٤ العدد ٥ جمادي الأولى ١٤٢٦هـ/ يونيو ٢٠٠٥م، القاهرة، ص ٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٥-٣٦.

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة مرفوعاً، باب من أخذ بالركاب ونحوه، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، ٦٩٩/٢.

(٥) عبد الستار الهيتي، مرجع سابق ، ص ٨٨.

(٦) متفق عليه من حديث عدى بن حاتم مرفوعاً أخرجه البخاري في صحيحه مكرراً، ٢٤٠٠/٥، كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، ٧٠٣/٢، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، حديث رقم ١٠١٦.

(٧) أبو بكر احمد بن الحسين شعب الإيمان للبيهقي تحقيق محمد السعيد بسيوني، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ) ٢٧١/٦.

لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[1] وفي الرفق والحلم والأناة قوله ﷺ: « **إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ** »[2] وكذلك الحديث: « **إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»**[3] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: « **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ** »[4].

وعن التواضع، والبعد عن التكبر والغرور في الحديث والحوار، وكراهية التفاصح في الكلام والإغراب به ما رواه جابر، رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ قوله: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ، قَالَ: **الْمُتَكَبِّرُونَ**»[5] وكذلك وصفت السيدة عائشة، رضي الله عنها، كلام رسول الله ﷺ: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه»[6].

كانت هذه بعض صفات رسول الله ﷺ التي كانت تتضح في حواره مع غيره من البشر: أفراداً كانوا أم جماعات، حضراً كانوا أم بدواً، مشركين كانوا

---

(١) صحيح مسلم ، ٢٠٠٦/٤، كتاب البر والصلة باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٠/٤، من حديث عائشة مرفوعاً كتاب البر والصلة باب فضل الرفق، حديث رقم ٢٥٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٠/٤، من حديث عائشة مرفوعاً البر والصلة باب فضل الرفق حديث رقم ٢٥٩٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ٤٨/١، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله، حديث رقم ١٧.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، ٣٧٠/٤ من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الهدى في الكلام، رقم الحديث ٤٨٢٩، ١٢٦/١٣.

أم مؤمنين، كتابيين كانوا أم مسلمين، أنصاراً كانوا أم مهاجرين.[1]

ثالثاً: ضوابط وبروتوكولات حديثة للحوار:

هناك مجموعة من آداب الحوار تم التركيز عليها حديثاً مع تطور حوارات الأديان، وحوارات الثقافات والحضارات في العصر الحديث. وعلى الرغم من أن هذه الآداب حملت مسميات أخرى مثل «ضوابط» أو «بروتوكولات» أو «أمور تنظيمية» فإنها جميعاً لا تخرج عن دائرة آداب الحوار. وبداية لا بد من الإشارة إلى أن بلدان العالم الإسلامي تفتقد تقاليد الحوار بين الأديان وتعاني من عجز في هذا المجال بسبب عدم تأسيس مؤسسات لحوار الأديان، ولأن العمليات الحوارية فيها لا تزال في بداياتها[2] ومن ناحية أخرى لا تزال حوارات الأديان تمثل جزءاً من دبلوماسية المؤسسات الدينية العالمية، ومن سياساتها الخارجية الأمر الذي أحاطها بالعديد من البروتوكولات المأخوذ بها في الأنشطة الدبلوماسية والسياسية، ومن الضروري الإشارة أيضاً إلى أن حوارات الأديان ترتبط في معظم الأحوال بالأنشطة السياسية للدول الإسلامية، وتقوم عليها وزارات الخارجية أكثر من كونها نشاطاً دينياً علمياً عاماً مفتوحاً للجميع، وقد سيطر عليها رجال السياسة والدبلوماسية لكونها تابعة لمؤسسات وزارات الخارجية، كما أنها على المستوى الدولي لا تزال تابعة للمنظمات الدولية المنبثقة عن الأمم المتحدة، وعن المنظمات الدولية الغربية عموماً، وفي العالم الإسلامي تتبع أنشطة حوار الأديان والحضارات المؤسسات الرسمية الحكومية، وعلى الأخص وزارات الخارجية، ويكفي أن نعطي مثالاً على هذا تأسيس مفوضية حوار الحضارات بجامعة الدول العربية، وتأسيس شعبة بوزارة الخارجية المصرية لحوار الحضارات والأديان، وسيطرة المؤسسات الدينية الرسمية مثل الأزهر والكنيسة على

---

(١) الشيخ فوزي فاضل الزفزاف، أدب الحوار في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢) نبيل عبد الفتاح، الدين والحوار في القضاء المتوسطي، في كتابه سياسات الأديان، الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٥ م ص١١٨.

اختلاف مذاهبها على أنشطة الحوار.

ومن الطبيعي أن تتأثر هذه الأنشطة الخاصة بحوار الأديان والحضارات داخل مؤسسات وزارات الخارجية والمنظمات الدولية، وفي الفاتيكان والأزهر، بالنظام البروتوكولي الذي تتبعه الهيئات الدبلوماسية، والذي فرض شكلاً خاصاً لآداب الحوار يختلف كثيراً عن آداب الحوار كما نشاهدها في مؤتمرات الجامعات، والمؤسسات التعليمية والبحثية، حيث يخف الشكل البروتوكولي، وتأخذ الأمور التنظيمية الشكل العادي لتنظيم المؤتمرات والندوات، وهكذا يطغى الطابع السياسي على حوار الأديان والحضارات إلى حد يمكن القول معه: إن الحوار أصبح أحد الأنشطة السياسية والدبلوماسية الهادفة إلى توظيف الدين، والأديان، والحضارات توظيفاً سياسياً لتحقيق عدة أهداف من بينها على المستوى العالمي رغبة بعض المؤسسات الدينية العالمية في أن تلعب دوراً أساسياً في العلاقات الكونية، والمساهمة في صياغة هذه العلاقات، وتوظيف الدين في مناطق التوتر والحروب الأهلية تبريراً للعنف والمصالح والسياسات[1] واستخدام الحوار كورقة للتعامل مع الدول والمؤسسات الدينية لحماية الأقليات الدينية والعرقية، وتوظيف الحوار أيضاً كأداة لتعبئة الموارد المالية والمعونات والمنح من الحكومات والمنظمات الدولية والإقليمية، هذا بالإضافة إلى استخدام الدين والحوار كوسيلة سياسية دفاعية ووقائية لمنع الأزمات والمشاركة في حل النزاعات الدولية[2].

هذا الطابع السياسي والدبلوماسي الغالب على الحوار في العصر الحديث أدى إلى تطور بعض آداب الحوار الجديدة التي غلبت عليها آداب الدبلوماسية وأخلاقياتها،

---

(١) نبيل عبد الفتاح، الدين والحوار في القضاء المتوسطي، في كتابه سياسات الأديان، الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة (القاهرة: سلسلة العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٥م) ص٤٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٩٦.

ومن هذه الآداب ما هو إيجابي، ومنها ما هو سلبي، أما الإيجـابي منـها فيرتـبط بالأخلاقيات الرفيعة والعالية للدبلوماسية، وما طورته من مراسم وبروتوكولات هي في حقيقتها مجموعة من الآداب المرتبطة بالسلوك والعلاقات داخل إطـار العمـل الدبلوماسي، وما يتصف به الدبلوماسي عموماً من الأخلاقيات الحميـدة، ومـن قدرات تفاوضية تصب في النهاية في مصلحة الحوار، ومن آداب دبلوماسية عالميـة، أما السلبي في هذه الآداب فيظهر في عملية التوظيف الـسياسي للحـوار الـديني والحضاري، وما يرتبط بهذا التوظيف من تحقيق مصالح سياسية قد تتناقض مع آداب الحوار، أو تؤدي إلى بروز سلوكيات سـلبية منها توجيـه الحوار وجهة غير دينية أو حضارية، وإخضاعه للسياسة بما تحتويه من سلبيات المجاملات الرسميـة، والأداء التمثيلي الذي يخفي وراءه قناعات سياسية تضر بالحوار وأهدافه، وأشكال من النفاق السياسي الذي يتحول في الحوار الديني إلى نفاق ديني، ومراوغات دينية لا تـصلح، بل لا تتفق مع طبيعة الأديان والثقافات.

ومن أهم الضوابط التي اكتسبها الحوار في فترته الحديثة ما يمكن تسميته بضوابط علمية وأكاديمية انتشرت أصلاً مع انتشار المؤتمرات والندوات على الساحة العلميـة والأكاديمية، ومن أهم هذه الضوابط إحاطة المحاور بالمعرفة العلمية اللازمة لموضوعه على اتساعه، ففي الحوار الديني يجب أن يكون المحاور عارفاً بدينه معرفـة علميـة تخصصية، وعارفاً بالأديان الأخرى التي يتوقع الدخول معها في حوار، وعارفاً بالمنهج في مقارنة الأديان، وبالعلوم الدينية المختلفة التراثية منها والحديثة، وأن يكون علـى إحاطة جيدة بأساليب الحوار والخطاب الـديني وبـالمنطق، والـتفكير العلمـي، والفلسفة، وعلم اللاهوت، وبالنصوص الدينية المقدسة في الأديـان المختلفـة، وفي الحوار الحضاري يحتاج المحاور إلى معرفة جيدة بالحـضارة والثقافـة كمفـاهيم،

وبالثقافات والحضارات الأجنبية، وبطبيعة الحضارة الإسلامية وميادينها المختلفة، وبالحضارة الغربية على وجه التخصيص نظراً لأن حوار الثقافات والحضارات في معظمه حوار مع الحضارة الغربية، ومن الناحية العلمية أيضاً يجب أن يكون المحاور على معرفة بلغة أوربية على الأقل معرفة ممتازة على مستوى الحديث والكتابة، وتعتبر هذه الاحتياجات العلمية واللغوية من الضوابط لأنه بدونها لا يمكن أن ينجح الحوار، ومع وجود المحاور الجاهل يكسب الطرف الثاني في الحوار كسباً مباشراً، وبأقل مجهود ممكن، ونؤكد هذا الضابط لأنه لوحظ في العديد من حوارات الأديان والحضارات وجود ممثلين مسلمين غير متخصصين، وتكون الحصيلة الإسلامية من الحوار ضعيفة جداً في حين أن ممثلي الغرب في حواراته يتم اختيارهم بدقة متناهية من بين العلماء المتخصصين(١).

وهذا الضابط العلمي ليس جديداً علينا كمسلمين، فقد نصت العديد من الآيات القرآنية على ضرورة العلم في المسائل الحوارية والجدلية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (الحج:٨) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥) وهو الأمر بالجدل مع العلم والإتقان ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٦) وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (غافر:٥٦) ويرى الدكتور عبد الستار الهيتي أن

(١) الشيخ يوسف القرضاوي، الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٦ السنة ٢٢ رمضان ١٤١٨ ديسمبر ١٩٩٧م، القاهرة، ص ١٦٥.

«الواجب على من يتصدى للحوار أن يكون على بينة من الموضوع الذي يحاور فيه، حتى لا يكون بعيداً عن منطق المعرفة والموضوعية في عملية التحاور... كما أن عليه أن يكون ملماً بالثقافة المضادة التي يملكها الطرف الآخر ليسهل عليه الوقوف على نقاط الضعف والقوة عند خصمه، وليستطيع الموازنة والمفاضلة بين الفكرتين بمنطق العقل والعلم والدليل»[1] وتؤكد الآيات السابقة منع الجدال لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده فالعلم الأساس الأول من أسس الحوار[2].

وبالإضافة إلى هذا الضابط العلمي المهم في الحوار أفرزت الحوارات والمؤتمرات، والندوات بشكل عام مجموعة من الضوابط السلوكية التي يجب أن يتحلى بها المحاور[3]، ومن أهمها الالتزام بمواعيد المؤتمر ومحاوره، ومواعيد الجلسات، والالتزام بالوقت المحدد لكل محاور وعدم تجاوزه، وعدم الخروج على نظام الجلسات والحوار، وطاعة رئيس الجلسة، وعدم مقاطعة المحاورين الآخرين، والالتزام بنظام الأنشطة والمداخلات والوقت المحدد لها، والالتزام بترتيب المتحدثين في الحوار، وعدم الخروج على الضوابط الخاصة بالعلاقات الرسمية والإعلامية، وعدم الإدلاء بأحاديث إعلامية، والالتزام بعدم إفشاء أسرار الجلسات السرية أو الجلسات الخاصة غير المفتوحة للجمهور، وعدم الإعلان عن التوصيات قبل إعلانها رسمياً من قبل المسؤولين عن الحوار أو المتحدث الإعلامي للحوار.

---

(١) عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) حسن الوراكلي، مرجع سابق، ص ٥٢٦-٥٢٧.

(٣) تحدث د. حسن الوراكلي عن ضوابط سلوكية عامة مثل الكلام الطيب، والحديث المؤدب، والقول الثابت، وحسن الاستماع، وطلاقة الوجه، والبشاشة واللطف، والمسارعة في الإقرار بالحق، والإعراب عن إيجابيات الرأي الآخر، والاحترام والتقدير والود، انظر: حسن الوراكلي، ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين، مرجع سابق ص ٥٣١.

المبحث الرابع: عوائق الحوار وإشكالياته

يعاني الحوار من عدة إشكاليات تمثل في كثير من الأحيان عوائق تمنع الحوار من التطور والتقدم، وتحد من حركة الحوار وحريته، وتؤثر في النهاية في نتائجه ومعطياته، وتقلل من تأثيره، وفيما يلي مناقشة لأهم هذه العوائق والإشكاليات:

أولاً: إشكالية العلاقة بين الحوار والدعوة، والتنصير:

من المعروف بداية أن المسلمين استخدموا الحوار - منذ ظهور الإسلام - كوسيلة أساسية من وسائل الدعوة الإسلامية، ولا يزال الحوار يحتل هذه الوظيفة الثابتة كآلية من آليات الدعوة استنادا إلى مشروعية الحوار في الكتاب والسنة.

أما الطرح الحديث والمعاصر للحوار فهو طرح مختلف ينظر إلى الحوار على أنه وسيلة فهم لتحقيق التفاهم بين الشعوب وبين الثقافات والأديان من أجل تحقيق التعايش فيما بينها في عالم زاخر بالمشكلات المهددة لسلام الشعوب على المستويات السياسية والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والدينية، واستناداً إلى هذا الطرح الجديد تعددت أنواع الحوار وأشكاله فاتخذ أحياناً شكل المفاوضات في المجالات السياسية والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، واتخذ أحياناً أخرى شكل الحوار في المجالات الثقافية والدينية، فقد فرضت طبيعة المجال شكل الوسيلة المستخدمة بين مفاوضات أو حوارات، وقد استخدم مصطلح «الحوار» أحياناً في معنى «المفاوضات» في مثل مصطلحات «حوار الشمال والجنوب» أو «الحوار المتوسطي» (حوار شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط) أو «حوار الغرب والشرق» وكلها مصطلحات تنحو نحو المفاوضات بالمعنى السياسي والدبلوماسي،

وذلك على خلاف مصطلحات «حوار الثقافات»، «حوار الحضارات» و«حوار الأديان» فهي تشير إلى حوار، وليس إلى آلية تفاوضية.

والإشكالية التي نركز عليها هنا هي إشكالية التداخل بين الحوار في مجال الدعوة، والحوار - حسب الطرح الجديد- في مجال الأديان، والثقافات، والحضارات، وإذا كان من الممكن التمييز بين حوار الدعوة، وحوار الثقافات والحضارات، فمن الصعب التمييز بين «حوار الدعوة» وحوار الأديان، وقد عبر حسن الوراكلي عن جزء من هذه الإشكالية في قوله: «قد يتبادر إلى أذهان البعض أن المدارات الموضوعية للحوار الحضاري عند المسلمين مقصورة على الديني من الموضوعات دون سواه كالاجتماعي، والاقتصادي، والفكري، والسياسي وغيره... حقاً إن الموضوع العقدي، وضمنه الموضوع الدعوي - يحتل الصدارة في غير نص من نصوص القرآن الكريم التي وُظِّفت فيه آلية الحوار، وكذلك شأنه في غير حديث من أحاديث المصطفى ﷺ، لكن ذلك لم يكن القصد منه قصر الحوار على هذا الموضوع أو حبسه داخل دائرته، بل كانت الغاية منه - والله تعالى أعلم - أن بناء العقيدة وتثبيت أسسها في العقول والنفوس كان مطلباً رئيساً وجوهرياً في كافة الرسالات السماوية ، وذلك باعتبارها لب المنظومة التصورية والثقافية والحضارية للإنسان»[1] ويضيف شارحاً: «إن المسلم ... يسعه أن يحاور (الآخر) في كافة الموضوعات... إن قضايا الاجتماع، والاقتصاد، والفكر والسياسة جميعها صالحة بأن يدار حولها الحوار بين المسلمين فيما بينهم وبين المسلمين وغيرهم ... ومن يقل بقصر حوار المسلم -وبخاصة مع غير المسلم- على الموضوع الديني دون سواه فقد

---

(١) حسن عبد الكريم الوراكلي، ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين تأملات في سؤال المفهوم والإجراء، أعمال ندوة: الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز. المجلد الثاني ، الرياض ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٥٢١.

ضَيِّق واسعاً وحَجَّرَ مرناً... فالإسلام خطاب إلهي للناس قاطبة... غايته تنظيم حياة الإنسان في جميع مجالاتها...» [1] .

إن الظروف التي نشأ فيها «الحوار بين الأديان» الحديث والمعاصر لا تسمح بشكل مباشر أن يكون استخدام الحوار استخداماً دعوياً مباشراً، وإن كنا لا نشك في أن هدف الفاتيكان من تدشين حوار الأديان لا يخلو من الهدف التنصيري الذي يستهدف شريحة من الناس هم العلماء ورجال الدين الذين قد يصعب تنصيرهم بالوسائل التنصيرية التقليدية، ويحتاجون إلى وسيلة أو آلية عقلية تناسب مستواهم الفكري والديني والثقافي المعقد، ألا وهي وسيلة الحوار[2]، وقد عبَّر هشام المكي عن هذا التخوف في قوله: «فالحوار الذي يتم الآن تحت اسم حوار الأديان أو المسيحية والإسلام هو حوار في المجال الديني، ويديره الغرب بقصد التنصير بينما يكون قصد المسلمين (بسذاجة) هو حوار الأديان فعلاً، كما أن منطق الطرف الغربي منطق خداعي ما دام اتخذ الحوار مطية للتنصير ... كما أن حوار الأديان يهدف فقط إلى التنصير ونشر المسيحية ولو أدى الأمر إلى تشويه الديانات الأخرى..» [3].

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٢٣.

(٢) يرى محمد أركان أن هناك في العالم المسيحي من يفهم أن الحوار هو إيصال رسالة المسيح إلى الأمم الأخرى. وأن الحوار جزء لا يتجزأ من سياسة التنصير. ويشير إلى اجتماع رؤساء المجلس البابوي للحوار مع الأديان مع مسؤولي منظمة تنصير الناس عام ١٩٨٦م لتحديد العلاقة بين الحوار والتنصير، وتوصلوا إلى قرار يؤكد على صلة الحوار العضوية بالتنصير. ويعرض أيضاً رأيا يعتبر الحوار نوعاً من التنصير، وأن الحوار وسيلة تفتح الأبواب للحركة التنصيرية. انظر: محمد أركان، »«تطوير الحوار بين المسلمين والنصارى وبعض المقترحات اللازمة لذلك»، ندوة الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض، ١٤٢٥/٢٠٠٤م، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٣) هشام المكي، نظرات في حوار الحضارات .. نحو إمكانية حقيقية للحوار، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، السنة ١٠، منتدي الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ربيع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٥٥ - ١٥٦.

والحل الذي يطرحه هشام المكي لهذه الإشكالية هو الدخول بذكاء فيما يسميه «حوار البداية» الذي يهدف إلى «تحقيق التعايش وتحقيق الندية، وجلب الرغبة الحقيقية في التعارف مع الانتباه إلى المنطق الخداعي لدى المحاور الغربي»[١].

ويستخدم هشام المكي مصطلحات جديدة ليعبر عن طبيعة الحوار المطلوب، فهو يستخدم «حوار البداية» أي الحوار الذي يحقق التعايش، و«حوار النهاية» أي الحوار الذي يحقق التعارف، ويسمي الحوارين معاً بحوار التعايش، وحوار التعارف[٢] ربما بهدف التفرقة بينهما وبين حوار الدعوة.

وعلى كل حال، تمثل إشكالية العلاقة بين «حوار الدعوة» أو «حوار التنصير» وحوار الأديان إحدى المسائل المهمة التي يجب مناقشتها على المستويين النظري والعملي لوضع الحدود بين الحوارين من أجل التحكم في اتجاهات المحاورين وغاياتهم، وإذا لم يتم النجاح في هذا فإن «حوار الأديان» سيصبح جزءاً من حوار الدعوة أو التنصير، ويفقد بذلك استقلاليته وفوائده فيما يتعلق بتحقيق التعايش والتعارف، وتزداد المشكلة حدة إذا ما أخذنا في الاعتبار حقيقة أن الدعوة جزء لا يتجزأ من بنية الإسلام، فهي تمثل العنصر الأساسي في استمرارية وجود الأمة الإسلامية، وهي من الواجبات المطلوبة من كل مسلم[٣] ولذلك يصبح من الضروري التوفيق بين حوار الدعوة وحوار الأديان لأن المسلم مشغول ومهتم بالاثنين معا في وقت واحد.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٢) نفس المرجع ص ١٥٦ ، ١٥٧ وقد أشار إلى استعارته هذا التفسير الثنائي للحوار من مقال: أبو يعرب المرزوقي، مقومات الحوار السوي بين الحضارات وشروطه، مجلة المنهاج العدد ٢٢ عام ٢٠٠١م.

(٣) Douglas Pratt, The Challenge of Islam, P. 154. See also, Ataullah Siddiqui, Christian Muslim Dialogue in the Twentieth Century, London, Macmillan 1977, P.70

ثانياً: إشكالية التوظيف السياسي للحوار في مجال الأديان والثقافات:

هذا التخوف تم إثباته بعد إعلان نظرية «هنتنجتون» الخاصة بصدام الحضارات وصراع الأديان حيث تم تسييس الحضارات والأديان وتكوين نظريات صراعية في علاقات الشعوب علي أسس حضارية ودينية[1] وعلى حسب رأي وجيه كوثراني فإن هذا يصب في «منطق الوظائفية السياسية للاستراتيجيا الأميركية أو في صياغة التصورات الأمريكية للسياسات العامة حيال العالم، وحيال العالمين الإسلامي والعربي على وجه خاص»[2].

إن حوار الحضارات تحول إلى هدف للسياسة الأميركية حسب رأي أحمد الموصلي حيث يقول: «واليوم تزيد الولايات المتحدة من عوائق التجديد عبر رسم استراتيجيتها من خلال العامل العسكري على حساب المنظومات الاقتصادية والسياسية وحتى حوار الحضارات»[3].

وكما يرى «أنطوني سوليفان» إن نظرية «هنتنجتون» - رغم تراجع صاحبها عن بعض عناصرها- قد تثبت في النهاية صحتها فهو يقول: «إن الحرب الحالية ضد الإرهاب قد يتطور إلى صراع بين الحضارات هناك ظلام تفشي الآن في العالم وحرب رئيسة بين الحضارات تبدو احتمالاً قوياً، وقد تثبت أقسى المفارقات أنه حتى وإن ارتد «هنتنغنون» عن تكهناته عام ١٩٩٣م إلا أن التطورات الدولية وصلت إلى درجة تنبئ بأن نظرية عام ١٩٩٣م قد تثبت في النهاية صحتها»[4].

---

(١) جبسون إرب ونهى بكر، صدام أم حوار بين العرب والغرب: الواقع وتفسيره، نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد ٣٢، شتاء ٢٠٠٤م، عمان، ص ٢٥.

(٢) وجيه كوثراني، فوكوياماو هانتنغتون والإسلام، مجلة الاجتهاد، العدد ٤٩ ، السنة ١٢ بيروت، شتاء ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ١٧٨.

(٣) أحمد الموصللي، التجديد والتحديات المعاصرة في العالم الإسلامي، مجلة: حوار العرب، العدد ٢ السنة الأولى، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٦٣.

(٤) أنطوني ت: سوليفان ، الغرب والعالم الإسلامي: البحث عن بداية جديدة، ترجمة مروان حمدان، نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد ٢٣ عمان، صيف ٢٠٠٢م، ص ٦.

هذا التوظيف السياسي للحوار سيؤدي إلى الفشل في تحقيق هدف التفاهم والتعايش بين الشعوب، ويضع نهاية حتمية للتقارب الحضاري، وسيؤدي أيضاً إلى وقوع انتكاسة حضارية كبرى وتخلف حضاري نتيجة للعزلة التي يفرضها هذا التوظيف السياسي على الحضارات الإنسانية[1].

ثالثاً: إشكالية التمثيل الديني والثقافي في الحوار:

إحدى الإشكاليات المهمة في مجال الحوار مسألة من له حق تمثيل الدين، أو الثقافة، في الحوارات الدينية والثقافية الدائرة، ومن أهم أسباب إثارة هذه المسألة التعدد الملحوظ في المذاهب، والفرق الدينية، والأيديولوجيات المختلفة الموجودة داخل دين واحد أو داخل ثقافة واحدة والكل يدعى أنه صاحب الرؤية الأصلية، وصاحب الاتجاه الأساسي داخل الدين والثقافة، ولكي تتضح الصورة نجد داخل المسيحية على سبيل المثال توجد الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية، وكل منها يتوزع إلى عشرات الفرق والجماعات، والسؤال المطروح هنا هو من يمثل المسيحية في حوارات الأديان من بين هذه المذاهب والفرق والجماعات المسيحية؟ وتتعقد المسألة إذا أضفنا الأيديولوجيات العديدة داخل المجتمعات الغربية، التي ترى أن لها حق المشاركة والتمثيل في الحوار، ومن بينها الحركات والأيديولوجيات العلمانية التي لها رؤية علمانية في المسيحية، أما بالنسبة للحوار الثقافي، فالمتدينون، والعلمانيون، وأهل الأيديولوجيات الثقافية المختلفة... كلهم جميعا يدعون حق التمثيل والمشاركة في الحوار.

---

(١) انظر: محمد خليفة حسن، المسلمون والحوار الحضاري مع (الآخر): نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات، العدد ٢، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٥ – ٤١؛ وانظر أيضاً: محمد فاروق النبهان، التصور الإسلامي لمنهجية حوار الحضارات، ندوة: الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣١٥.

وإذا انتقلنا إلى الإسلام سنجد نزاعا على حق التمثيل بين السنة والشيعة، بل وبين بعض الاتجاهات والحركات داخل السنة وداخل الشيعة، وهناك فرق تدعى الانتساب إلى الإسلام، أو حتى الاستقلال عنه، ولكنها تطالب بالتمثيل في الحوار مثل فرق البهائية، والبابية، والقاديانية، وفرق التصوف وغيرها.

وفي حالة علاج مشكلة التمثيل بقبول الجميع، كيف يمكن ممارسة الحوار دينياً كان أو ثقافياً؟ هل يعقد كل مذهب وكل فرقة أو جماعة حوارها الخاص، وتنفرد بالتمثيل، أم تتشكل لجان مشتركة لأهل الدين الواحد أو الثقافة الواحدة يتم فيها تمثيل كل الأطراف المعنية، وقد تظهر مشكلة أخرى بالنسبة لهذا الطرح الثاني، وهو من يرأس الجميع في هذه الحوارات، وعلى أي أساس؟ وهل يمكن أن تتم الرئاسة بشكل دوري؟

والملاحظ في الحوارات الدائرة الآن على المستوى العالمي أن هناك مشاركة من معظم المذاهب والفرق التابعة للدين الواحد، ففي أي مؤتمر عالمي لحوار الأديان مثلاً يمثل المسيحية أفراد ينتمون إلى المذاهب المسيحية الثلاثة الرئيسية، ويمثل الإسلام أفراد من السنة ومن الشيعة. ولكن هذا لم يحقق الحل السليم لمسألة التمثيل، بل ربما يزيدها تعقيدا عندما تحدث اختلافات مذهبية داخل الحوار، وبخاصة في القضايا التي يصعب الاتفاق فيها على تمثيل موحد، أو على رأي ديني واحد، وعادة ما نجد محاولات للسيطرة على الحوار من جانب مذهب بعينه أو فرقة بعينها، فالحوار الذي يقيمه بلد مسيحي أرثوذكسي، أو كاثوليكي، أو بروتستانتي عادة ما يحاول توجيه الحوار وجهة تخدم المذهب، ونفس الوضع في الحوارات التي تقام في بلد مسلم سني أو شيعي حيث يتم توجيه الأمور وجهة مذهبية.

مثل هذه المسائل لاشك تمثل عائقاً من أهم عوائق الحوار، ولا يوجد لها حـــل نموذجي، وستظل تهيمن كمعوق على مجريات معظم حوارات الأديـــان والثقافـــات على المستويات المحلية، والإقليمية، والعالمية[1].

رابعاً: إشكالية اتخاذ القرار الديني في الحوار:

هذه المسألة مرتبطة بموضوع التمثيل الديني إذ عادة ما يحدث خلاف مذهبي من أطراف الدين الواحد داخل الحوار يؤدي إلى العجز، أو عدم القدرة على اتخاذ رأى ديني موحد، أو قرار ديني واحد، ثم تأتي مشكلة هل من صلاحيات أعـــضاء لجـــان الحوار أن يتخذوا قرارات دينية ملزمة؟ وهل هم مرجعية في حد ذاتهم، أم عليهم أن يعودوا إلى مرجعيتهم في حالة اتخاذ قرارات دينية ملزمة.

خامساً: إشكالية غياب المحاور المسلم المؤهل:

تعاني حوارات الأديان من غياب المحاور المسلم المؤهل، وبخاصة إذا قارنا هـــذا الوضع بالتمثيل المسيحي، أو اليهودي، في حوارات الأديان، والسبب في ذلك غياب مراكز ومؤسسات حوار الأديان في العالم الإسلامي، وعادة مـــا يكـــون التمثيـــل الإسلامي تمثيلاً رسمياً ممثلاً في حضور بعض القيادات الدينية الإســـلامية الرسميـــة، وبعض محترفي العلاقات العامة بين الأديان حسب تعبير نبيل عبد الفتاح[2] ورغـــم أهمية وجود هذه القيادات فإن العمل الحقيقي يجب أن يقوم به علماء مؤهلون تأهيلاً

---

(١) الشيخ يوسف القرضاوي، الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة المسلم المعاصر العدد ٨٦، الـسنة ٢٢، ديـسمبر ١٩٩٧م، ص ١٥٩؛ وانظر محمد فاروق النبهان، مرجع سابق، ص ٣١٢.

(٢) نبيل عبد الفتاح، حوارات بين الأديان أم حوارات الحياة، في كتابه، سياسات الأديان ، مكتبة الأســرة، سلـسلة العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٥م، ص ٤٩٥.

علمياً مناسباً لطبيعة هذه الحوارات، فالقيادة الدينية الرسمية لا يتوفر لديها الوقت الكافي لمتابعة هذه الحوارات، وعادة ما يكون حضورها تشريفياً وبخاصة في جلسات الافتتاح، أما العمل الفعلي فيقوم به أشخاص مدربون على أعمال الحوارات، وإدارتها، ومناقشاتها، ولهم دراية كافية بمشاكلها كما يلاحظ في ممثلي المسيحية واليهودية حيث تتوافر القدرة على التحاور، وينقص الحضور الإسلامي المعرفة الجيدة باللغات الأوربية، وقد يتم الاستعانة بمترجمين أو بنظام ترجمة فورية، وهو أمر ليس عمليا في مثل هذه الحوارات.

والحل يتمثل في أن يأخذ المسلمون موضوع الحوار مأخذ الجد فيستعدوا له علميا من خلال إنشاء مراكز لحوار الأديان وحوار الحضارات يتم فيها تأهيل المحاور المسلم، وتخريج محاورين مسلمين على معرفة باللغات الأوربية، وعلى دراية بشؤون حوارات الأديان، وبطرق إدارة الحوار، ونظام الحوار وبروتوكولاته، وكيفية اتخاذ أو صناعة القرار، ووضع التوصيات، وغير ذلك من المسائل الإدارية المهمة فضلاً عن الاستعداد العلمي الجيد في العلوم الإسلامية التقليدية، وفي علوم تاريخ الأديان، ومقارنة الأديان، والقضايا المعاصرة وفي علوم الحضارة والحضارات المختلفة، وبخاصة الحضارة الغربية، فضلاً عن الحضارة الإسلامية.

ولقد كانت دولة قطر أول دولة عربية ومسلمة تؤسس مركزاً لحوار الأديان في الدوحة باسم المركز العالمي لحوار الأديان، وقد عقدت دولة قطر خلال السنوات القليلة الماضية ستة مؤتمرات عالمية لحوار الأديان كان آخرها الذي عُقد في شهر مايو ٢٠٠٨.

سادساً: إشكالية غلبة طابع الحوار المؤسسي الرسمي غير المتخصص:

لا تزال معظم حوارات الأديان الدائرة الآن تأخذ الطابع المؤسسي الرسمي، فهي حوارات تديرها الحكومات، أو بعض المؤسسات الدينية الرسمية، وقد عبر نبيل عبد الفتاح عن هذه الإشكالية تعبيراً جيداً حين تحدث عن بعض سلبيات الحوارات: «هيمنة المحترفين الرسميين واللارسميين على منصات إطلاق بعض الكلام العام والفارغ، واللاتراكم، وإعادة تكرار الموضوعات والشخصيات مع اختلاف المسميات، وغلبة المنولوجية (الحوار من طرف واحد) في إعادة إنتاج خطاب عام عن التسامح، والحوار مع (الآخر)، وهو شعار بائس، الطابع الاحتفالي والتمثيلي، واللغة الخشبية (الجامدة) التي يعاد إنتاجها وترديدها، ولا تعكس تفاعلاً عميقاً» وفي مكان آخر[١] يقول: «نحن إزاء نمط من التمثيل الحواري - الديني، والأدق نحن إزاء نمط منولوجاتي (حوار من طرف واحد) تمثيلي شائع، مع استثناءات محدودة... (وغلبة) نزعة الاستسهال والإيحاء بحالة حوارية لم تتوافر شرائطها قط حتى اللحظة الآنية»[٢] .

إن العملية باختصار هي «تمثيل الحالة الحوارية» وليست حواراً حقيقياً؛ والملاحظ لحوارات الأديان والحضارات الدائرة خلال السنوات الأخيرة سيلاحظ خلوها من علماء الدين والحضارات المتخصصين غير المرتبطين بالمؤسسات الحكومية الرسمية، والمنتمين إلى جامعات ومؤسسات علمية خالصة هدفها تحقيق المعرفة وتحصيلها، ومنهجها علمي مرتبط بطبيعة العلم أو التخصص، ويدور تخصص هؤلاء العلماء حول علوم الدين عامة (إسلامية أو مسيحية أو يهودية...) والعلوم الإنسانية

---

(١) نبيل عبد الفتاح، حوارات بين الأديان أم حوارات الحياة؟ في كتابه، سياسات الأديان، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، ٢٠٠٥م، ص ٤٩٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٤٩٨-٤٩٩.

والاجتماعية، وبخاصة علوم الحضارة والفكر والفلسفة، وغير ذلك من العلوم النافعة كخلفية للحوار، مثل هؤلاء العلماء لا وجود لهم في الحوار، وهناك أيضاً غياب المفكرين وكبار المثقفين، ولا يمكن أن نتصور حواراً للأديان أو للحضارات بدون هؤلاء العلماء المتخصصين، وبدون المفكرين والمثقفين.

ونتيجة لهذا الوضع أنتجت الحوارات الدائرة خطاباً دينياً وثقافياً جامداً وتقليدياً، واعتذارياً، وفي لغة دينية لا تناسب متطلبات الحوار والعصر، ومرة أخرى نقتبس رؤية نبيل عبد الفتاح لهذا الوضع فهو يقول: «إن غالبية المؤسسات الدينية الرسمية – واللارسمية- الإسلامية والمسيحية، وبعض رجال الدين لديهم خطابان حول الأديان الأخرى. الأول: الخطاب التمجيدي والمذهبي الموجه لأتباع دينهم والذي يعتمد على إبراز المزايا الإلهية والروحية والعقائدية لدينهم عن الأديان الأخرى... وخطاب المجاملات واللغة الحيادية والموجه للأديان الأخرى في المؤتمرات، أو في إطار العلاقات العامة الدولية بين المذاهب الدينية. ويركز على شعارات عامة عن التسامح، والحوار والانفتاح، واحترام الآخر والمساواة...، تلك القيم التي تحولت لدى بعضهم إلى مجرد لغة جامدة لا حياة فيها»[1].

سابعاً: إشكالية غياب التأثير الاجتماعي للحوار:

وكنتيجة من أهم نتائج هذا الطابع المؤسسي الرسمي للحوار غياب الدور والتأثير الاجتماعي والجماهيري للحوار، فالحوارات تدور داخل غرف مغلقة وبين نخب دينية رسمية، وليس لها أي مردود اجتماعي خارج حدود مكان انعقادها، وخارج إطار التوصيات النظرية المكررة التي لا تجد أبدا طريقها إلى التنفيذ، النتيجة

(١) نبيل عبد الفتاح، الدين والحوار في الفضاء المتوسطي، في كتابه: سياسات الأديان، مرجع سابق، ص ١١٥ – ١١٦.

إذن غياب التأثير في مجتمعات الأديان والحضارات، وضعف المردود على المستويات الجماهيرية والشعبية، بل وضعفه حتى داخل نطاق المثقفين والمفكرين على قلتهم، وقد يجتمع مؤتمر الحوار وينتهي دون أن يشعر أحد بوجوده بسبب عدم ترجمة هذه الحوارات إلى أنشطة عملية وفعاليات يكون لها تأثيرها في المجتمعات من حيث تغيير أو تطوير رؤيتها للأديان والحضارات والمجتمعات الأخرى، وجذبها إلى معرفة أهداف الحوار على حسب مستوياتها الثقافية، وإقناعها العملي بالحوار وثقافته، وجدواه.

ثامناً: إشكالية الطابع السري لحوارات الأديان:

كثير من المؤتمرات الخاصة بحوار الأديان تعتمد أسلوباً سرياً في الحوار يبدأ مباشرة بعد الجلسات الافتتاحية حيث تغلق الأبواب على المتحاورين، ويمنع رجال الصحافة والإعلام، ولا يسمح للجمهور المثقف والمهتم بالحضور، ويتحول الحوار إلى ما يشبه مائدة مستديرة أو ورشة عمل لا يطلع أحد على أعمالها، كما أن محور المؤتمر أو ورقة أعماله ليست معلنة، ويصل هذا الأمر إلى حد أن بعض المشاركين في الحوار قد لا يعرفون موضوع الحوار إلا داخل الاجتماع، والحديث هنا ليس عن مؤتمرات حوار الأديان والحضارات العامة التي هي من باب النشاط العلمي لبعض الجامعات أو المؤسسات، الحديث هنا عن جلسات لجان الحوار الرسمية التي تعقد بين بعض المؤسسات الدينية المعروفة على المستوى العالمي وغير المسموح لأحد من غير أعضائها بالحضور. وداخل هذا الإطار السري العام، هناك الإطار السري الخاص حين تجتمع زعامات اللجان دون بقية الأعضاء ربما لاتخاذ القرارات، أو مناقشة بعض الموضوعات المهمة، أو حتى السرية، في طبيعتها، ولا أحد يعلم إن كانت التوصيات العامة المعلنة غير مشفوعة بتوصيات وقرارات سرية غير معلنة.

ومن الممكن الاستعانة هنا بملاحظة نبيل عبد الفتاح: «(الحوار) موضوع مثقل بازدواجيات حيث لغتي الظاهر والباطن، لغة مستورة حيث المداراة »[1] ويدخل داخل إطار السرية خصوصية الالتقاءات، وصعوبة تحديد أسباب اختيار المحاورين.

تاسعاً: إشكالية الحوار حول المتفق عليه:

حتى لا تنفجر الحوارات وتتعرض للفشل الذريع، تم الاتفاق الودي بين قيادات حوارات الأديان في الغرب على عدم الحوار في القضايا الدينية الخلافية الصعبة وبخاصة تلك المرتبطة بالعقيدة، مثل موضوع الألوهية، والاكتفاء بالحوار حول الأمور غير الخلافية، وهو اتفاق ودي لأنه تقريبا غير معلن، ولكنه معروف في أوساط المحاورين، ودوائر لجان حوارات الأديان، وبخاصة الحوارات المسيحية الإسلامية، وقد اعتبر هذا من أدب الحوار أي «التركيز على نقاط الاتفاق مع (الآخر)، وليس على نقاط الاختلاف... أن التركيز على مواضع الخلاف مع المحاور لن يجمع بينك وبينه، ويجب أن تبحث عن المشترك بينك وبينه»[2].

وبسبب هذا الاتفاق الودي تحولت حوارات الأديان إلى منتديات لمناقشة بعض القضايا المجتمعية المشتركة التي يمكن للأديان أن تلعب دورا فيها مثل قضايا «الفقر، والبطالة، والصحة وقضايا الشباب، وأوضاع الأسرة، والمرأة وحقوقها، وحقوق الطفل، وعمالة الأطفال، والختان، والحجاب، وأوضاع الأقليات، ومشاكل السكان وغير ذلك من المسائل ذات الطابع الاجتماعي.

وسياسة الابتعاد عن الحوار حول المسائل العقدية سياسة غير موفقة لأنها أفرغت حوارات الأديان من موضوعاتها ومضامينها الأساسية، وأوكلت إليها الحوار حول موضوعات تخص في المقام الأول وزارات الشؤون الاجتماعية.

---

(١) نبيل عبد الفتاح، حوارات بين الأديان أم حوارات الحياة؟ في كتابه سياسات الأديان، مرجع سابق، ص ٤٩٥.
(٢) الشيخ يوسف القرضاوي، الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص ١٤٦.

ومن ناحية أخرى أعاق هذا الاتفاق، بل وأبطل، الهدف الأساسي من حوار الأديان وهو تحقيق الفهم والتفاهم حول موضوعات الأديان المشتركة، والتقريب بين وجهات النظر الدينية، ونشر مبادئ التسامح الديني، ونبذ التعصب والتطرف الديني، وتحقيق الاعتدال الديني، وبخاصة تجاه الأديان الأخرى.

والأمر الثالث أمر منطقي وهو أن المتفق عليه لا يحتاج إلى حوار، والمتفق عليه يمثل قاعدة الحوار، ونقطة الانطلاق إلى غير المتفق عليه المستحق حقيقة للحوار حوله.

عاشراً: إشكالية لغة الحوار:

تختلف لغة الحوار حسب جنسيات المتحاورين، وهي دائماً لغة أوربية، وقد يتم الاتفاق على اتخاذ الانجليزية كلغة رسمية للحوار في حالة اختلاف جنسيات المشتركين في الحوار، وأحياناً تكون لغة البلد الذي تنعقد فيه المؤتمر لغة أساسية مع السماح باستخدام لغات أخرى. ويؤكد دافيد سموك أن اختيار لغة أو لغات الحوار مسألة في غاية الحساسية، ويعتبرها جزءاً من عدم توازن القوى بين المحاورين[١].

وبصرف النظر عن هذه الخلفية، فإن لدينا مشكلتين فيما يتعلق بالحوارات التي تشترك فيها أطراف عربية أو إسلامية المشكلة الأولى تتعلق بعدم اتخاذ العربية كلغة للحوار بحجة أن أغلب المتحاورين من أهل الأديان الأخرى لا يعرفون العربية، وتقابل هذه مشكلة ثانية، وهي عدم معرفة معظم المحاورين المسلمين للغات الأوربية، أو حتى للانجليزية فقط، الأمر الذي يضطر المؤتمرون فيه إلى اللجوء إلى الترجمة، وهذه لها مشاكلها، ومنها أنها تقتل حيوية الحوار، وأنها ليست دائماً مضمونة من حيث قدرة المترجم على نقل الأفكار والآراء نقلاً سليماً، وأن الترجمة أيضاً تحدث نوعاً من البطء في أعمال المؤتمرات. هذا بخلاف عجز كثير من المترجمين عن الإحاطة

---

(١) David R. Smack, Interfaith Dialogue and Peace building, P.129

بالدلالات الصحيحة بمصطلحات الأديان المختلفة، وبخاصة المصطلحات اللاهوتية والدينية التي ليس لها مقابل مماثل في لغة الأديان الأخرى، فيضطر المترجم إلى إعطاء ترجمة حرفية، أو ترجمة قريبة باستخدام عبارات شارحة بدلا من المصطلح.

حادي عشر: إشكالية تمويل حوارات الأديان:

تنفق الكنيسة الغربية ببذخ على أنشطة حوارات الأديان باعتبارها جزءاً مهما من النشاط التنصيري العام للكنيسة، وتستغل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية الحوار «كأداة للتعبئة لموارد مالية ومعونات ومنح من المؤسسات الدينية ذات الموارد الكبرى، أو من بعض الحكومات والمنظمات الدولية التي لديها صناديق للتنمية والحوار »[1].

ومن ناحية أخرى لا توفر الحكومات الإسلامية مصادر تمويل حقيقية للحوار دينياً كان أو حضارياً، ولا توجد جهة أو مؤسسة مسؤولة عن الحوار، ولا يوجد صناديق مالية خاصة بذلك، ولذلك نجد أن تمويل الحوار يتم على هامش أنشطة رئيسية مثل أنشطة الدعوة بالنسبة إلى حوارات الأديان، أو على هامش الأنشطة الثقافية لوزارات الثقافة، أو على هامش الأنشطة الدينية، هذا العجز في مصادر التمويل - على عكس الوضع في الفاتيكان والكنيسة المسيحية عموماً- أعطى الحوار صفة النشاط الضعيف الشكلي غير الموجه، وغير المدروس.

ثاني عشر: إشكالية إدارة الحوار:

الحوار في الغرب منظومة تتم وفق أصول إدارية وبروتوكولية دقيقة، ويؤهل لها المحاورون تأهيلا علميا جيدا على المستوى المعرفي، وعلى المستوى الإداري، وهي منظومة تكاد تقترب كثيراً من منظومة التفاوض على المستويات السياسية والدبلوماسية، وهي علم يدرس في أقسام الأديان في الجامعات الغربية، وتعد فيه

(١) نبيل عبد الفتاح، حوارات بين الأديان أم حوارات الحياة، مرجع سابق، ص ٤٩٦.

رسائل الدكتوراه، وهو إدارة خاصة من بين الإدارات المهمة في الكنيسة المسيحية على اختلاف مذاهبها، والتدريب على إدارة الحوار الديني مهمة علمية وإدارية مركبة ومعقدة تقوم عليها مراكز حوار الأديان التابعة للكنيسة أو للمنظمات والهيئات الدولية.

ولا توجد حتى الآن جهة إسلامية مسؤولة في العالم الإسلامي عن إعداد المحاور المسلم معرفياً وإدارياً، ولذلك غالبا ما يترك أمر إدارة الحوار للطرف الآخر مما ينتج عنه تدخل في توجيه الحوار، أو تحقيق مصالح لطرف على طرف آخر، وإلى جانب هذه المشاكل المرتبطة بإعداد المحاور والمدير المسلم الجيد والمؤهل توجد إشكالية الضوابط اللازمة لضمان إدارة جيدة وعادلة للحوار بين الأديان، وتحديد حقوق الإدارة أي: من له حق إدارة جلسات الحوار، وكيفية الإدارة، وكلها مسائل ليست للمسلمين فيها خبرة جيدة لسبب بسيط وهو أن نشاط حوار الأديان في العالم الإسلامي نشاط طارئ تابع للظروف والمناسبات الطارئة ، ولا يتبع مؤسسة مستقلة، وليست له إدارة مستقلة تعني بشأنه داخل المؤسسات الإسلامية العديدة فتقوم بأعمال الإعداد والتنسيق للحوار والدعوة إليه، وتحديد أطراف الحوار وممثليه، وتحديد محاور الحوار وموضوعاته، وتحديد شكل الحوار ولغته، وأسلوب إدارته، ووضع شروط الحوار وآدابه، والعناية بنتائجه ومخرجاته والاهتمام بتفعيل توصياته ومتابعتها وتنفيذها، وبناء قواعد معلومات للحوار، ومتابعة أنشطة الحوار في الداخل والخارج، ولا يمكن لأي نشاط إسلامي في حوار الأديان أن ينجح بدون هذا الإعداد، والاستعداد المعرفي والإداري المنظم والمؤسسي لآليات الحوار وأدواته.

الفصل الثاني

مشروعية الحوار في الكتاب والسنة

وفي طبيعة الإسلام وحضارته

المبحث الأول: مشروعية الحوار في الكتاب والسنة

أولاً: مشروعية الحوار في القرآن الكريم:

لقد أقر القرآن الكريم الحوار وجعله وسيلة أساسية من وسائل التعارف بين الناس، كما أقره كوسيلة من وسائل الدعوة القائمة على أساس من الاقتناع العقلي، وقد أكد القرآن الكريم وحدة الأصل الإنساني وعلى اختلاف البشر في الوقت نفسه واعتبره سنة طبيعية، وحدد التعارف كوسيلة لتقريب البشر من بعضهم البعض وتذكيرهم بأصلهم الواحد: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ... ﴾ (الحجرات:١٣).

وقد حدد القرآن الكريم أسلوب الحوار في الدعوة بالحكمة التي تفيد التعقل، والاعتدال، وإحكام الأمور بحيث يكون الحوار موضوعياً، ومفتوحاً، وهادفاً إلى تحقيق غاية شريفة يلتقي عليها المتحاورون[١]. ويؤكد القرآن الكريم الموعظة الحسنة التي تحث على عمل الخير، وتعبر عن أسلوب مقبول لا يلقى معارضة من أطراف الحوار، وهي موعظة حسنة تضبطها الموضوعية، وتتجنب الإثارة والصدام

---

(١) عبد الهادي بو طالب، عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، مجلة الاجتهاد العددان ٥٢-٥٣، السنة الثالثة عشرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، ص٥٣.

مع (الآخر)، وبعيدة عن التعصب والتعالي والتحقير، إن الحكمة والموعظة الحسنة تتطلبان الحوار الهادئ المتزن الخالي من الضغط والإكراه، والمعتمد فقط على الإقناع العقلي والمنطقي، والرضا والتسليم بالحجة والبرهان، وقد تمثلت الحكمة والموعظة الحسنة في دعوة أهل الكتاب للالتقاء على كلمة التوحيد كما ورد في القرآن الكريم كنموذج للحوار القائم على أساس من الحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:٦٤).

١- الاختلاف سنة من السنن الإلهية:

يراد بالاختلاف المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة أو الموقف[١] ويتحول الاختلاف إلى جدل «إذا اشتد اعتداد أحد المخالفين أو كليهما بما هو عليه من قول أو رأي أو موقف، وحاول الدفاع عنه، وإقناع الآخرين به، أو حملهم عليه»[٢] وقد خلق الناس مختلفين في العقول والمدارك والألسنة والألوان والأفكار الأمر الذي يؤدي إلى تعدد الآراء والأحكام، وهذا الاختلاف آية من آيات الله وسنة من سننه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود:١١٨).

وقد تطور أدب الاختلاف منذ عصر النبوة حيث حرص الصحابة رضي الله عنهم على تجنب الاختلاف، فإذا وقع الاختلاف ردوا الأمر المختلف فيه إلى الكتاب والسنة، وبادروا إلى الخضوع والالتزام بحكم الله ورسوله ﷺ[٣]، والالتزام بالتقوى

---

(١) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

(٢) طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٨.

وتجنب الهوى، والالتزام أيضاً بآداب الإسلام في الاختلاف، وكان لاختلاف الصحابة أسبابه كما كانت له آدابه، ومن أهمها التحلي بالحكمة وبالحوار الفعلي الهادئ، وبالتوقير والاحترام المتبادل، ومن أهم سمات أدب الاختلاف، الحرص على تحاشي الاختلاف، وأن الدافع إلى الاختلاف هو دائماً تحري الحقيقة، وأن يكون للخلاف أسباب تبرره من بينها الاختلاف في فهم النص، وأن أخوة الإسلام أصل من أصول الإسلام، وهي فوق الخلاف في المسائل الاجتهادية، وأن الخلاف كان في مسائل الفروع وليس في المسائل الاجتهادية والاعتقادية[١] وأنه لم يتجاوز حدود أدب الاختلاف فلا تكفير ولا تفسيق ولا اتهام بابتداع منكر[٢].

٢- الحوار الحضاري سنة من سنن الله:

لا شك في أن ضرورة الحوار تنبثق من اختلاف في وجهات النظر، وفي تقدير الأشياء والحكم عليها، وهو أمر فطري طبيعي[٣] بل هو سنة من سنن الله كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨) وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (المائدة:٤٨).

وكما أن الاختلاف سنة من سنن الله فإن الحوار المؤدي إلى تحقيق التفاهم يعد أيضاً من «الفروض الشرعية الكفائية» ويؤكد فضيلة الشيخ عمر عبيد حسنة على هذا بقوله: «إن الحوار الحضاري، أو الحوار مع (الآخر)، وإتاحة الفرصة لتوسيع

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٠ ــ ٧١.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٢.

(٣) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة قضايا الفكر الإسلامي العدد ٢، ١٩٨٧م، ص ١١.

دائرة التفاهم، وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم... وإيصال دين الله إليه، بأفضل الوسائل، والمجادلة له بالتي هي أحسن، مع مراعاة آداب الحوار وشرائطه... فهو من الفروض الشرعية الكفائية التي تعتبر من مسؤولية الأمة جميعها»[1].

والحوار مع (الآخر) المؤدي إلى تبادل الرأي، والوصول إلى صيغ مشتركة للتفاهم والتعاون يمثل مطلباً إسلامياً، بل هو حسب رأي الشيخ عمر عبد حسنة، أكثر من مطلب إسلامي، إنه تكليف شرعي وذلك لأن الدعوة إلى دين الله محلها ابتداءً (الآخر)[2] «ويستشهد بالآية القرآنية الكريمة»: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ (النحل:١٢٥) ويترتب على اعتبار الحوار الحضاري «سنة من سنن الله في الكون، له مقوماته، وآلياته، وأدواته، وأهدافه، وغاياته، وأسلحته المتعددة» أن يفهم المسلم «سبل إ دارة الحوار وكيفيات التعامل معه، وامتلاك أدواته...»[3].

ويشير القرآن الكريم إلى أن الحوار والجدل الحسن مطلب إسلامي يجب الحرص عليه والمبادرة إليه كما يفهم من مضمون الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤) والمعنى: «قل يا محمد لأهل الكتاب... تعالوا أي أقبلوا إلى كلمة سواء يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم وهي أن نوحد الله فلا نعبد غيره...»[4].

---

(١) الشيخ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الإسلام وصراع الحضارات للدكتور أحمد القديدي، كتاب الأمة، العدد ٤٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ـ ٢٧.

(٣) نفس المرجع ص ٤٠ـ ٤١.

(٤) تفسير الطبري الجزء الثالث ص ٣٠١ـ ٣٠٢.

ويؤكد الشيخ عبيد أن الآية «بها تكليف شرعي لا يخص عصراً بعينـــه... وأن الدعوة إلى الحوار، واللقاء بـــ(الآخر) ومحاججته بالتي هي أحسن، وظيفة المـــسلم لإلحاق الرحمة بالناس»[1].

٣- أصول قرآنية للحوار:

أ- الإيمان بالأنبياء السابقين والكتب السابقة:

للحوار مع غير المسلم أصول قرآنية يجب الالتزام بها لأنها تضبط الحوار وتوجهه نحو هدفه النهائي، ومن أهم هذه الأصول القرآنية الإيمان بالرسالات السابقة وهو من مستلزمات العقيدة الإسلامية، ويشكل الإيمان بالأنبياء، علـــيهم الـــسلام، أساســـاً للتعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب وفي هذا يقول القـــرآن الكـــريم: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (البقرة:٢٨٥) وهذا الأصل يحدد علاقة المسلم بغير المسلم بشكل عـــام، ويعطـــي أرضية مشتركة لانطلاقه الحوار، ويحقق من البداية قدراً مهماً من الفهم والتفاهم[2].

هذا الأصل القرآني تؤكده آيات قرآنية أخرى كثيرة من بينها قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٦). ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ

(١) عمر عبيد حسنة، مرجع سابق ص ٢٧ــ ٢٨.

(٢) فضل الهادي وزين، أصول قرآنية للحوار مع الآخر، أعمال مؤتمر التسامح الديني والتقريب بـــين المـــذاهب، ٢٦ــ ٢٧ مارس ٢٠٠٧ جامعة كراتشي، مركز الشيخ زايد الإسلامي، ص ٧٧.

بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى:١٣) وورد في تفسير ابن كثير إن الله أمر المؤمنين: «أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله، وأرشد الله عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل على الرسول ﷺ مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم»[1].

ب- قاعدة المشترك كأصل قرآني للحوار:

الدين الذي أتت به الرسل كلهم «هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو القدر المشترك بينهم، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم.. فقد أوصاهم الله بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف»[2]. وتمثل هذه القاعدة المبدأ الديني المشترك الذي يجب أن يبدأ منه الحوار ويعطيه مشروعية وضماناً للاستمرار، فالابتداء بالمختلف عليه سيؤدي إلى تعميق حدة الخلاف وربما يؤدي إلى فشل الحوار كلية، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا المبدأ أو الأصل الديني المشترك بتعبير «الكلمة السواء» في الآية القرآنية: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٤). وتعطى الآية الكريمة أساسين مهمين في الحوار: الأساس الأول عبرت عنه كلمة ﴿تَعَالَوْا۟﴾ التي تؤكد مشروعية الحوار، وضرورة المبادرة إليه، وطلبه، وفي تفسير الطبري: تعالوا بمعنى

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الأول ص ١٨٨.

(٢) المصدر السابق، الجزء الرابع ص ١١٠.

«هلموا إلى كلمة سواء أي إلى كلمة عدل بيننا وبينكم وهي أن نوحد الله فلا نعبد غيره»[1] وفي حالة رفض الحوار والإعراض عنه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم»[2].

أما الأساس الثاني فهو أساس العدالة والإنصاف في الحوار الذي عبرت عنه عبارة ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فبالإضافة إلى دلالتها على المشترك كأصل قرآني للحوار، فإنها تدل أيضاً على ضرورة توخي العدالة، وفسر ابن كثير العبارة بمعنى: «أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها»[3] فيصبح المعنى تعالوا إلى «كلمة عدل بيننا وبينكم»[4].

ج- مشروعية الحوار في ثوابت الدين:

لا شك في أن الحوار الديني يشتمل على كل موضوعات الدين، بما فيها موضوعات العقيدة، ولكن يجب أن يكون واضحاً من البداية أن هذه الموضوعات لا تناقش «من أجل إثباتها وصلاحيتها وإعادة النظر فيها وتقويمها وتغييرها، فهذا هو المنهي عنه»[5] ولا حرج في مناقشتها بقصد النظر في حكمها وأسرارها وبيان ذلك للناس، ففي الحوار لا يجب أن تكون ثوابت الإسلام وآيات الله محلاً للمراجعة والتنازلات «لأنها محسوبة بنص شرعي أو إجماع»[6] ويؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) تفسير الطبري، الجزء الثالث ص ٣٠١ــ ٣٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير، الجزء الأول ص ٣٧٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تفسير القرطبي، ٤/١٠٦.
(٥) فضل الهادي وزين، مرجع سابق، ص٨٤.
(٦) تفسير ابن كثير، ٤/٨٠، ٨٥ ؛ ١/٣٦٨.

ﵟٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُﵞ (غافر:٥٦) وكذلك قول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ (غافر:٣٥) وأيضاً قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ (آل عمران:٦٠) وتشير الآيات إلى الذين يدفعون الحق بالباطل، يردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان، ولا حجة من الله، إنه الحق الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، والذي يجب أن يتمسك به المسلم في الحوار: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ (الكهف:٢٩) أي أن هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك[1].

د- دعائم الحوار:

وقد استند الحوار في الإسلام على دعائم قوية وثابتة، فهو حوار يستند إلى الاعتراف بحق الاختلاف والتعددية[2]، ويعترف بحرية التدين، وبالعدالة والمساواة، وبالإخاء والتآلف بين البشر، وبالتسامح الديني، وبالتعايش وعدم الإكراه، ونبذ التعصب والتشدد، وكراهية الاضطهاد والظلم، ويحترم الرأي الآخر ويأخذ بالشورى، ويؤكد المعاملة الحسنة والكلمة الطيبة والتجرد والموضوعية. والآيات الكريمة الدالة على الاعتراف بالتعدد وحق الاختلاف الديني كثيرة من بينها قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦) وقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ (الكهف:٢٩) وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ

---

(١) المصدر السابق الجزء الثالث ص ٨٣.

(٢) Azyumardi Azra, «Pluralism, Co-exitence and Religious Harmony in Southeast Asia, Indonesian Experience in the Middle Path» in, Islam and other religions in Asia, Co-existence and cooperation, International Symposium, Seoul, SK Corporation, Nov. 2005, P. 124

جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٢٤).

وهو حوار يقوم على العدالة كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ﴾ (المائدة:٤٢) وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥).

ويمنع القرآن الكريم الظلم بسبب العداوة، ويطالب بالعدالة مع الخصوم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

ومن دعائم الحوار قيامه على أساس من التعاون بين البشر وعدم الاعتداء: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

ومن دعائم الحوار أيضاً التعايش والإخاء والتآلف والسلام والأمن ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة:٥) ومن الآيات التي تحض على التعايش والتراحم والتآلف والإخاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١) و قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ...﴾ (الأنفال:٦١).

ثانياً: مشروعية الحوار في السنة النبوية:

تؤكد السنة النبوية على ضرورة بناء ثقافة المسلم على فقه الكتاب والسنة قبل أن ينخرط في أي حوار ديني أو ثقافي مع غير المسلمين. فالكتاب والسنة يحددان نظرة المسلم إلى الكون والحياة والإنسان، ويعرفانه بمقاييس الخير والشر، ويمنحانه القدرة الحكم على الأفكار والنظريات والنظم والقوانين التي ابتدعها العقل الإنساني[1].

وقد سارت السنة النبوية على هدى القرآن الكريم فيما يتعلق بمشروعية الحوار، فمن مشروعية الحوار في السنة النبوية الالتزام بثوابت الدين وعدم التعرض لأصوله، والنهي عن الأخذ عن غير الكتاب والسنة، فقد نهى الرسول ﷺ عن اللجوء إلى مصادر الأديان الأخرى لأنه ﷺ «جاءهم بالشرعية الواضحة الخالصة من الشرك والشبهات، المصونة من التبديل والتحريف، والتي فيها غنى وكفاية عما سواها من العقائد والأديان»[2] وفي حديث جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله هذه نسخة من التوراة؛ فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً؛ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو بدا لكم موسى**

---

(١) أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، كتاب الأمة العدد ١٠، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شعبان ١٤٠٥هـ، ص ١٣٥.

(٢) أكرم ضياء العمري، مرجع سابق، ص ١٣٧.

فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيـاً وأدرك نبـوتي لاتبعني» [1].

ولأن الإسلام هو الدين الحق الخالص فقد أنكرت السنة النبوية التأثر بقصص اليهود ورواياتهم لأنه دليل حيرة في الإسلام وبُعد عن الدين النقي الخالص، عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال (إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: « **أَمُتَهوِّكون أنتم كما تَهوّكت اليهود والنصارى؟** أي أمتحيرون أنتم في الإسلام فتلجأوا إلى الأخذ من سـواه - ثم قـال ﷺ: **لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي»** [2].

١- السنة النبوية والتأسيس للحوار الإسلامي اليهودي:

وقد دخل الرسول ﷺ في حوارات عديدة مع اليهود من بينها حواره ﷺ مع عبد الله بن سلام قبل أن يسلم وكان هدفه اختبار الرسول ﷺ والتأكد من صدق نبوته، وهو الحوار الذي ترتب عليه إسلام عبد الله بن سلام[3] فقد قال عبد الله ابن سلام في حواره مع الرسول ﷺ : «إني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن إلا نبي وهي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟»[4]. وعندما أجابه الرسول ﷺ أسلم عبد الله بن سلام وحسن

---

(١) يروي عن جابر بن عبد الله ويرويه الشعبي عن عبد الله بن ثابت، ويروي موقوفا عن الشعبي، أخرجه الإمام أحمد في مسنده الجزء الثالث ص ٤٨٧، ٤٧٠ والجزء الرابع ص ٢٦٥ وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه الجزء السادس ص ١١٣ والجزء العاشر ص ٣١٣ والدارمي في سننه الجزء الأول ١٢٦ وقال محققه الشيخ حسين أسد الحديث إسناده ضعيف لضعف مجالد، والحديث حسن وكذلك حسنه الشيخ الألباني بمجموع طرقه في المشكاة للتبريزي الجزء الأول ٤٢ حديث رقم ١٩٤.

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) محمد بن عبد الملك بن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الجزء الثاني ص ٣٢٠ـ ٣٢١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٨- ١٣٩.

إسلامه، وقد طلب منه الرسول ﷺ دعوة اليهود فأخبره عبد الله بن سلام بأن **«اليهود قوم بهت... وهم يعلمون أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا فِيَّ ما ليس فِيَّ...»** [1].

كما اشترك اليهود في حوار لهم عن الإسلام مع وفد قريش إلى يثرب حيث اتجه الوفد إلى أحبار اليهود ليسألوهم عن محمد ﷺ قائلين: «إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هي؟ فإن أخبركم بذلك، فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فإنه نبي متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم» [2].

ومثل هذه الحوارات مع اليهود أخذت شكل الجدل الديني بسبب حب اليهود للجدال[3] ولكنها من الجانب الإسلامي تمثل حوارات دينية قائمة على أساس من الاعتراف بحق الاختلاف الديني، والإيمان بالتعددية الدينية، وحق الحياة والملكية وحق الأمان وكلها حقوق منحتها وثيقة المدينة لليهود، ودار الجدل الديني في إطارها وتحت حمايتها.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) ابن هشام، مرجع سابق، ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٣) عبد الرحمن بدوي، دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره، ترجمة كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة ١٩٩٩ ص ١٤٤.

٢- مشروعية الحوار في صحيفة المدينة:

لقد أسست وثيقة المدينة لعلاقات دينية وسياسية وطيدة بين المسلمين واليهود فاعتبرتهم مواطنين في الدولة الإسلامية يتمتعون بحق الحرية الدينية، وحق حماية الدولة لهم، ودفاعها عنهم، كما نظمت لعلاقتهم بالمسلمين في أوقات السلم والحرب، كما أسست الوثيقة لعلاقات التعاون مع اليهود وغيرهم من سكان المدينة وهو تعاون أسس في سبيل الخير والرشاد لا في سبيل العدوان والظلم والمعاصي.

ونظر لأهمية هذه الوثيقة في إثبات مشروعية الحوار مع اليهود على أساس من الاعتراف لهم بالمواطنة وحق الاختلاف في الدين والعقيدة، وحق الحماية نورد نص هذه الوثيقة كشاهد قوي وواضح على التأسيس الديني للحوار في السنة النبوية وإعطائه مشروعية ثابتة.

«هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس.

... وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة (المساواة في المعاملة) غير مظلومين ولا متناصر عليهم ...

إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين...

لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثِم فإنه لا يوتغ (يهلك ويفسد) إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جُشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة ولجفنة ولبنى الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم وأن بطانة يهود كأنفسهم. وأنه لا يخرج منهم أحد

إلا بإذن محمد ﷺ، وأنه لا يتحـــجز على ثأر جرح وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر من هذا.

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.

وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الـــصحيفة، وأن بينـــهم النـــصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإن يثرب حرام جوفها لأهل هـــذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مـــضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وأنه ما كان بين أهـــل هذه الصحيفـــة من حدث أو اشتجار يخاف فســـاده فإن مردّه إلى الله وإلى محمـــد رسول الله ﷺ، وأن الله على اتقـــى مـــا في هـــذه الصحيفة وأبرّه.

وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثـــرب وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنه يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دَعَوْا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حـــصتهم مـــن جانبهم الذي قبلهم.

وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مـــع الـــبر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأن من خرج آمنٌ ومن قعد آمـــن بالمدينة إلا من ظَلَم أو أَثِم، وأن الله جار لمن بَرَّ واتقى[1].

---

(١) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، الجزء الثاني ص ١٢١ــ ١٢٣.

٣- السنة النبوية والتأسيس للحوار الإسلامي- المسيحي:

دخل الرسول ﷺ والمسلمون في عصره في حوارات دينية عديدة مع النصارى من أهمها حواره مع وفد نصارى نجران، وحواره في رسائله إلى ملوك النصارى، وكذلك الحوار الذي دار بين المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة مع ملك الحبشة، والذي اشترك فيه أيضاً وفد قريش من المشركين إلى الحبشة، فكان حواراً دينياً بين ثلاثة أطراف دينية: المسلمون، والنصارى، والمشركون، وقد أسس هذا الحوار على علاقة طيبة ومودة صادقة أبداها الرسول ﷺ تجاه ملك الحبشة حين أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة «فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»[١].

وقد سجلت المصادر الإسلامية تفاصيل هذا الحوار الديني الثلاثي، ونلخص هذه التفاصيل فيما يلي:

سأل النجاشي المهاجرين: «ما هذا الدين الذين فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الملل؟»[٢].

وقد أجاب عن المهاجرين جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، قائلاً: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء،

---

(١) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، الجزء الأول ص ٣٤٣.

(٢) ابن هشام، سيرة النبي ﷺ، الجزء الأول ص ٣٥٨.

ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، وعدَّد عليه أمور الإسلام، فصدقناه واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله. وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نُظلم عندك»[1].

فسأل النجاشي جعفر بن أبي طالب قائلاً: «وهل معك مما جاء به عن الله من شيء تقرؤه عليَّ؟

قال جعفر: نعم، وتلا عليه سورة مريم إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٢٩-٣٣).

قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به موسى (عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة» وأخبر وفد قريش قائلاً: «انطلقا والله لا أسلمهم إليكما»[2].

وقد تجدد الحوار في اليوم التالي عندما أصر عمرو بن العاص على لقاء النجاشي مرة أخرى ليخبره كذباً عن رأي المسلمين في عيسى بن مريم بقوله: «إن المسلمين

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق، ص ٣٥٩-٣٦٠.

يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسَلْهم عما يقولون فيه: فسأل النجاشي جعفر بن أبي طالب عن ذلك فقال: نقول فيه الذي جاء به نبينا؛ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فأخذ النجاشي عوداً وخَطَّ به على الأرض وقال وهو في مسرة كبيرة: ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط»[1] وفي رواية أخرى: «ما عدا عيسى ما قلت هذا العودَ، فنخرت بطارقته: فقال لهم «وإن نخرتم».

وقال النجاشي لجعفر: «اذهبوا فأنتم آمنون، ما أحب أن لي جبلاً من ذهب وأنني رجلاً منكم» ورد هدية قريش قائلاً: ما أخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم، ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيهم»[2] وكانت نتيجة هذا الحوار إيجابية بالنسبة إلى المهاجرين، فقد وجدوا في جوار النجاشي الأمن وأقاموا في خير دار وأحسن جوار.

هذا الحوار الذي دار بين النجاشي ووفد قريش الوثني والمهاجرين المسلمين له قيمته التاريخية والدينية العظيمة، وتتمثل قيمته التاريخية في أنه يمثل أول حوار ديني بين المسيحية والإسلام، وأنه تم وفقاً لرغبة النجاشي الملك الحبشي.

أما الأهمية الدينية للحوار فهي تعود في الحقيقة إلى أن هذا أول اتصال ديني بين المسلمين والمسيحيين، وهو اتصال على مستوى دولي. وبصرف النظر عن الظروف التاريخية التي أدت إلى حدوث الحوار على النحو الذي حدث عليه فإن هذا الحوار أتى دينياً متكاملاً، فهو حوار بين ثلاثة أطراف دينية هي: المسيحية ويمثلها الحبشة، والإسلام ويمثله المهاجرون، والوثنية ويمثلها وفد قريش، وإذا ترجمنا هذه الأطراف إلى

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٠.

(٢) نفس المصدر، ٣٦٠.

شخوص للحوار فسيصبح النجاشي ممثلاً للمسيحية، وجعفر بن أبي طالب ممثلاً للإسلام، وعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ممثلين للوثنية، والحقيقة أن عمرو بن العاص هو الذي مثل الوثنية في الحوار بشكل رئيسي، فالحوار إذن بين ثلاثة أديان يمثل كل دين شخص واحد، وقد تم الحوار افتراضاً تحت رئاسة النجاشي الذي كان محاوراً وحكماً في الوقت نفسه، أما موضوع الحوار فهو الإسلام دين المهاجرين الذي قُدِّم للنجاشي في شكل نقدي عن طريق وفد قريش على لسان عمرو بن العاص: «أيها الملك إنه قد ضوى (أتى) إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهي أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه»[1] وعلى الرغم من قصر هذا العرض النقدي للإسلام فإنه أتى نقداً قوياً يعتمد على العناصر التالية:

١- تسفيه المهاجرين ووصفهم بأنهم غلمان سفهاء.

٢- توجيه اتهامين دينيين في وقت واحد، الأول اتهام المهاجرين بأنهم فارقوا دين قومهم أي الوثنية، والاتهام الثاني أنهم لم يدخلوا في المسيحية دين النجاشي كنوع من تحريض النجاشي ضد المسلمين المهاجرين وضد الإسلام.

٣- ابتداع دين جديد ليس معروفاً لا لأهل قريش ولا للنجاشي.

فالخروج على الوثنية، وعدم الدخول في المسيحية، وابتداع دين جديد هي الدعاوى الأساسية التي رفعها وفد قريش، والواضح أن الوفد لم يكن لديه مانع في الظاهر لدخول المهاجرين في المسيحية كنوع من النفاق الديني الذي أبداه وفد قريش للنجاشي الذي لم يستجب لهذا النفاق، وطلب الاستماع إلى المهاجرين.

---

(١) ابن هشام، الجزء الأول، ص ٣٥٧.

وقد أسس النجاشي بهذا الفعل أساساً في الحوار وهو: حرية التعبير عن الرأي الديني، وضرورة الاستماع إلى كل أطراف الحوار الممثلين لأديانهم، وعدم السماح لغير أهل الدين بالتعبير عن دين آخر يعادونه، أو لا يفهمونه.

وقد طلب النجاشي الاستماع إلى المهاجرين المسلمين ومثل شخصية المحاور المسلم جعفر بن أبي طالب مجيباً على سؤال النجاشي عن طبيعة دين المهاجرين، وقد قدم جعفر عرضاً دينياً مختصراً ووافياً للإسلام كدين اشتمل على العناصر التالية:

العنصر الديني: المعبر عن جوهر الإسلام وهو عبادة الإله الواحد وترك الشرك وعبادة الأصنام.

العنصر العبادي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والصلاة، والزكاة، والصيام.

العنصر التشريعي: تحديد الحلال والحرام «وحرمنا ما حرَّم علينا وأحللنا ما أحلَّ لنا».

العنصر المقارن: على المستوى الديني والأخلاقي: مقارنة الوثنية بالإسلام على مستوى الدين والأخلاق.

العنصر الأخلاقي: صدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء والنهي عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات.

وقد طلب النجاشي الدليل النصي على ما نزل من الوحي على الرسول ﷺ، فقرأ عليه جعفر بن أبي طالب سورة مريم من أولها إلى الآية ٢٣، وبهذا لم يكتف النجاشي بالاستماع إلى عرض المحاور المسلم بل طلب منه الدليل النصي ليتحقق من أمرين: الأول: صحة العرض الذي قدمه المحاور المسلم، والأمر الثاني: الحكم على

طبيعة النص والذي ورد في رد النجاشي: «إن هذا والذي جاء به موسى (عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا والله لا أسلمهم إليكما»[١].

يتدخل المحاور الوثني في اليوم التالي بعد أن أتت نتيجة الحوار في اليوم الأول لصالح المهاجرين المسلمين لكي يثير النجاشي ضد المسلمين في أمر يتعلق بالمسيحية وهو وضع عيسى عليه السلام في الإسلام كموضوع فرعي للحوار بقول المحاور الوثني «إن المسلمين يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً»[٢].

ويرد المحاور المسلم: «نقول فيه الذي جاء به نبينا، يقول هو (عيسى) عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول»[٣].

وفي لمحة دينية مقارنة يقول النجاشي بعد أن خط خطا بعود: «ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط» بعد أن عرف أن المسلمين «يعترفون بعيسى عليه الصلاة والسلام ويقرون بالنصرانية ويعبدون الله»[٤].

٤- أصول الحوار:

هذا الحوار الأول بين المسيحية والإسلام والوثنية أسس لعدة مبادئ في أصول الحوار الديني من أهمها:

١- التمثيل الجيد للأديان المشتركة في الحوار والمتكون من أطراف أو أعضاء للحوار على معرفة جيدة بمحتوى الدين الذي يتم تمثيله ومعرفة جيدة أو معقولة بالأديان الأخرى المشاركة في الحوار.

---

(١) ابن هشام، ١/٣٦٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٠.
(٣) نفس المصدر، ص ٣٦٠.
(٤) هيكل، ص ١٣٦.

٢- ديمقراطية الحوار التي أسس لها النجاشي بإعطائه الفرصة لصاحب الدين للتعبير عن معتقداته الدينية بدون تدخل من الأطراف الأخرى، والتأكيد على ألا يعبر صاحب دين مختلف عن دين آخر لا يعترف به، وقد تدخل النجاشي ليمنع مثل هذا التمثيل المخالف ويصر على الاستماع إلى أهل الدين المخالف. وقد عبر كل أطراف الحوار عن آرائهم الدينية في حرية وديمقراطية كاملة.

٣- الإدارة الجيدة للحوار التي تتحقق من خلالها حرية التعبير عن الرأي الديني والعدالة، والحزم في الإدارة، والبعد عن العنف وعدم الخروج على آداب الحوار، وقد نجح النجاشي في إدارة الحوار بدون تعسف في السلطة، وبدون تحيز لأي من الأطراف المتحاورة.

٤- موضوعية الحوار: وقد تمت من خلال المناقشة الجادة الموضوعية حول موضوع الحوار، والتركيز على الموضوع، وعدم التحيز، وعدم الإسراع في إصدار الأحكام، والاستناد إلى الدليل من النص وعدم الاكتفاء بالعرض الشفهي إلى غير ذلك من العناصر المؤكدة على الموضوعية والابتعاد عن كل ما يخل بالعرض أو الوصف الموضوعي، والتحليل الموضوعي، وإصدار الأحكام الدينية القائمة على أساس من الموضوع والعدالة.

٥- مناخ الحوار: تمكن النجاشي من أن يوفر للحوار الديني المناخ الملائم من حيث توفير العدالة، وضمان عدم الاعتداء، وتحقيق الأمان لأطراف الحوار، وصدق المعاملة، وحسن العرض، ورفض النفاق الديني، وتحقيق الالتزام، وحسن الضيافة، وتحقيق الحماية اللازمة للطرف الضعيف.

٦- لغة الحوار: اعتمد الحوار على لغة دينية واضحة ومباشرة ومفهومة بدون الدخول في أية تعقيدات دينية أو لاهوتية حتى فيما يتعلق بعرض وجهة النظر

الإسلامية في عيسى، عليه الصلاة والسلام، حيث التزم المحاور المسلم باللغة القرآنية، وبدون تدخل في عرضها بشكل يعرضها للغموض، أو عدم الفهم، فاللغة الدينية في الحوار لغة بسيطة مجردة ومباشرة، وواضحة.

٧- المنهجية المقارنة في الحوار: حيث تمت عدة مقارنات دينية تحدد العلاقات بين الأديان المشاركة في الحوار، فقد تمت مقارنة بين الوثنية والإسلام قدمها المحاور المسلم، ومقارنة أخرى بين الإسلام والمسيحية اشترك فيها المحاور المسلم مع النجاشي.

٨- تم الوصول من خلال المقارنة إلى نتيجة وحكم، أما النتيجة فهي اتفاق المسيحية والإسلام وتحديد سبب الاتفاق بوحدة المصدر: إن هذا والذي جاء به موسى (عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة « ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط». والنتيجة الثانية اختلاف المسيحية والإسلام عن الوثنية، أما الحكم فهو رفع الاضطهاد، وتوفير الحماية للمهاجرين المسلمين وفشل رسالة وفد قريش.

٩- روح المودة الغالبة على الحوار على الرغم من وجود طرفين متعادين، فقد تمكن النجاشي من تحويل الصراع الديني إلى حوار قائم على أساس من المودة.

المبحث الثاني: المشروعية المستندة إلى طبيعة الإسلام وخصائصه كدين وحضارة

اتصف الإسلام وحضارته بعدة خصائص مولدة للحوار ومؤصلة له في الوقت نفسه الأمر الذي جعل من حوار الأديان وحوار الحضارات نتيجة طبيعية، ومسألة ليس فيها تكلف إنما هي نابعة من طبيعة الدين الإسلامي وطبيعة حضارته، وهي تستند في الوقت نفسه إلى نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية مما يؤكد مشروعيتها من ناحية، ومرجعيتها من ناحية أخرى؛ لأن كل خصائص الإسلام وحضارته مستمدة فى الأصل من القرآن الكريم والسنة النبوية «إن ثقافة الحوار عند المسلمين يحددها الدين بمفهومه الشامل الذي يستوعب العبادة والمعاملة، بل يستوعب حياة المسلم برمتها، لا يدع منها صغيرة ولا كبيرة إلا ويهيمن عليها بمقوماته العقدية، وضوابطه الشرعية، وتصوراته الحضارية»[1] واستنادا إلى هذا فكل حوار يوصف بأنه إسلامي لابد وأن يكون ذا محتوى عقدي، وذا مضمون شرعي، وذا «غاية حضارية»[2]. وهذا يؤكد الصلة العضوية بين ثقافة الحوار الديني والحضاري عند المسلمين.

أولاً: ارتباط الحوار بعالمية الإسلام وحضارته:

وهى عالمية مستمدة من عالمية الإله الواحد، وعالمية الدين وهو التوحيد، والعالمية تعنى الصلاحية لكل زمان ومكان، وعدم محدودية الدين في قوم، أو في زمان

(١) حسنى عبد الكريم الوراكلى، ثقافة الحوار الحضارى عند المسلمين: تأملات فى سؤال المفهوم والإجراء كتاب: الإسلام وحوار الحضارات، أعمال ندوة مكتبة الملك عبد العزيز. المجلد الثانى، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٥١٣.

(٢) المرجع السابق، ص٥١٣.

محدودين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ (سبأ:٢٨) ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)[١].

هذه الصفة العالمية حتمت أن يكون الخطاب القرآني الموجه خطاباً عالمياً مفتوحاً، وأن يكون الحوار القرآني غير محدود بزمان أو بمكان، أو بقوم، ويدل على هذا التعبير القرآني السائد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهو تعبير مميز لرسالة الرسول ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ (الحج:٤٩) ولم يرد في القرآن الكريم اسم الرسول ﷺ مقترناً بقومه حيث جاء الخطاب القرآني موجهاً إلى البشرية كلها وبخاصة لأنه آخر خطاب إلهي إلى العالم[٢].

ثانياً: ارتباط الحوار بعقلانية الإسلام وحضارته:

العقلانية صفة أساسية في الإسلام وحضارته، فالإسلام يوصف عادة بأنه دين العقل، أي الدين المحرر للعقل الإنساني من سيطرة الأسطورة والفكر الأسطوري الخرافي الذي سيطر على الفكر الديني القديم السابق على الإسلام، والإسلام دين العقل لأن مضامينه العقلية والشرعية متفقة تماما مع معطيات العقل السليم والفطرة السليمة، ولا تتناقض معهما، وهو دين العقل لأنه توخي البساطة الدينية، وابتعد عن كل التعقيدات الدينية واللاهوتية التي أصابت الديانات السابقة، وجعلتها غير مفهومة ومستعصية على المنطق والعقل.

صفة العقلانية هذه جعلت الخطاب الإسلامي خطاباً عقلانياً منطقياً، وأدت إلى أن يصبح الحوار الديني أهم وسيلة لتوصيل مضامين الدين وأفكاره إلى الآخرين،

---

(١) Gh. H. Aasi, Muslim understanding of other religions, a study of Ibn Hazm's Kitab al Fisal fi al-Milal wa al-ahwa, wa al-Nihal, Int. Inst. of Islamic Thought, Islamabad, 1999

(٢) فوزية العشماوى، الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، مجلة الاجتهاد، العددان ٥٢، ٥٣ عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٠٢.

والحوار شكل من أشكال الخطاب يعتمد على تبادل الآراء وعلى الفهم العقلي المنطقي، وقد أكثر القرآن الكريم من استخدام لغة العقل حتى أصبحت سمة من سماته الأساسية كما تبدو في عبارات أواخر معظم الآيات القرآنية حيث تتكرر عبارات: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ وغير ذلك من التعبيرات الشبيهة الحاضة على استخدام العقل ووسيلة الحوار من أجل الإقناع.

ثالثاً: ارتباط الحوار بكون الإسلام دين دعوة وتبليغ:

هذه صفة مستمدة من عالمية الإسلام حيث أن عالميته تستوجب التعريف به والدعوة إليه الأمر الذي جعل من الحوار أهم وسائل الدعوة وآليات التبليغ وبخاصة مع اقتران العالمية بالعقلانية، فالدعوة الإسلامية دعوة عقلية تقوم على أساس من الاقتناع العقلي الذي يعني تقديم الإسلام تقديماً عقلياً حراً لا يستند إلى إكراه ديني أو إرهاب فكرى مع ضمان حرية الاعتقاد في حالة عدم حدوث الاقتناع العقلي لأي سبب من الأسباب: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ (البقرة:٢٥٦).

رابعاً: ارتباط الحوار بوسطية الإسلام وخيريته:

وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها أمة وسط: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ (البقرة:١٤٣)، وتصف آية قرآنية كريمة أخرى الأمة الإسلامية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ (آل عمران:١١٠).

وقد حدد الشيخ يوسف القرضاوي معالم الوسطية في الفهم الشمولي التكاملي للإسلام، والإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وترسيخ المعاني والقيم الربانية، وفهم التكاليف والأعمال فهماً متوازناً، وتأكيد الدعوة إلى تجديد الفقه القرآني والنبوي وهو يضم فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه

الموازنات، وفقه الاختلاف، والفقه الحضاري، وفقه التغيير، وفقه الواقع وفقه الأولويات[1] ومن معالم الوسطية أيضاً التركيز على القيم الأخلاقية، وتجديد الدين من داخله، وإحياء مبدأ الاجتهاد، والموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، وتبنى منح التيسير والتخفيف في الفقه والفتوى، وتطوير مناهج الدعوة مع التيسير في الدعوة والتدرج الحكيم في الدعوة، والتعليم، والإفتاء، والتغير، وتأكيد الدعوة إلى المزج بين الروحانية والمادية، وبين الربانية والإنسانية، وبين العقل والوجدان، والدعوة إلى السلام مع التمسك بالدفاع عن حرمة الدين والمقدسات، والاعتراف بحقوق الأقليات الدينية، واحترام العقل والتفكير، وتكوين العقلية العلمية، ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى، والدعوة إلى المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية مثل العدل، والشورى، والحرية، والكرامة، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة والعناية بأمر الأسرة، والعناية بالأقليات الإسلامية في العالم[2] ومن معالم الوسطية أيضاً الإيمان بالتعددية الدينية والعرقية، واللغوية، والثقافية، والسياسية، وضرورة التعايش بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، وتفاعل بعضها مع بعض، واقتباس بعضها من بعض دون انكماش ولا استعلاء[3].

وتشير صفة الوسطية إلى مناقشة الفكر الواقع بين الإفراط والتفريط، وتشير أيضاً إلى التوازن المحمود الدال على كيفية التعامل مع الآخرين، وإلى تميز الإسلام بالاعتدال والسماحة واليسر، وتميز حضارة الإسلام بالتسامح الحضاري، والترحيب بالحوار الحضاري، وقبول التعددية الثقافية والحضارية[4].

---

(١) الشيخ يوسف القرضاوي؛ كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، سلسلة الأمة الوسط، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٧- ٥٩.

(٣) نفس المرجع، ص ٥٩.

(٣) أحمد عمر هاشم، الاعتدال في الإسلام (القاهرة: الشركة المتحدة للطباعة والنشر، بدون تاريخ) ص٧، ١٢١.

ويعتبر الحوار نتيجة من نتائج الوسطية الإسلامية وغياب الحوار يؤدى إلى ظهور التشدد والتطرف حيث أن الانغلاق وضيق الأفق، وغياب أخلاقيات التعامل مع (الآخر) تؤدى إلى الوقوع في التعصب، والتطرف الفكري والديني[١] كما أن الوسطية تساعد على اعتماد الحوار كوسيلة للتواصل الإنساني باعتبار أن الوسطية دعوة جادة إلى احترام التنوع الثقافي وبغض التمييز البشرى الجنسي، أو العنصري، أو القومي، أو الطائفي، أو المذهبي، أو المادي وكل ألوان العلو والفوقية والاحتكار والاستئثار، وقد اعتبر التفاعل الحضاري من أهم معالم الوسطية الإسلامية فقد «خلق الله الكون متنوعاً في العقائد والأديان والمذاهب، والمدارس والأفكار، واللغات والألسن والثقافات، والأعراف والأجناس، والألوان، والأنظمة والقوانين، والملابس والأزياء والفنون.. وإن هذه التعددية والتنوع مصدر لإغناء الحياة وجمالها، وهي سنة كونية ثابتة وأن هذا التنوع موجود في كل الحضارات ومن التعسف تنميط الكيانات الحضارية ضمن قوالب أحادية جامدة، وتجاهل ما تضم الحضارة الواحدة من تفاعلات متعددة، ومن الضروري تحقيق التكافؤ والندية بين الأطراف الحضارية المتفاعلة باعتبارها شريكة في الإرث الإنساني العام. ولا بد من تكريس قيم ومبادئ الحوار والتثاقف الحضاري وتبادل المعرفة وتفهم وجهات النظر»[٢] .

والوسطية تعني حب الناس جميعاً وحب الخير لهم، ومن خلال الوسطية تم وضع حدود التعامل الإنساني وقواعد الاتصال البشرى، وإرساء القيم والتشريعات المناسبة للفطرة الإنسانية لتأخذ بها الأمم عن اقتناع عقلي حر[٣].

---

(١) منار الإسلام، تقرير عن ندوة الوسطية منهج حياة، عرض على محمد العجلة، العدد ٣٦٦، السنة ٣١ جمادى الأخرة ١٤٢٦هـ/ يوليو ٢٠٠٥م، ص٤١، ٤٧.

(٢) المركز العالمي للوسطية رؤية ورسالة، الكويت (بدون تاريخ) ص ٢٩ ــ ٣٠.

(٣) وجيهة البحارنة، الوسطية كمفهوم قرآنى، النشرة العدد ٣٥، السنة ٩ مارس ٢٠٠٥م، المعهد الملكى للدراسات الدينية، عمان، الأردن، ص١١.

إن الوسطية تجعل الحوار ممكناً بما تدعو إليه من عدل وتسامح، وحث على مكارم الأخلاق، وبما تؤدى إليه من توازن عقلي، ونفسي، وعاطفي، فالوسطية تؤدى إلى قبول (الآخر)، وتجعل الباب مفتوحا أمام إبداء الرأي، وحرية التعبير، وتعارض الوصاية الفكرية، وتنبذ القهر الفكري، وآلة تحقيق هذا كله الحوار العقلي المنطقي على المستوى الديني والحضارى مع (الآخر) وإحلال ثقافة التعايش والتسامح بين المجتمعات والشعوب[١].

خامساً: ارتباط الحوار بالتعارف كهدف إسلامي:

أقر القرآن الكريم الاختلاف بين البشر وجعله سنة من سنن الاجتماع البشرى، كما أقر بالتعارف وجعله مرتبطاً بالاختلاف كنتيجة طبيعية له.

وقد توسع المسلمون في مجال التعارف حتى أصبح التعارف سبيلاً لحوار الحضارات مما ينتج عن هذا التعارف من اتصال بين الحضارات والتقاء نافع بينها، وتلاقح يؤدى إلى تطورها وتحسينها، وتبادل المنافع فيما بينها، وقد كان هذا شأن الحضارة الإسلامية التي كانت من أكثر الحضارات اتصالاً بغيرها مستفيدة من غيرها، ومفيدة لها في نفس الوقت، وقد تعاملت مع الحضارات الأخرى تعاملاً معرفياً فأصبحت من أكثر الحضارات اتساعاً في حجم المعلومات التي توفرت عن شعوب العالم [٢].

إن التعارف يؤدى إلى اختفاء الجهل بـ(الآخر)، وخطورة الجهل بـ(الآخر) تتمثل في خلق التصورات المغلوطة عنه، وتطور الخوف منه. والشعور المتبادل بالخوف يقوض الاستعداد للحوار وتبادل الأفكار[٣]. فالتعارف يؤدى إلى القضاء على الجهل بـ(الآخر) والذي هو مصدر الخوف المتبادل المؤدى إلى القطيعة والعداء.

---

(١) المركز العالمي للوسطية رؤية ورسالة، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) شمس الدين الكيلاني، شغف الرحالة العرب بالتعرف على أوربا (التعارف سبيلاً لحوار الحضارات)، مجلة الاجتهاد العددان ٥٢، ٥٣ السنة ١٣، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بيروت، ص٣٥٠-٣٥١.

(٣) انجمار كارلسون، عداء الشرق والغرب: الخوف المتبادل، في كتابه: الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير بوناني، استوكهولم، ١٩٩٤م، ص٣٣.

الفصل الثالث

الحوار الداخلي والحوار الخارجي

المبحث الأول: الحوار الداخلي بناء (الذات)

الحوار الداخلي مع (الذات) حوار صعب وهو في بعض النواحي أصعب من الحوار الخارجي، وذلك لأن الحوار الخارجي مع (آخر) مختلف ديناً، وثقافة، وحضارة ويقوم على أساس من هذا الاختلاف التعارف، والوصول إلى المشترك، وتحقيق الفهم والتفاهم.

أما الحوار الداخلي فإشكاليته تبدو في الاتفاق الظاهر بين أطرافه، والاختلاف الداخلي غير المعلن، والحوار الداخلي هو حوار بين طرفين ينتميان إلى نفس (الذات)، وإلى الهوية نفسها، والتعارف بينهما متوقع بل هو أصل العلاقة بينهما، والمشترك بينهما مختلف عليه، والدليل على صعوبة الحوار الداخلي أن الحوار الخارجي بدأ مع الأديان والحضارات الأخرى منذ أكثر من نصف قرن، ومع ذلك لم يبدأ حوار داخلي جاد حتى الآن.

ويبدو في كثير من الأحيان أن الاختلاف مع (الذات) أشد من الاختلاف مع (الآخر) (غير المسلم) ولعل السبب الأساسي هو أن الحدود واضحة في الاختلاف والخلاف مع (الآخر) غير المسلم، أما الخلاف مع المسلم فسببه اختلاط الحدود، وحدة العصبية، وقوة القبلية، واختلاط هذا بمفاهيم الأخوة الإسلامية، والأمة الإسلامية، وصراع القوميات على مستوى الدول والشعوب بحيث يبدو في النهاية أننا نتعامل مع (آخر) مسلم كما نتعامل مع (آخر) غير مسلم، فـ(الذات) المسلمة مفككة ومنقسمة إلى عدة ذوات.

وهنا تظهر أهمية الحوار الداخلي من أجل بناء (الذات)، ومحو مفهوم (الآخر) المسلم، والقضاء على أسباب الفرقة بين المسلمين، وبناء العلاقات الإسلامية – الإسلامية على أسس جديدة تسمح بالتعارف، ودعم المشترك، وتحقيق التفاهم.

ولذلك فالحوار الداخلي يجب أن يكون على عدة مستويات تتناسب مع طبيعة التفكك والتشرذم الذي تعاني منه (الذات) الإسلامية، وعلى هذا الأساس نتصور عدة حوارات داخلية تتفق مع طبيعة الانقسامات داخل المجتمع المسلم الواحد، وداخل المجتمعات المسلمة ككل، ولهذا الحوار الإسلامي - الإسلامي أسسه التي منها أن يعتني هذا الحوار بحاضر ومستقبل المسلمين، وأن يكون هناك تفاهم واضح لقيمة الماضي، وأن يكون عن وعي بالأخطار التي تتعرض لها الأمة ووفق تحديات القرن الحادي والعشرين للمسلمين، وأن يهتم الحوار بشباب المسلمين وتثبيت قيم الحوار لديهم.(١)

أولاً: الحوار الداخلي السني – السني:

لأول وهلة يبدو العالم الإسلامي السني وكأنه عالم واحد يجمعه الكتاب وسنة الرسول ﷺ، ولسنا في مجال مناقشة عالم السنة منذ بداية الإسلام ولكن يكفي أن نشير إلى أن السنة انقسمت في قرون الهجرة الأولى إلى عدة فرق دينية ضمها مؤرخو الأديان المسلمون في مجموعة واحدة تحت مسمى فرق أهل السنة والجماعة.

أما الوضع في تاريخ المسلمين الحديث والمعاصر فهو لا يشير إلى وجود فرق دينية سنية كما كان الحال في الماضي، ولكن توجد جماعات، أو حركات، أو اتجاهات مختلفة تنضم تحت لواء السنة لكنها لا ترقى إلى مستوى الفرقة الدينية.

---

(١) عبد العزيز الخياط، أسس للحوار الإسلامي ــ الإسلامي، مجلة الكلمة ١٩٩٦م.

والسؤال هل تحتاج الجماعات السنية المختلفة في أرجاء العالم الإسلامي إلى الحوار الداخلي فيما بينها؟

الإجابة على هذا السؤال ترتبط بحجم الاختلافات والخلافات بين جماعات السنة هذه، وأعتقد أن الحوار بينها واجب بصرف النظر عن اختلافاتها ومدى حدتها، الحوار واجب من أجل رفع هذه الخلافات، والتخفيف من حدة هذه الاختلافات، ومن أجل تحقيق ما يمكن تسميته بسنة واحدة مُوحِّدة في أرجاء العالم الإسلامي، والحوار الداخلي بينها واجب حتى تتمكن من دفع الأمة الإسلامية إلى الوحدة لمواجهة هجمة الغرب على العالم الإسلامي، وتوحيد كلمة المسلمين، والرفع من شأنهم داخليًا وخارجيًا، والدفاع عن مقدسات الأمة وحقوق أبنائها.

ويدخل ضمن دائرة الحوار الداخلي السني مسائل مهمة كثيرة منها على سبيل المثال الحوار بين المذاهب الفقهية المختلفة التي تنطوي تحت عباءة السنة، وهدف مثل هذا الحوار التقريب بين المذاهب الفقهية، والتعاون الفقهي في حل مشاكل المسلمين المعاصرين، وتكييف المجتمعات الإسلامية مع العصر الحديث، وتمكين المسلمين والعمل على تنمية مجتمعاتهم، ومواجهة مشاكل أقلياتهم في المجتمعات غير المسلمة.

وهناك حوار آخر مطلوب على الجبهة الداخلية وهو حوار الدين والعلم من أجل الارتقاء العلمي بالمجتمعات الإسلامية، وحل المشاكل التي تواجه التقدم العلمي للمسلمين، ورفع التناقض المتوهم بين الدين والعلم، وضمان حرية البحث العلمي داخل إطار الضوابط الدينية والأخلاقية، ومثل هذا الحوار الداخلي يجب أن يدور بين علماء الدين والعلماء المسلمين في كل مجالات العلم التطبيقية والنظرية لأن هذا يساعد بشكل قوى في فهم العلاقة الشائكة بين الدين والعلم، وفى حل المشكلات القائمة بين المجالين لمصلحة الأمة الإسلامية.

ثانيًا: الحوار السني – الشيعي:

العلاقات بين السنة والشيعة علاقات متوترة دائماً وتتراوح في الحقيقة بين القطيعة التامة، ومحاولات التقريب التي تتم على استحياء منذ فترة طويلة، و لم تترك حتى الآن تأثيرًا ملموسًا في العلاقات بين السنة والشيعة، ومن بين الحوارات السنية الشيعية حوار الشيخ إبراهيم الراوي العالم السني البغدادي (توفى: ١٣٦٥هـ/ ١٩٣٦م) مع السيد محمد مهدي السيزواري الشيعي (توفى:١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) وقد أوصى المحاوران السني والشيعي بترك التعصب المتوارث، والابتعاد عن المجادلات الطائفية، وإيقاف أنواع التشهير الطائفي بين الفرق والملل والنحل، وترك الحرية الشخصية للاعتقاد، وعدم جعل المذهبية محوراً للتنافس أو التعصب الطائفي[١] ومن جهود التقريب بين السنة والشيعة ما قامت به «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» المؤسسة في القاهرة عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م والتي أصدرت مجلة «رسالة الإسلام» عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م والتي توقفت عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م وقد اهتمت بأدب التقريب، وكان هدف هذه الدار «عدم استغلال الفوارق المذهبية والاختلاف بين المسلمين في شق صفوفهم وإضعافهم بالتناحر، وكانت دعوة التقريب بين المذاهب في قراءة المشتركات بينهم»[٢]ومن أئمة التقريب الدكتور حسين علي محفوظ الذي وضع أساساً للتوحيد بين المذاهب يقوم على «قواعد عقلية لا تجعل من مسائل الاختلاف النظري سبيلاً للاختلاف العملي في الممارسة والأداء، وأوصى بترك كتب الخلاف وعدم التعويل على كتب الملل والنحل المثيرة للفتن والاشتغال بالعلوم الحقيقية»[٣]، وأقر بأن «موضوعات كتب الخلاف في الفقه هي مادة توافق وأن علم

(١) جودت القزويني، اتجاهات التقريب بين المذاهب الإسلامية، مجلة المنهاج ، العدد ٢٨، شتاء ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، بيروت، ص١٢٠-١٢١.
(٢) المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٣.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

الحديث يجمع أمر الأمة ويوحدها، وأن الأمة متفقة على أصول أدلة الأحكام الشرعية وهي الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، وأن منهاج الأمة واحد، وسنتها واحدة، ومذهبها واحد».[1]

ومن المفترض أن الحوار المطلوب بين السنة والشيعة حسب مقتضيات هذا البحث لا ينظر في الأسباب السياسية الحالية السابقة على أحداث سبتمبر ٢٠٠١م أو التالية لها، فالهدف هو البحث في إمكانية الحوار الديني السني الشيعي بعيدًا عن المتغيرات السياسية في المنطقة، وإن كان يبدو من الصعب عزل الدين عن السياسة في موضوع الحوار الديني بين السنة والشيعة لأسباب تاريخية قديمة وحديثة.

وسنحاول في الصفحات القادمة تقديم تصور لإمكانية الحوار الديني بعيدًا عن شئون السياسة، ومن منطلقات دينية بحتة، وبالنظر إلى كل من السنة والشيعة داخل إطار الإسلام، وداخل إطار العلاقات الدينية الخالصة.

لا شك أن الانقسام إلي سنة وشيعة هو أقوى انقسام في تاريخ المسلمين، وقد انقسمت بلاد المسلمين بالفعل إلى بلاد يسيطر عليها السنة، وبلاد يسيطر عليها التشيع، وبلاد ربما تختلط أو تتساوى فيها كفتا السنة والتشيع، وهذا الانقسام في أصله انقسام سياسي تحول إلي انقسام ديني تبعته مع مرور الزمن قطيعة دينية تامة إلى حد أن العلاقات بين العالم السني والعالم الشيعي في تاريخ المسلمين وقفت عند حدود العلاقات السياسية، وقد كانت هي الأخرى علاقات سلبية أكثر منها إيجابية، ولاشك أيضاً في أن القطيعة الدينية على مر قرون التاريخ الإسلامي أدت إلى ميلاد ثقافتين دينيتين خاصتين، ثقافة دينية شيعية في بلاد التشيع، وثقافة دينية سنية في بلاد السنة، وهذا يعنى أن القطيعة الدينية أدت إلى تولد ثقافتين

---

(١) المرجع نفسه، ص١٢٥-١٢٦.

دينيتين مختلفتين، ونقصد بالثقافة هنا العادات الدينية التي نشأت وتطورت في ظل القطيعة الدينية، وهى ثقافة ارتبطت بالموروث الديني، وبالخلفية الدينية للصراع السني الشيعي، وتمثلت في مجموعة الممارسات الدينية التي تطورت مع تطور التشيع، وتمخضت عن طقوس دينية مختلفة وعن تراث ديني مختلف، وعن نصوص دينية مختلفة، وعن تفسير مختلف للدين الواحد، وعن شخصيات وزعامات دينية مختلفة، وعن رؤى دينية مختلفة تجاه هذه الزعامات سنية كانت، أو شيعية.

وبدون الدخول في الخلفيات الدينية والسياسية التي أدت إلى القطيعة الدينية، وتولد ثقافة دينية مختلفة نقدم تصوراً للحوار السني الشيعي يقوم على المنطلقات التالية، ويؤسس لعلاقات سنية شيعية على أسس جديدة مستمدة من الواقع الإسلامي الجديد بعد الحادي عشر من سبتمبر، وعلى الواقع العالمي الجديد.[1]

١- مبادئ الحوار الديني بين السنة والشيعة:

إن بناء علاقات جديدة ومعاصرة بين السنة والشيعة يجب أن تقوم على المبادئ التالية:

أ – مبدأ الأخوة الإسلامية:

يعتبر مبدأ الأخوة الإسلامية أهم المبادئ التي يمكن أن تؤسس لعلاقات سنية شيعية في الفترة المعاصرة، ولا نغالي إذا قلنا: إن السنة والشيعة تجاهلوا هذا المبدأ في الماضي، فقد أدت القطيعة الدينية والثقافية والسياسية عبر التاريخ الإسلامي إلى توقف

---

(١) اقترح الدكتور عبد العزيز الخياط إجراء حوارات للتفاهم المستقبلي ما بين السنة والشيعة حيث تجمعهم قواسم مشتركة كثيرة ، وأشار إلى جهود الأستاذ محمد تقي القمي والشيخ مصطفى عبد الرزاق في إيجاد قدر من الفهم المشترك، وأشار إلى محاولات شخصية له مع الشيخ الخالصي في بغداد ١٩٥٣م ومع الأستاذ الخراساني الأمين العام لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية – طهران، انظر: عبد العزيز الخياط، أسس للحوار الإسلامي-الإسلامي، مجلة الكلمة، ١٩٩٦م، ص ٨٧.

مبدأ الأخوة الإسلامية كمبدأ إسلامي فاعل في دعم علاقات المسلمين يبعضهم البعض بصرف النظر عن انتماءاتهم السياسية ومذاهبهم الدينية، والمطلوب إحياء مبدأ الأخوة الإسلامية وتفعيله في العصر الحالي كأساس لبناء علاقة جديدة بين السنة والشيعة.

ب – مبدأ الأخوة الإنسانية:

وهو مبدأ عام صالح للربط بين البشر عموماً باعتبار عودهم إلى أصل واحد، وباعتبار المشترك الإنساني الذي يجتمعون حوله، و لم نبدأ بهذا المبدأ في بناء علاقة السنة بالشيعة باعتبار أن الأخوة في الإسلام رابطة قوية جداً في حالة السنة والشيعة ويجب الاعتماد عليها أولاً، ولكن هذا لا يمنع من الاستناد إلى مبدأ الأخوة الإنسانية في التقريب بين السنة والشيعة كمبدأ عام مساعد في التقريب بين البشر عموماً.

ج– مبدأ حرية العقيدة:

اعترف الإسلام منذ البداية بحرية العقيدة وطالب بتطبيق مبدأ عدم الإكراه الديني ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ و﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، والاعتراف بالتعددية الدينية في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وإذا كان هذا هو الأمر بين المسلمين وغير المسلمين فمن باب أولى أن يكون هذا هو المبدأ في علاقة المسلمين بالمسلمين في حالة الاختلاف العقدي والمذهبي.

د– مبادئ حقوق الإنسان:

هذه مبادئ معاصرة في تاريخ الغرب، ولكنها مبادئ قديمة في تاريخ المسلمين، ومن أهم مبادئ حقوق الإنسان حق حرية التدين الذي أشرنا إليه سابقاً كمبدأ إسلامي، ونشير إليه هنا كمبدأ إنساني عام منصوص عليه في مواثيق حقوق الإنسان العالمية، ولابد من الالتزام بها، وبخاصة لأنها لا تتعارض مع المبدأ الإسلامي العام في حق التدين، وحق الاختلاف الديني والعقدي.

هـ - حقوق الأقليات الدينية والعرقية:

ويرتبط بحقوق الإنسان بشكل عام حقوق الأقليات الدينية والطوائف الإثنية والعرقية في بلاد المسلمين وغير بلاد المسلمين، فأصبح من حق الأقليات الدينية في بلاد المسلمين أن تتمتع بحرية ممارسة عقيدتها، وأن تتوفر لها الحماية التي تمنع عنها الاضطهاد الديني، ونفس الشيء بالنسبة للأقليات المسلمة في بلاد غير المسلمين، وهذه الحقوق معترف بها إسلامياً، وتحتاج هذه الحقوق إلى تفعيل وتمكين حتى تصبح قاعدة في التعامل بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين والمسلمين المختلفين مذهبياً.

٢- أسس الحوار الديني المعاصر بين السنة والشيعة:

استناداً إلى المبادئ السابقة يجب أن ينشأ حوار سني شيعي يستند إلى الأسس التالية:

أ - الاعتراف الديني المتبادل بحق الاختلاف المذهبي:

والمقصود بالاعتراف الديني المتبادل أن يعترف السنة بالشيعة، ويعترف الشيعة بالسنة، وليس بالضرورة أن يعني الاعتراف الديني قبول السنة لفكر الشيعة، أو قبول الشيعة لفكر السنة، إنما المقصود هو الاعتراف بحق الاختلاف المذهبي، وهو مبدأ قبله الإسلام في حق غير المسلمين، ومن باب أولى أن يكون مقبولاً بين المسلمين أنفسهم. والاختلاف المذهبي بين السنة والشيعة أصبح واقعاً دينياً مرت عليه قرون عديدة، ولا بد من الاعتراف بهذا الواقع الديني في تاريخ المسلمين المعاصر، خاصة وأنه يتفق مع قاعدة التعددية والاختلاف الديني.

ب - الاحترام والود المتبادل:

لابد من بناء العلاقة الدينية الجديدة بين السنة والشيعة على أساس من الاحترام المتبادل، وتقوية دعائم الود المفقود بين الطرفين، فلا شك أن الصراع الطويل بين السنة

والشيعة قد ولّد تاريخياً نوعاً من الجفاء بين الطرفين، وعلى كل منهما أن يقبل (الآخر) ويحترمه ويوده على أسس إنسانية وإسلامية، واعتقد أن الاعتراف المتبادل سيؤدى إن صدق إلى تبدل المشاعر وتولد علاقة جديدة يسودها الاحترام والود المتبادل.

جـ – أساس التقريب المذهبي:

في ظل هذه العلاقة الجديدة المبنية على الاعتراف المذهبي والاحترام المتبادل يجب أن توضع استراتيجية إسلامية للتقريب بين السنة والشيعة، وإذا كانت ظروف الماضي لم تسمح بنجاح جهود التقريب فأعتقد أن المرحلة التي نعيشها الآن وفى ظل الاعتراف المتبادل يمكن لجهود التقريب أن تدخل مرحلة جديدة توضع فيها أسس جديدة للتقريب تسمح بالاختلاف المذهبي، وتعمل على وجوه الاتفاق الكثيرة المتوفرة فتدعمها في ظل استراتيجية إسلامية تعمل على التخفيف من حدة الاختلاف، وتوجيه الطاقات الإسلامية السنية والشيعية نحو تقوية المسلمين عن طريق نبذ الخلافات المذهبية، وقد اقترح السيد كمال الحيدري ما سماه بالمنهج المشترك للتحاور بين السنة والشيعة، أو بالمنهجية المشتركة. كما أطلق عليه أيضا «علم المناهج المقارن» الذي يستوعب داخله جميع المناهج المتداولة بين المدارس والمذاهب الإسلامية، ويكون دليلا الى التلاقح والتواصل والحوار، ويذكر في هذه بعمل الشيخ محمد تقي «الأصول العامة للفقه المقارن» وتحديده لمنهجية مشتركة في مقاربات موضوعية نحو الاستنباط الفقهي لكي يخفف من حدة الخلاف بين المدارس الإسلامية الفقهية وتأكيده على إقرار علم الخلاف.[1]

---

(١) السيد كمال الحيدري، المدارس الإسلامية بين الاختلاف وضرورات المنهجية المشتركة، مجلة الكلمة ١٩٩٦م، ص ٩٢؛ وانظر كذلك: صادق محمد الجبيران، من أجل قواعد للحوار الإسلامي-الإسلامي، مجلة الكلمة ١٩٩٦م، ص ٩٥ حيث أشار إلى أن الفقه المقارن له دور في تخفيف حدة الخلاف بين المسلمين والتقليل من تأثير العوامل المفرقة للمسلمين.

وتعتبر الأخوة الإسلامية قاعدة أساسية في التقريب بين المسلمين على الرغم من اختلافهم المذهبي والسياسي، وهو مبدأ صالح الآن لبداية حوار سني شيعي يعترف بهذه الأخوة، ويدعمها كأساس للعلاقات الإسلامية، وقد أكد الشيخ حسنين محمد مخلوف على أهمية الأخوة الإسلامية في مسألة التقريب حيث يقول: «إنني من المؤمنين بفكرة التقريب.. إن الإسلام هو دين الوحدة كما هو دين التوحيد... وإذا بدا لنا أن شيئا من البحوث النظرية ... سيخرجنا عن أخوة الإسلام.. فعلينا أن نعرض عنه غير آسفين»[1] وقد أكد عدنان رضا النحوي الأخوة في الحوار الإسلامي - الإسلامي باعتبارها مسؤولية وتآلف، وفكر، وعاطفة، ويعتبر الأخوة في الله قضية أساسية في الحوار، وفي قضية وحدة المسلمين، ويطالب بجعل الأخوة منهجاً وسلوكاً في الحوار الإسلامي - الإسلامي[2].

من المعروف أن العالم الإسلامي المعاصر يعيش أزمة قوية على مستوى الهوية وعلى مستوى العلاقات مع العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وهذه الأزمة الإسلامية مشتركة، فالعداء الغربي للإسلام والمسلمين لا يفرق بين سنة وشيعة، والتحديات التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر أيضاً لا تفرق بين سنة وشيعة، فهي تحديات عامة فرضتها ظروف العالم المعاصر، والكل متهم بالإرهاب، وبالتشدد، وبالتعصب الديني، وعدم التسامح، والشبهات المثارة ضد الإسلام لا تفرق بين السنة والشيعة، فالاتهامات والشبهات واحدة، ولذلك فالتقريب أساس من أسس الحوار الديني بين السنة والشيعة وضرورة عصرية تفرضها الظروف السياسية المعاصرة، وتفرضها أيضاً نظرية صراع الحضارات كنظرية فاعلة في السياسة الدولية، وفى العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي.

---

(١) الشيخ حسنين محمد مخلوف، فكرة التقريب، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، ١٩٤٨م.
(٢) عدنان رضا النحوي، قاعدة الإخوة في الحوار الإسلامي، مجلة الكلمة ١٩٩٦م، ص ١٠٢ - ١٠٣.

٣- استراتيجية التقريب وآلياته:

يحتاج التقريب بين السنة والشيعة إلى جهود إسلامية مشتركة تتصف بالصبر والمثابرة، والاجتهاد، والاستمرارية، وقد حدثت حتى الآن خمسة «اختراقات»، كما يسميها الدكتور عز الدين إبراهيم[١] في هذا المجال الأول اختراق فقهي بإدراج الفقه الجعفري ضمن دراسة الفقه في الجامع الأزهر السني، وجواز التعبد بأي من المذاهب الإسلامية ومنها المذهب الجعفري[٢] والاتفاق على الالتفاف حول العقائد والأصول المجمع عليها، والإعذار في الفرعيات التي ليست من شروط الإيمان ولا من أركان الدين، والإنجاز الثاني إنجاز تشريعي باعتماد المذاهب الثمانية مرجعية للتشريعات، وهي المذاهب الأربعة السنية، والإمامة، والزيدية من الشيعة، والإباضية والمذهب الظاهري[٣]. ومن الإنجازات أيضاً إصدار موسوعتين للفقه الإسلامي في مصر والكويت، والعمل في موسوعة للقواعد الفقهية بالمملكة العربية السعودية، وتشمل هذه الموسوعات على المذاهب الثمانية ومن المشروعات المطروحة مشروع يتعلق بالسنة النبوية، وهو مشروع يسعى إلى جمع المشترك في موضوعات معينة، مثل الصلاة والصيام، والهدف النهائي تحقيق وحدة المصدر الثاني وهو السنة النبوية المشرفة. وأخيرا انتشار الاهتمام بفكرة التقريب بين المذاهب كما يتضح في المؤتمرات التي تعقد، والمؤسسات التي أعلنت عن اهتمامها مثل مجمع البحوث الإسلامية في مصر، ومنظمة الإيسيسكو، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية[٤].

---

(١) عز الدين إبراهيم، رسالة إلى المؤتمر الدولي حول التسامح الديني والتقريب بين المذاهب، ٢٦- ٢٧ مارس ٢٠٠٧م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة كراتشي، ص ٥.

(٢) نصر فريد واصل، الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ومنهجه في الإصلاح والتجديد والتقريب بين المذاهب الإسلامية، مقال في كتاب: الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب، إعداد المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٥٦، ١٥٨.

(٣) عز الدين إبراهيم، مرجع سابق، ص ٥.

(٤) المرجع السابق، ص٦-٧.

ويضاف إلى هذه الإنجازات السابقة بعض الجهود الحديثة التي تبذل داخل إطار حوار الأديان والمذاهب، فقد عقد في قطر يناير ٢٠٠٧م مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية بعنوان: «دور التقريب في الوحدة العملية للأمة» وانتهى المؤتمر إلى إصدار بعض التوصيات المهمة من بينها إدانة الحرب الطائفية بين السنة والشيعة في العراق، والتأكيد على حرمة دم المسلم وماله وعرضه، واستنكار الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية، وضرورة استمرار جهود تحقيق التقارب والتفاهم بين مختلف المذاهب والفرق الإسلامية، والدعوة إلى احترام مقدسات المذاهب والفرق الإسلامية، والدعوة إلى الحفاظ على حدود وضوابط التعامل مع (الآخر)، وعدم السماح بالدعوة لأحد المذاهب في بلاد المذهب الآخر منعا للفتنة وأوصى المؤتمر بتشكيل مجمع علمي عالمي لتعزيز فكرة التقريب واقترح الدوحة مقراً لهذا المجمع، ونادى بإصلاح المناهج التعليمية لدعم فكرة الوحدة والتقريب، بين المذاهب والفرق الإسلامية[١].

ومن الجهود الأخيرة المؤتمر الذي عقد في مركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة كراتشي تحت عنوان: «التسامح الديني والتقريب بين المذاهب، ٢٦- ٢٧ مارس ٢٠٠٧م» وقد نشرت أعماله في عدد خاص من مجلة الثقافة الإسلامية التي يصدرها مركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة كراتشي[٢] وقد أصدر المؤتمر إعلان كراتشي الذي أكد على العمل على نشر أدبيات التسامح والحوار والتقريب بين المذاهب، وإقامة وحدة بحثية في كل جامعة تهتم ببحوث التقريب بين المذاهب، وإنشاء هيئة مستقلة تتولى نشر مفاهيم التسامح الديني والتقريب بين شتى المذاهب والأديان.

---

(١) بيان الدوحة الصادر عن مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية (١-٣ محرم ١٤٢٨هـ/ الموافق ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٧م).

(٢) مجلة الثقافة الإسلامية، عدد خاص عن المؤتمر الدولي حول التسامح الديني والتقريب بين المذاهب ٢٦- ٢٧ مارس ٢٠٠٧م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، جامعة كراتشي.

لا شك في أن الجهود المذكورة سابقا جهود طيبة وصادقة، ولكن المشكلة هي أنها جهود مؤقتة، ولا تتمتع بالاستمرارية، ولا يتوافر لها الدعم الإسلامي الحكومي المعنوي والمادي حتى تتحول إلى مؤسسات مهمتها الوحيدة التخطيط للتقريب، ووضع آليات منظمة له كاستراتيجية إسلامية عامة، وليس كمجرد جهود فردية تموت بموت أصحابها.

ولكي يتحول التقريب بين المذاهب إلى استراتيجية إسلامية عامة يجب تحديد أهداف التقريب ومنهجه تحديدا دقيقا، والنص على طبيعة التقريب المنشود، وآليات التقريب، وتشكيل المؤسسات المسؤولة عن التخطيط للتقريب وتنفيذه.

ويمكن تصور استراتيجية للتقريب بين المذاهب الإسلامية وباختصار شديد على النحو التالي:

أ- تحديد أهداف التقريب:

يمكن تحديد أهداف التقريب بين المذاهب فيما يلي:

١- تحقيق وحدة المسلمين، وبخاصة أن الأمة الإسلامية تتوفر لها مقومات الوحدة، والتعاون، والتضامن، فالدين واحد، والعقيدة واحدة، والكتاب واحد، والرسول واحد ﷺ[١].

٢- معالجة الفتن الطائفية، ومحاولات تفريق الأمة، وبخاصة من الاتجاه التكفيري الذي يغذّي العداء للمذهب (الآخر).

٣- تحقيق التفاهم بين أهل المذاهب الإسلامية من خلال الدرس العلمي والفقهي المقارن، وتنمية المعرفة المتبادلة.

---

(١) محمد حسن تبرائيان، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية ودورها في وحدة الأمة. مجلة المنبر تصدر عن هيئة علماء السودان، العدد الأول صفر ١٤٢٨هـ، مارس ٢٠٠٧م، ص١٥٨.

٤- تحقيق المصالح المشتركة للأمة الإسلامية، وتكوين جبهة واحدة للدفاع عنها.

ب- طبيعة التقريب بين المذاهب ومنهجه :

يحتاج التقريب بين المذاهب الإسلامية إلى تحديد لطبيعة التقريب، ومن جملة الدراسات التي أجريت عن التقريب في الفترة الماضية يمكن تحديد طبيعة التقريب فيما يلي:

١- الحرص على استقلالية المذاهب ورفض توحيدها وإدماجها في بعض، وقد تم التأكيد على أن فكرة التقريب لا تمس الفقه الإسلامي، ولا إدماج مذاهبه بعضها في بعض، وترى في الاختلاف الفقهي مفخرة للمسلمين لأنه يدل على سعة في الأفق، وحسن تقدير للمصالح، وخصوبة في التفكير[(١)].

٢- ليس التقريب إزالة أصل الخلاف بين المذاهب، بل إزالة أن يكون الخلاف سببا للعداء، فمن طبيعة التقريب الدفاع عن الحق في الاختلاف، فالاختلاف سنة من سنن الإجماع، والخلاف المذهبي وليد آراء اجتهادية مرجعها الكتاب والسنة، ويدل على الحرية الفكرية[(٢)].

٣- التقريب بين المذاهب التي تعتقد العقائد الصحيحة للإسلام التي يجب الإيمان بها[(٣)] والتقريب توضيح للأصول المتفق عليها، والتنبيه إلى مساحة المشترك، وتوسيع الدائرة المشتركة، والتعاون في المتفق عليه، وقبول العذر في المختلف

(١) فهمي هويدي، تجربة التقريب بين المذاهب في كتاب الإمامان البرو جردي وشلتوت رائدا التقريب، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٠، ٢٧٣.

(٣) علي أحمدي، الشيخ محمود شلتوت، تعريب عامر شوهاني، نشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران ٢٠٠٧م ص ٥٧.

عليه، مما لا صلة له بالعقائد الصحيحة، وبيان ما هو عقيدة يجب الإيمان بها، وما هو معارف لا يضر الخلاف فيها[1].

٤- أن التقريب بين المذاهب لا يخضع لأهداف سياسية إنما هو تقريب ديني مذهبي بمعزل عن السياسة[2].

٥- أن التقريب يقوم على أساس من حركة علمية بحثية تعتمد على الأدلة والبراهين ليتحقق الإقناع والاقتناع[3].

٦- أن التقريب توسيع لدائرة الفقه الواقعي الذي يلائم مصلحة الناس، ويلبي مطالب التشريع بعد الخروج من ضيق المذهب الواحد إلى سعة المذاهب الإسلامية المتعددة[4].

٧- أن التقريب نوع من الفقه المقارن الذي يدرس المذاهب الإسلامية المختلفة، ويقارن بينها من أجل الوصول إلى المشترك بينها، والاستفادة من آراء المذاهب الأخرى، وعدم الوقوف على مذهب معين من المذاهب الفقهية، وتوثيق الصلات بين المذاهب الإسلامية التي مصدرها الكتاب والسنة[5] ويؤكد هذا على ضرورة تأسيس الفقه المقارن للمقارنة بين المذاهب، واعتباره الفقه على الحقيقة ودراسة فقه المذاهب الإسلامية دراسة تعتمد على الدليل والبرهان، وتخلو من التعصب للحصول على القول الأفضل والأقوى.

---

(١) المرجع السابق ص ٥٧.

(٢) عبد المعطى محمد بيومي، دور الأزهر في حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية في كتاب: الإمامان البروجردي وشلتوت، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٤) محمد كمال الدين إمام، محمود شلتوت مجتهدا ورائدا للتقريب، قراءة تاريخية ووثائقية »«في كتاب: الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٥) علي محمد فتح الله، »«فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت وفكرة التقريب بين المذاهب»« في كتاب: الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب، مرجع سابق، ص ١٣٦.

ج- آليات التقريب ومؤسساته:

يحتاج التقريب بين المذاهب إلى آليات جديدة وإنشاء مؤسسات تخطط وتنظم له، وتعمل على تنفيذ استراتيجية التقريب، وفيما يلي ذكر لبعض هذه الآليات والمؤسسات:

١- الاستفادة من آلية الحوار التي استخدمت في حوار الأديان، وربما في حوار الحضارات، في دعم التقريب بين المذاهب من خلال جهود حوارية متواصلة يلتقي فيها علماء من السنة والشيعة بشكل دوري ومتواصل لمناقشة قضايا التقريب، وتحقيق التفاهم بشأنها، واقتراح الخطط لتنفيذها.

٢- آلية التمثيل المشترك في المؤتمرات الإسلامية والمؤتمرات الدولية التي يكون الإسلام طرفا فيها من أجل دعم سبل الاتصال والالتقاء بين علماء المذهبين، وتكوين مواقف إسلامية موحدة في شأن المسائل العالمية.

٣- إدخال مناهج الفقه المقارن في كل الجامعات الإسلامية، وتشجيع التخصص فيه على مستوى الدراسات العليا لتكوين أجيال قادرة على العمل في مجال التقريب بين المذاهب على أسس علمية ومقارنة.

٤- تأسيس معاهد للفقه المقارن تمنح دبلومات تخصصية، وتقوم بتدريس التقريب بين المذاهب من بين مناهجها، وتعطى دبلومات في التقريب.

٥- إحياء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي توقفت عام ١٩٧٠م.

٦- إعادة إصدار مجلة الدار «رسالة الإسلام» أو تأسيس مجلة علمية جديدة لنشر بحوث التقريب.

٧- إصدار الموسوعات الفقهية المقارنة.

٨- العمل على إصدار موسوعة التقريب بين المذاهب كعمل ودليل للمهتمين والباحثين في مجال التقريب بين المذاهب، وتُعَرِّف بالمواد الأساسية في هذا المجال.

٩- تأسيس مراكز للتقريب بين المذاهب وللحوار المذهبي.

١٠- تأسيس مجلس لإدارة الأزمات المذهبية، ولتحقيق التعايش بين أبناء المذاهب المختلفة.

١١- التشجيع الرسمي الحكومي لجهود التقريب في كل الدول الإسلامية.

ثالثاً: الحوار مع (الآخر) الداخلي غير المسلم:

يوجد داخل المجتمعات الإسلامية (الآخر) غير المسلم، والذي يشتمل على أهل الأديان الأخرى الذين يعيشون داخل المجتمعات الإسلامية في شكل أقليات أو كيانات غير مسلمة، وهى تختلف حسب موقع البلد، أو الإقليم المسلم، ففي بلدان العالم العربي مثلاً يكثر وجود المسيحيين واليهود، وفى بلاد العالم الإسلامي في جنوب شرقي آسيا توجد أقليات هندوسية، وبوذية، وكونفوشيوسية، كما توجد جماعات مسيحية.

هذا (الآخر) غير المسلم الذي ينتمي إلى البلد المسلم، ويعيش فيه كمواطن حر، أو كعضو أقلية دينية نحتاج إلى حوار ديني معه لدعم العلاقات الدينية، وتقوية انتمائه إلى البلد المسلم من خلال حسن معاملته، وضمان حقوقه، وعدم اضطهاده دينياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، وعلى الرغم من أن علاقة المجتمع المسلم بمواطنيه من غير المسلمين علاقة قوية وقائمة على أسس من الحماية الدينية والشرعية التي تضمن لهم حقوقهم وتمنع اضطهادهم على أسس دينية أو عرقية، فإن هذه العلاقة تحتاج إلى تجديد ودعم وبخاصة في ظل الظروف المعاصرة التي تشهد تصاعد التطرف الديني، وزيادة حدة التعصب، وعدم التسامح بين أبناء المجتمع الواحد المختلفين دينيًا، ولهذه الأسباب فالحوار الإسلامي مع (الآخر) غير المسلم داخل المجتمع المسلم مطلوب في المرحلة التي نعيشها كوسيلة من وسائل التقريب بين أبناء المجتمع الواحد، وتحقيق

التفاهم والفهم، وضمان عدم وقوع الاضطهـــاد الناتج عن تعصب ديني، أو ثقافي، أو إثني صحيح أن المجتمعات الإسلامية لم تشعر بهذه الحاجة إلى الحوار مـــع أهـــل الأديان الأخرى من مواطنيها إما لاستتباب الأمور، أو لعدم وجود مشاكل من أي نوع، ولكن الظروف الحالية تجعل من هذا الحوار ضرورة مهمة لتحقيق الأمن الديني والاجتماعي للمجتمعات الإسلامية.

مثل هذه الحوارات الدينية مطلوبة مع المسيحيين، واليهـــود في بلـــدان العـــالم الإسلامي، ومع الهندوس، والبوذيين، والكونفوشيوسيين في بعـــض بلـــدان العـــالم الإسلامي خارج العالم العربي، ومع أهل الديانات البدائية في إفريقيا وغيرها، وذلك من أجل وقاية المجتمعات الإسلامية من شرور التعصب الديني، وضـــمان الحمايـــة الدينية للمواطنين غير المسلمين، والتخلي عن كل أسباب سوء التعامل في الماضـــي، وبناء العلاقة المعاصرة على أسس من الحماية الدينية الشرعية، ومن حقوق الإنسان، وأهمها حق الحرية الدينية فضلاً عن حقوق المواطنة.

وهذا يحقق تطبيق المبادئ الإسلامية في التعامل مع غير المـــسلمين، ويـــضمن في الوقت نفسه حسن تعامل البلاد غير الإسلامية مع أقلياتها المسلمة الـــتي كثـــرت في العالم المعاصر بسبب انتشار الإسلام من ناحية، وبسبب هجرة أعداد من المـــسلمين إلى بلدان العالم المتقدم في الغرب والشرق لأسباب اقتصادية، فأصبح للإسلام أقلياته المنتشرة في البلدان غير الإسلامية ويترتب على حسن معاملة المسلمين لأقليـــاتهم أن يحسن العالم معاملة الأقليات المسلمة.

المبحث الثاني: الحوار الخارجي
التعايش وبناء المشترك الإنساني مع (الآخر)

يطلق على الحوار الخارجي أحياناً الحوار مع (الآخر)، والمقصود به على وجه العموم «حوار الحضارات» و«حوار الأديان»، ويقول د.عبد الستار الهيتي أنه إذا كان الحوار مع الآخر (حوار الحضارات والأديان) ضرورة إنسانية أملتها طبيعة الحياة المعاصرة، فإنه في الإسلام واجب شرعي وتكليف ديني ألزم الله به المسلمين حرصاً على إشاعة قيم التعاون والتسامح في إطار وحدة الجنس البشري»[1].

المقصود بالحوار الخارجي الحوار بين المسلم وغير المسلم الذي يعيش خارج المجتمعات الإسلامية، أو بين المجتمع المسلم ككل والمجتمعات غير المسلمة، ونظراً لوقوع العالم الإسلامي في موقع وسط بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، فإن الحوار الخارجي المطلوب هو في الحقيقة حوار مع كل العالم بكل أديانه وثقافاته، وقد يحتم الموقع الجغرافي للبلد المسلم أن يكون حواره مع دين معين، أو مجموعة دينية معينة تفرضها الجغرافيا فرضاً، والبلاد الإسلامية في الشرق الأقصى تحتاج إلى الحوار مع أهل الأديان الشرقية في شبه القارة الهندية، وفى الصين واليابان، والبلاد العربية تحتاج إلى الحوار مع المسيحية واليهودية، وقد يكون الحوار الإسلامي مع المسيحية حواراً عالمياً بسبب انتشار المسيحية في كل بلدان العالم تقريباً، واتصالها بالإسلام في كل المواقع، ووجود أقليات مسيحية في معظم بلاد العالم الإسلامي تقريباً، فالموقع الجغرافي للعالم الإسلامي جعله متصلاً بأهل كل الأديان، وبالتالي فالحوار المطلوب

---

(١) عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص ١٧١.

حوار إسلامي مع كل الأديان الموجودة في العالم، وهو لذلك حوار يتطلب معرفة موضوعية بمفاهيم الأديان المختلفة وبالثقافات المنتشرة في كل العالم.

وتختلف أهداف الحوار الخارجي عن الحوار الداخلي في بعض المناحي، فالحوار الداخلي حوار له هدف محدود وهو بناء (الذات)، بينما الحوار الخارجي هدفه تحديد علاقة (الذات) المسلمة بـ(الذوات) الأخرى، وإذا كان هدف الحوار الداخلي التقريب بين أهل الأديان داخل المجتمع المسلم الواحد فإن هدف الحوار الخارجي تحقيق هذا التقريب على مستوى أديان العالم مع الاعتراف بوجود أهداف محلية داخلية للحوار الداخلي ليست موجودة في الحوار الخارجي، ونعتقد أنه من الصعب الدخول في هذا الحوار الخارجي بدون تحقيق الحوار الداخلي أولاً والذي ينتهي إلى بناء (الذات)، أو الهوية الدينية والثقافية، التي ستمثل الدين في حواره الخارجي، وتحقق سعيه نحو التعايش الديني وبناء المشترك الإنساني العام، ونعتقد أيضاً أن هناك وحدة في الأهداف بين الحوار الداخلي والحوار الخارجي، ولعل الفارق الرئيسي يكمن في خصوصية الأهداف على المستوى الداخلي، وعالمية الأهداف على المستوى الخارجي، وجزء من الحوار الداخلي له امتداد في الحوار الخارجي، فالحوار بين المجتمع المسلم ومواطنيه غير المسلمين هو بمثابة جزء من الحوار الخارجي، وربما يكون تمهيداً، وامتدادًا له في نفس الوقت، وعلى سبيل المثال الحوار الإسلامي مع المسيحيين داخل العالم الإسلامي هو بلا شك تمهيد وامتداد للحوار الإسلامي مع المسيحية في العالم كله، وحوار المسلمين مع البوذيين الذين يعيشون داخل العالم الإسلامي هو بالتأكيد جزء وتمهيد وامتداد للحوار الإسلامي مع البوذية بشكل عام مع الاعتراف بخصوصية الحوار على المستوى المحلى أو الإقليمي، وعالمية الحوار على المستوى الخارجي، ويمكن أن تمثل الأقلية الدينية داخل المجتمع المسلم حلقة الوصل مع البلاد التي ينتشر فيها دين الأقلية.

أولاً: أهداف الحوار الخارجي:

١- تحقيق التعايش مع أهل الأديان والثقافات الأخرى:

من أهم أهداف الحوار الخارجي تحقيق التعايش مع أهل الأديان الأخرى، ويشير الواقع الديني للبشرية إلى أن هناك اختلاطاً دينياً واقعياً تتصف به كل بلاد العالم حيث لا يوجد بلد واحد في العالم ليست به أقليات دينية، وأصبحت التعددية الدينية من سمات العصر حيث أدت حركة الهجرة البشرية لأسباب اقتصادية إلى خلق أقليات دينية في الغرب والشرق، فالهجرة إلى الغرب من كل بلاد العالم تقريباً أدت إلى نشأة أقليات دينية في الغرب تكبر أو تصغر على حسب طبيعة علاقة هذا البلد بأقليته، فالبلاد الأوروبية ذات الماضي الاستعماري سمحت بالهجرة إليها من جانب مواطنين منتمين إلى المستعمرات كما حدث مثلاً مع بريطانيا بالنسبة لشعوب شبه القارة الهندية وكما حدث مع فرنسا بالنسبة لشعوب شمال إفريقيا ووسطها، وكما حدث بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي تطور سكانها على أساس من الهجرات من كل بلاد العالم تقريباً، هذا الواقع الديني أدى إلى ضرورة تحقيق التعايش الديني، والاعتراف بالتعددية الدينية كأساس لهذا التعايش.

وإذا نظرنا إلى الواقع الإسلامي فسنجد أن العالم الإسلامي على امتداده الجغرافي الواسع، ولأسباب اقتصادية في بعض الحالات، وجدت فيه جماعات تنتمي إلى أديان أخرى، وهي إما أديان كان لها وجود سابق في بلاد المسلمين، وبقيت أقليات تدل على هذا الوجود، أو جماعات هاجرت إليه لأسباب اقتصادية، وهي تحمل ديانات أخرى مثل العمالة غير المسلمة في بلاد الخليج العربي، فجزء كبير منها أتى من بلدان شرقية مثل الهند، والفلبين، وكوريا، والصين وغيرها فكونوا أقليات دينية في بلدان الخليج.

والواقع الإسلامي أيضاً يشير كما سبق الذكر إلى تواجد أقليات مسلمة في بلاد غير إسلامية في الغرب وفى الشرق، هذا الواقع الإسلامي في الداخل والخارج يحتم تحقيق درجة من التعايش بين المسلمين وغير المسلمين، وهذا التعايش مرتبط بطبيعة الدين ومدى قدرته على استيعاب غير المنتمين إليه، ومدى سماحته في قبوله للتعددية الدينية وقبول تواجد جماعات دينية مختلفة عنه فيه[1].

وفى كل الأحوال فإن الحوار الديني الخارجى هنا مطلوب بشكل أساسي لتحقيق التعايش داخل هذا الإطار الديني التعددي، والمقصود بالتعايش تحقيق التعايش المشترك لأهل أديان مختلفة داخل بلد واحد، والتعايش يعنى المشاركة في الحياة أو في المعيشة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا في مجتمع مفتوح يقبل الإنسان المختلف دينياً وثقافياً، ويرحب به، ويعطيه حقوقه، ويمكنه من أن يصبح مواطناً كاملاً في الحقوق والواجبات، وذلك مع ضمان عدم عزل هذا الإنسان داخل المجتمع كفرد أو كجماعة، لأن العزل ضد التعايش الذي يعني الاختلاط الإيجابي المبني على حقوق المواطنة مع ضمان عدم الاضطهاد، أو سوء التعامل القائم على أساس من الاختلاف الديني، أو الثقافي، أو العرقي.

والدين الإسلامي منذ بدايته دين تعايش، فقد اعترف بحق الاختلاف الديني، والثقافي، والعرقي، وتعامل مع الإنسان كإنسان مع ضمان لكل حقوقه[2]، وأصبح بفعل هذه المبادئ مجتمعاً مفتوحاً لا يعرف سياسة العزل بين سكانه بل يؤكد على التعايش من خلال الاختلاط التام.

---

(١) - Azyumardi Azra, Pluralism, Co- Existence and Religious Harmony in Southeast Asia, opcit, P124
- Muzaffar Iqbal, Islam and the West in the Emerging World Order, in Muslims and the West: Encounter and Dialogue»«, eds, Z. 1 Ansari and John Esposito, Islamic Research Institute, Islamabad and Center for Muslim- Christian Understanding, Georgetown University, Washington, D.C 2001, P.263 -264

(٢) علي محمد العجلة، تقرير عن ندوة الوسطية منهج حياة، مجلة منار الإسلام، العدد ٣٦٦، جمادي الأخرة ١٤٢٦هـ، ص ٣٦.

٢- بناء المشترك الإنساني مع (الآخر):

الهدف الثاني من أهداف الحوار الديني والثقافي الخارجي مع (الآخر) هو بناء المشترك الإنساني على عدة أسس تضمن حدوث التعايش الإنساني، وتساعد على تحقيق المشترك الإنساني، وتضمن استمراريته، ومن أهم هذه الأسس:

أ- أساس الأخوة الإنسانية:

يمثل هذا المبدأ الإسلامي الأساس الضامن للتعايش الإنساني، فالبشر من خلال هذا المبدأ إخوة يعودون إلى أصل واحد هو آدم وحواء، عليهما السلام، فهناك درجة من القرابة تربط البشرية ببعضها البعض مهما اختلفت ألوانهم، وهيئاتهم، ولغاتهم، وأنظمتهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وثقافاتهم، وأديانهم وهذه الاختلافات أملتها البيئات المتنوعة، واختلاف الأمكنة والأزمنة والمناخ.

وهناك في النهاية وحدة في الجنس تميز البشر عن غيرهم من المخلوقات الأخرى، وتخلق بينهم روابط عقلية ونفسية، وتدفعهم دفعاً إلى التعارف، ويؤكد الحديث النبوي هذه الوحدة الإنسانية رغم الاختلافات الظاهرة: «**كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»[1].

ب- أساس الجوار الإنساني:

من الأمور المؤدية إلى ضرورة التعايش الإنساني مسألة الجوار الإنساني، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الإنسان (الآخر). فهو يجاوره في المسكن وفي الشارع، وفي العمل، وفي القرية أو المدينة. وتتسع دائرة الجوار لكي تمتد إلى الدول المتجاورة وما يفرضه هذا التجاور من حقوق على الجيران.

---

(١) أخرجه الربيع بهذا اللفظ في مسنده ١/١٧٠، وهو في سنن أبى داود ٤/٣٣١ بلفظ، أنتم بنو آدم أخرجه من حديث أبى هريرة مرفوعاً وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في سننه وحسنه ٥/٧٣٥.

ويجب أن نلاحظ هنا أن الجار هنا ليس فقط الجار المسلم بل هو الجار عمومًا بصرف النظر عن دينه، أو ثقافته، أو لونه، فالتعايش هو نتيجة من نتائج الجوار. والإنسان يعيش مع جاره في المنزل، أو في الشارع أكثر مما يعيش مع أقاربه المقربين من والدين وإخوة. ولذلك أصبح التعايش ضروريًا، والتكيف مع الاختلاف على المستوى الإنساني لازمًا لاستمرارية الحياة. ولذلك أخذ الجار هذه المكانة السامية في حياة المسلمين، بل أصبح الإيمان نفسه مرتبطًا بكيفية التعامل مع الجار حسب حديث الرسول ﷺ: «**والله لا يؤمن من بات شبعان وفى جواره جائع**»[1].

ج- أساس تكريم بني آدم:

يقوم المشترك الإنساني وما يؤدى إليه من تعايش على حقيقة تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان عامة ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، فالإنسان عموماً شريك في هذا التكريم، ومن كرمه الله لابد من أن يكرمه الإنسان، ومن أشكال التكريم قبول الحياة معه، والعمل على التعايش معه، وتكييف حياة الإنسان على أساس من حقيقة قبول الإنسان الآخر والتعايش معه، ومن أشكال التكريم المعاملة الإنسانية الكريمة للإنسان الآخر، واحترام حقوقه، والمحافظة عليها، ومنها حقه في الحياة.

د - أساس الاستخلاف في عمارة الأرض:

من أسس المشترك الإنساني حقيقة أن الهدف من خلق الإنسان هو عمارة الأرض من خلال نظرية الاستخلاف ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) وكذلك ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١).

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٨ ص ١٦٧ بلفظ ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به، وعزاه إلى البزاز والطبراني، وقال إسناد البزاز حسن.

فالإنسان شريك للإنسان (الآخر) في الهدف من الخلق، وفى الخلافة على الأرض وفى عمارتها، والحضارة الإنسانية التي نشأت على مدى العصور هي مساهمات إنسانية في عمارة الأرض، ولا تستطيع حضارة إنسانية واحدة أن تدعى أنها المسئولة وحدها عن عمارة الأرض، فهذا منجز إنساني عام اشتركت فيه كل الحضارات الإنسانية معتمدة على بعضها البعض ومساهمة في النهاية في بناء الحضارة الإنسانية العامة. فالاستخلاف في الأرض وعمارتها هو السبب الأول في بناء الحضارة. ومع اتساع رقعة الأرض تعددت الحضارات مستفيدة من التراث الحضاري السابق عليها والمعاصر لها، ومساهمة بدورها في هذا البناء الإنساني الحضاري العظيم.

هـ - أساس التعارف الإنساني:

تحركت مسيرة البشرية من الوحدة العائدة إلى الأصل الواحد المشترك إلى التنوع والاختلاف الناتج عن التباعد في الزمان والمكان إلى التعارف، فهذه ثلاث مراحل أساسية في تاريخ الإنسانية، وهى مراحل لا تتناقض مع بعضها البعض ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (المائدة:٤٨) وكذلك ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ (الروم:٢٢)، وبين وحدة الإنسانية واختلافها يكمن المشترك الإنساني وإمكانية تدارك الاختلاف من خلال التعارف الإنساني والعودة إلي الوحدة الإنسانية.

و- أساس التعاون الإنساني:

من أسس بناء المشترك الإنساني التعاون، وهو أيضًا مبدأ إسلامي أكده القرآن الكريم في الكثير من الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢)

والمشترك الإنساني لا يمكن بناؤه إلا من خلال تعاون البشرية على الخير، وعلى ما فيه مصلحة الإنسان، والابتعاد عن العدوان، وكل ما هو في غير مصلحة الإنسان. والتعاون مبدأ إسلامي يحض على المشاركة والاندماج في المجتمعات الإنسانية، والعمل على تحقيق خيرها العام، وهو مبدأ يحض على التآخي، والإيثار، وحب الإنسانية والعمل من أجلها.

ز – أساس المواطنة الإنسانية:

المواطنة تعني الانتماء إلى الوطن الواحد على أساس من العدالة، والمساواة، وبدون تفرقة على أساس من الدين، أو الجنس، أو اللون، أو اللغة، وهذا أيضًا مبدأ إسلامي أساسي في بناء المشترك الإنساني، فالحديث النبوي الشريف يقول: «**الناس سواسية كأسنان المشط**»[1] وقد أكد الحديث النبوي المساواة والعدالة بين المواطنين داخل الدولة الإسلامية تأكيداً على العدالة والمساواة، وقد أتى مبدأ «**لهم ما لكم وعليهم ما عليكم**» لكي يضع الأساس في علاقة المواطنين يبعضهم البعض رغم اختلاف الأديان والألوان والأجناس، وهذه العبارة مأخوذة من العهد العمري الذي نظم علاقة المسلمين بغير المسلمين داخل الدولة الإسلامية مؤكدًا على حق المواطنة الإنسانية القائمة على العدالة والمساواة[2] ومعبرة عن الحقوق والواجبات مع ضمان حرية الاعتقاد، لهم ما لكم (من حقوق) وعليهم ما عليكم (من واجبات) في إطار حرية العقيدة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وعدم الإكراه الديني ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾.

---

(١) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ الناس متساوون كأسنان المشط، الديلمي، مسند الفردوس، ٣٠١/٤ وأخرجه أبو عبد الله القضاعي في مسند الشهاب، ١٤٥/١ بلفظ الناس كأسنان المشط.

(٢) حسن حنفي، الإسلام والغرب، في كتاب: التقاء الحضارات في عالم متغير حوار أم صراع، مرجع سابق، ص ١٩٨.

في ظل هذه المواطنة الإنسانية القائمة على العدالة والمساواة وحرية الاعتقاد يتم بناء المشترك الإنساني من خلال الشعور بالانتماء إلى الوطن المشترك الذي لا يميز بين مواطنيه، ولهذا السبب فإن إسهام غير المسلمين في الحضارة الإسلامية وفى المجتمع الإسلامي كان دائماً إسهاماً رفيعاً راقيًا ومخلصًا بسبب هذا الشعور الحقيقي بالمواطنة، وهو شعور لم يتحقق في ظل الديموقراطيات الحديثة بسبب عدم قدرة هذه الديموقراطيات على ضمان العدالة والمساواة للجميع، فهي في معظم الأحوال ديموقراطيات لأهلها، ولا تحميها شرائع دينية أو أخلاقية، ولذلك كثيراً ما تم الخروج عليها أو أصيبت بازدواجية المعايير.(١)

ثانياً: مجالات المشترك الإنساني مع (الآخر).

الحوار حول المشترك الإنساني حوار مطلق ينتهي إلى تحقيق التعاون الإنساني في كل مجالات الحياة، ويمكن تحديد هذه المجالات فيما يلي:

١- المجال الثقافي والديني:

يعتبر المجال الثقافي والديني من أهم المجالات التي تتجلى فيها وحدة الإنسانية، ويظهر فيها المشترك الإنساني، والإسلام من هذه الزاوية يؤكد على وحدة الدين المستمدة من وحدة الخالق، ووحدة الجنس الإنساني المستمدة من العودة إلى الأصل الإنساني الواحد، ووحدة الأمة الإنسانية المستمدة من وحدة الخالق ووحدة الثقافة الإنسانية المستمدة من وحدة الإنسان، وباعتبار أن الثقافات الإنسانية متشابهة ومتداخلة إلى حد كبير، ومتنوعة بتنوع البيئات الإنسانية، ولكنها في النهاية متماثلة

(١) أشار طارق البشرى إلى أن الغرب حين يثير المسألة الخاصة بالمواطنة، أو المسألة الدينية فهو يفعل ذلك باعتبارها آلية للتجزئة وللإلحاق السياسي والاقتصادي، انظر مقدمة كتاب سمير مرقس، الحماية والعقاب: الغرب والمسألة الدينية في الشرق الأوسط من قانون الرعاية المذهبية إلى قانون الحرية الدينية، المركز القبطي للدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص المقدمة.

في لغتها الإنسانية وأساليب التعبير عنها، وفى تعبيرها عن آمال الإنسان وطموحاته، وفى أدواتها وغاياتها النهائية.

وقد أثبت التاريخ الإنساني قوة هذا المشترك الإنساني من خلال عمليات التقاء الثقافات والحضارات في التاريخ، وتداخل المراحل الحضارية وتشابكها، وتزاوج الحضارات واندماجها، وعمليات التلاحق الحضاري التي تحدث بشكل متواصل بحيث لا يمكن نسبة المنجز الحضاري الإنساني إلي شعب بعينه، بل هو منجز حضاري إنساني عام ساهمت فيه كل الشعوب بنصيب، وهذا المنجز الحضاري الإنساني العام يمثل المشترك الإنساني، وهو نتيجة من نتائجه في نفس الوقت.

٢ – مجال القيم الإنسانية العامة:

لاشك في أن هناك توافقاً بين مبادئ الإسلام وقيمه والقيم الإنسانية العليا[١].

ويغطى المشترك الإنساني العام كل مجالات الأنشطة الإنسانية. وداخل هذا المجال الإنساني العام تبرز القيم الإنسانية المشتركة التي لا تختلف عليها الأديان والحضارات، فهي قيم إنسانية عامة جمعت البشرية قديمًا، ويمكن أن تجمعها حديثاً من خلال إحياء هذه القيم المشتركة التي يعيش بها الإنسان في كل المجتمعات التي طورها، وتمثل هذه القيم المشتركة مجموعة المبادئ والمثل التي عرفها الإنسان في تاريخه بصرف النظر عن اختلاف مصادرها، وتعدد أنساقها، وتنوع أشكالها. ويمكن أن نذكر من بين هذه القيم الإنسانية المشتركة قيم الحب، والجمال، والخير، والعدالة، والتسامح، والنبل، والكرامة، والتضحية، والإيثار، والتعاون، وغير ذلك من المشترك القيمي على المستوى الإنساني. وهى قيم لا يختلف عليها أحد، وتدعمها الأديان والحضارات، وتعبر عنها الآداب الإنسانية على اختلاف أنواعها ولغاتها، ولا تختلف الشعوب حول

(١) عبد الله المعتوق، أعمال مؤتمر الوسطية منهج حياة، عرض على محمد العجلة، مجلة منار الإسلام، العدد ٣٦٦ السنة٣١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٣٦.

هدف هذه القيم المشتركة حيث أن غايتها جميعًا بناء مجتمع إنساني مثالي تنظم فيـــه علاقات الأفراد من خلال هذه القيم التي تضمن تحقيق سعادة الإنـــسان، وتـــضمن استمرارية الحياة الإنسانية.

والمطلوب على مستوى القيم المشتركة إحياء هذه القيم وتفعيلها في حياة البشر، والتأكيد بعدها المشترك، وتوظيف هذا البعد في تحسين علاقة البشر ببعضهم البعض على مستوى الأفراد والجماعات، وعلى مستوى الدول والشعوب. ويمكن ذلك من خلال تطوير الخطاب الديني، والحضاري، والأخلاقي بين الشعوب، وتربية الـــنشء على هذه القيم الإنسانية المشتركة، وإبراز هذا البعد الإنساني في المناهج التعليميـــة، وفى الفنون والآداب، ونشرها من خلال وسائل الإعلام.

ج- مجال القضايا الإنسانية:

لاشك في أن قضايا الإنسان واحدة ومشتركة في كل المجتمعـــات، ولا يوجـــد مجتمع إنساني ينفرد بقضايا تخصه من بين المجتمعات، وترتبط هذه القضايا بـــالوجود الإنساني على الأرض، وبالمصير الإنساني، وبما يتعرض له الإنسان في حياته من مخاطر تهدد حياته، وحياة مجتمعه، بل وحياة العالم الذي يعيش فيه، ومنذ أن نشأت البشرية وتطورت عبر التاريخ وهى تعاني من ألوان من المعاناة المسببة للـــشقاء الإنـــساني، والمؤدية إلى إحساس الإنسان بغياب السعادة الإنسانية.

ويرى الدكتور محمد الشريف «أن البدء في الحوار مع المخالفين يجب أن يكون في القضايا المشتركة»[1] ومن أهم القضايا المشتركة التي تعاني منها الإنسانية قضايا الفقر، والمرض، والجهل، والمعاناة الإنسانية، والاغتراب، والإحساس بالعزلة بالإضافة إلى قضايا العنصرية والاضطهاد، وفقدان الكرامة الإنسانية، وقـــضايا الاســـتعباد،

---

(١) على محمد العجلة، عرض أعمال مؤتمر: ا لوسطية منهج حياة، مجلة منار الإسلام، العدد ٣٦٦، الـــسنة ٣١، ١٤٢٦هـــ/٢٠٠٥م، ص ٤٢.

والاحتلال والنفي، وغير ذلك من المشاكل التي تواجهها البشرية على المستوى الفردي والجماعي، وبنسب مختلفة، وبأشكال متنوعة، ولا يخلو مجتمع إنساني من هذه المشاكل والقضايا التي تحتاج إلى جهود مضنية لتحقيق الخلاص من كل هذه الأشكال من المعاناة.[1]

إن قضايا الوجود الإنساني قضايا عامة تشترك فيها البشرية كلها وتتطلب تعاون كل الأديان، والحضارات، والثقافات من أجل العمل المشترك لتحقيق الخلاص منها[2] وفى العصر الحالي تفاقمت هذه المشاكل وانتشرت، وأصبحت الشعوب بمفردها عاجزة عن حلها وفى أمس الحاجة إلى التعاون الدولي لحل هذه المشاكل المصيرية المشتركة.

٤- مجال التنمية البشرية وعمارة الأرض والحفاظ على البيئة:

تعاني المجتمعات الإنسانية المعاصرة من مشاكل كثيرة مرتبطة بالتحديث، وتحسين مستويات المعيشة الإنسانية، وتحقيق التنمية البشرية في كل مجالات الحياة، وبخاصة في المجالات الاقتصادية، ومجالات الصحة والتعليم، ومواجهة مشكلات الفقر والبطالة.

وتحتاج هذه المجالات التنموية تضافر الجهود الإنسانية والتعاون الإنساني المخلص، وبخاصة من جانب الدول المتقدمة والمنظمات الدولية من أجل تحسين مجتمعات العالم الثالث وتنميتها، ومساعدتها على التخلص من مشاكل التنمية فيها. وهو مجال مشترك للعمل الإنساني العام الهادف إلى تحقيق التنمية البشرية ومساعدة الدول الفقيرة على تخطي مشاكلها والاستمرار في الوجود.

---

(١) Ismail I Nawwab, Muslims and the West in History in Muslims and the West: Encounter and Dialogue, eds. Z . I Ansari and John Esposito, Islamic Research Institute, Islamabad and Center for Muslim- Christian Understanding, Georgetown University, Washington 2001, P48

(٢) Mir Nawaz Khan Marwat,The role of Religion: World Peace and Sustainability in the 21st Century, in World Peace and Religious Harmonization 2006 World Religions Leaders Conference, Seoul, 2006, P.245

ومن مجالات المشترك الإنساني قضايا البيئة وما يرتبط بالحفاظ على البيئة وحمايتها باعتبارها بيئة واحدة مشتركة يشترك البشر في كل عناصرها المادية من أرض، وماء، وهواء، وإفسادها يؤثر في حياة البشرية بكاملها، وهذا مجال كبير من مجالات التعاون الإنساني الذي يؤكد على تشابك المصالح الإنسانية وتداخلها، ويحتم ضرورة درء المفاسد وجلب المصالح بما يحقق سعادة الإنسان في كل مكان.

٥ – مجال حقوق الإنسان:

من أهم المجالات التي تحتاج إلى المجهود المشترك مجال حقوق الإنسان. فهناك انتهاكات لحقوق الإنسان في كل مكان، ولا فرق هنا بين دول غنية أو فقيرة، أو بين دول متقدمة ودول نامية.

ويحتاج هذا المجال إلى العمل الإنساني المشترك الساعي إلى نشر قيم حقوق الإنسان والتعريف بها، وتأسيس المنظمات المسئولة عن مواجهة انتهاكات حقوق الإنسان بكل أنواعها، ومتابعة قضايا حقوق الإنسان والدفاع عنها على مستوى العالم، وترسيخ حقوق الإنسان على أسس دينية، وثقافية، وأخلاقية، وعلى أسس قانونية، ودستورية باعتبارها حقوقًا مشتركة يجب الحفاظ عليها وتنميتها والدفاع عنها.

ثالثاً: موقف نظرية صدام الحضارات من التعايش وبناء المشترك الإنساني:

إن التعايش الإنساني والمشترك الإنساني مرتبطان ارتباطاً عضوياً ومباشرًا بالتقاء الحضارات عبر التاريخ الإنساني، ولذلك تبدو نظرية صدام الحضارات نظرية لا تتفق مع طبيعة الحضارات، ولا مع نتائج التقاء الحضارات عبر العصور، وتعبر النظرية عن إستراتيجية هيمنة جديدة، ومواصلة لفكرة «التمركز حول (الذات) الطامحة لاختزال (الآخر) المختلف»[١] فهي نظرية مضادة للتاريخ الإنساني، ولفلسفة الحضارات

---

(١) زرقاوي عمر، صراع الحضارات... نظرية أم إيديولوجيا، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، السنة ١٠، ربيع ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٤٥.

الإنسانية. فالتاريخ الإنساني على الرغم من الصراعات السياسية والعسكرية التي تخللته فإنه يروى تاريخ التقاء الإنسان بالإنسان، والنتائج الحضارية لهذا الالتقاء؛ وهى النتائج التي أخذت صورتها في الحضارات الإنسانية التي نشأت من خلال التفاعل الإنساني البناء، والتبادل الحضاري الإنساني، والتعايش الثقافي وما نتج عنه من تراث إنساني مشترك، وينقد زكي الميلاد نظرية هنتنجتون في هذا الخصوص قائلاً: «إن هناك تناقضاً في رؤية هنتنجتون لأن النتيجة التي توصل إليها هي الدعوة إلى التعايش ويتساءل زكي الميلاد: « وهل تتعلم الحضارات التعايش على قاعدة الصدام أم على قاعدة الحوار؟»[1].

إن نظرية صدام الحضارات مضادة لمسيرة التاريخ والحضارة، ولا تنسجم منطقيًا مع معطيات التاريخ والحضارات الإنسانية، والمشترك الإنساني هو نتيجة التقاء الحضارات وتفاعلها عبر التاريخ، ولا يمكن أن نتصور نموا مستقلا لكل حضارة إنسانية بدون اتصال بالحضارات السابقة عليها والمعاصرة لها، وداخل هذا الإطار لا نستطيع فهم المنجز الحضاري اليوناني بدون ربطه بالمنجز الحضاري الشرقي في مصر وبلاد النهرين، وبلاد فارس، والمنطقة السورية، بل وبلاد الهند والصين صاحبة الحضارات القديمة السابقة على حضارة اليونان والرومان بآلاف السنين، وفى مرحلة تالية، لا نستطيع فهم المنجز الحضاري الإسلامي بدون ربطه بالمنجز الحضاري اليوناني والروماني حيث اعتمدت الحضارة الإسلامية في جانبها المادي والدنيوي على منجزات الحضارات السابقة عليها، ومن أهمها حضارات اليونان والرومان، والفرس، والهنود، والمصريين، والعراقيين، والسوريين... وغيرهم، وكانت من بينهم شعوب دخلت في الإسلام وأعانت المسلمين على بناء الحضارة المادية، وشعوب لم تدخل في

---

(١) زكي الميلاد، انبعاث الحضارات بين خيار التصادم والتعايش، مجلة الكلمة، العدد ١٢، السنة الثالثة صيف ١٩٩٦م.

الإسلام وساهمت إسهاماً عظيماً في بناء الحضارة الإسلامية على المستوى المادي مثل حضارة اليونان والرومان.

وفى مرحلة تالية، لا يمكن فهم المنجز الحضاري الأوروبي الحديث بدون ربطه بمنجزات الحضارة الإسلامية، حيث اشتغل المستشرقون على هذه المنجزات، وترجموا أعمالها من العربية إلى اللاتينية واللغات الأوروبية الحديثة، وقد ساهمت هذه الترجمات في تيسير مهمة الغرب في بناء نهضته الحديثة، وفى المرحلة الأخيرة التي نعيشها ونعاصرها يقوم المسلمون بالاستفادة من المنجز الحضاري الغربي الحديث والمعاصر في بناء الحضارة الإسلامية الحديثة من خلال الترجمة إلى العربية، وإرسال البعثات التعليمية إلى الغرب، والاستفادة من العلم والتكنولوجيا الغربية في تحسين المجتمعات الإسلامية وتنميتها.

الخلاصة أن التاريخ الإنساني أثبت مساهمة كل الشعوب في المنجز الحضاري الإنساني، وأثبت استفادة الحضارات من بعضها البعض، وأكد على وجود مشترك حضاري إنساني عام بفضل التقاء الحضارات عبر التاريخ، وهذا يعطى دليلاً قاطعاً على فساد نظرية صدام الحضارات، وعدم صحتها، وخلوها من المنطق، وعدم عقلانيتها وعدم تعبيرها عن مسيرة الحضارات الإنسانية تعبيراً سليماً يتفق مع طبيعة الحضارة والحضارات.

ولعل أهم ما يدل على فساد هذه النظرية عدم اعترافها بتعايش الثقافات، وعدم إيمانها بالمشترك الإنساني، واعتقادها المطلق في صدام الثقافات، وعدم وجود قاعدة إنسانية مشتركة، وعدم حدوث تبادل ثقافي أو اندماج للقيم الثقافية الإنسانية.

ونظرًا لهذه البنية الفاسدة لنظرية صدام الحضارات فقد اتهمها ناقدوها بأنها نظرية ساذجة لا تعترف بالتقارب التاريخي، ولا بالقيم المشتركة والأساليب الحياتية،

وطرائق التفكير الاجتماعية الإنسانية المشتركة[1]. إن نظرية صدام الحضارات نظرية مبسطة تتبع «علم سياسة مانوي» يقسم العالم إلى قطبين متقابلين، والصراع بينهما يحدد الأحداث العالمية[2] وهذان القطبان هما: «نحن» ضد «هم» ويقول مـــوللر إن المانوية تضرب بجذورها عميقًا في الثقافة السياسية الأمريكية التي ترى في الـــسياسة صراعًا بين الخير والشر، أو بين النور والظلام، وعبارة «نحن» ضد «هم» حـــددت طرفي الخير والشر في المعادلة، ونظر الأمريكيون إلى واجبهم التاريخي بأنه حماية الخير (الديموقراطية وحقوق الإنسان) من الشر[3] واستخدمت عبارات مملكة الشر كثيراً في قاموس السياسة الأمريكية ووصف بها الاتحاد السوفييتي من قبل، إن نموذج هنتنجتون «الغرب ضد بقية العالم» نموذج ساذج للعلاقات الدولية، فعالم الحـــضارات عـــالم مركب يحتاج إلى رؤية مركبة تتناسب مع طبيعته، وليس إلى مجرد تسطيح وتبسيط في «نحن» ضد «هم» أو في «الغرب ضد بقية العالم » إنها نظرية وضعت الخير كله في كفة الغرب، والشر كله في كفة الشرق، وتطبيق هذه النظرية ينتهي إلى تسابق التسلح والحرب والمجازر[4] إنها نظرية تقسم الحضارات إلى حضارات خـــيرة وحـــضارات شريرة، والسياسة صراع بين الخير «نحن» والشر «هم» وهذه البنية المانوية لنظريـــة هنتنجتون لا تعترف بالتقاء الحضارات، ولا بالتعايش بين الثقافات، ولا بامتزاج القيم الإنسانية، ولا بالمشترك الإنساني، لأن العالم تمت قسمته بسذاجة إلي حزب الخـــير، وحزب الشر، ولا التقاء بين الطرفين فالعلاقة بينهما علاقة صراع أزلي.

---

(١) هارل موللر، تعايش الثقافات والقيم الإنسانية، مشروع مضاد لهنتنجتون، ترجمة أبو هشمش، مجلة التـــسامح، العدد ٧، لعام ١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٣.

الفصل الرابع

الإسلام بين الحوار والمواجهة

(نظرية صدام الحضارات)

المبحث الأول: أزمة الحوار مع الغرب في ضوء نظرية صدام الحضارات

أدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م إلى دخول العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب في مرحلة جديدة، بل إن العالم كله دخل في مرحلة تاريخية جديدة بعد هذه الأحداث التي ربما أمدت المؤرخ المعاصر بعامل جديد ومهم في تقسيم التاريخ الحديث والمعاصر إلى عصرين: عصر ما قبل أحداث سبتمبر، وعصر ما بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م[١] وفيما يتعلق بالعالم الإسلامي فقد فرضت هذه الأحداث توترا دائما مع الغرب على المستويين السياسي والديني[٢].

وإذا كانت روح الحوار بين العالم الإسلامي والغرب قد غلبت في مرحلة ما قبل أحداث سبتمبر فقد أتت هذه الأحداث لكي تدمر، بالتقريب، كل جهود الحوار بين العالم الإسلامي والغرب خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهى الجهود التي كللتها على المستوى الديني مبادرة الفاتيكان في عام ١٩٦٢م من خلال إعلان تحديد العلاقات بين المسيحية والأديان الأخرى، وكجزء مهم من هذا الإعلان مبادرة

---

(١) انظر عبد الله السيد ولد أباه، الخطاب الغربي حول الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، مجلة التسامح، السنة الثانية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، شتاء ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١١٦-١١٧.

(٢) Islam Bakar, Islam and Other Religions in Asia, Int. Symposium, Islam and Other Religions Coexistence and cooperation, Seoul, opcit, P.45

تحديد العلاقات الدينية بين المسيحيين والمسلمين، وقد واكبت هذه الجهود الدينية من جانب الفاتيكان جهود سياسية لتحسين العلاقات الإسلامية، وتطوير علاقات سياسية جديدة تميزت إلى حد مقبول ببعض الإيجابيات مع بقاء بعض السلبيات الموروثة من عصر الاستعمار.

وأدت العولمة في الوقت نفسه إلى إحداث توتر آخر على المستوى الاقتصادي والثقافي، وأصبح العالم الإسلامي مطالباً من الناحية الاقتصادية بضرورة التحول إلى نظام السوق الحر، وهو في الحقيقة غير مؤهل لهذه الخطوة بدون عمليات الإصلاح الاقتصادي الداخلي. وتواكب مع ذلك المطالبة بالإصلاح السياسي كمقدمة وضرورة لتحقيق الإصلاح الاقتصادي، هذا بالإضافة إلى الانعكاسات الثقافية للعولمة والتي هددت الثقافة الإسلامية تهديداً مباشراً، ووضعت الهوية الثقافية الإسلامية على المحك، وأعادت إلى الأذهان من جديد عمليات الغزو الثقافي التي مارسها الاستعمار الغربي سابقًا، ولكنه غزو ثقافي من نوع جديد لا تدعمه جيوش ولا قوى استعمارية، وإنما يتم بشكل تلقائي كنتيجة من نتائج العولمة الاقتصادية، وانتشار الشركات العابرة للقارات والمحتكرة لمعظم التجارة العالمية، وتبث معها قيم الغرب وثقافته مهددة للثقافة الإسلامية وأسلوب الحياة الإسلامي تهديداً مباشراً وقوياً.

ومن المعروف أن نظرية صدام الحضارات نظرية سابقة في نشأتها وتطورها على أحداث الحادي عشر من سبتمبر ولكنها استغلت هذه الأحداث إلى حد أنها أصبحت النظرية المهيمنة على العلاقات السياسية، والمحركة لسياسة الغرب تجاه الشرق المسلم، والمؤدية في النهاية إلى تطور الأزمة التي يعاني منها العالم الإسلامي في الفترة الحالية، وهى أزمة التأرجح بين الحوار والمواجهة في العلاقة مع الغرب.

وقد نجحت نظرية صدام الحضارات من خلال استغلال أحداث سبتمبر في تصوير المسلمين على أنهم يمثلون «العدو الجديد» للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل العدو السابق حتى سقوطه، وتحقق الانتصار التام للغرب الرأسمالي على الأيديولوجية السوفيتية بتنوعاتها المعروفة[1].

لقد أصبح المسلمون في موضع الاتهام المباشر بالإرهاب، وبدأ الغرب يتعامل معهم على هذا الأساس من خلال ممارسة الضغوط السياسية البالغة لتغيير الأوضاع السياسية في العالم الإسلامي كله. وكان على المسلمين أن يدافعوا عن هذا الاتهام، وليس أمامهم من وسيلة لدفع هذا الاتهام إلا من خلال الحوار مع الغرب، ولكن الحوار مع الغرب الآن أصبحت له تعقيداته التي لم تكن موجودة من قبل بهذه الحدة والقسوة، وتتمثل هذه التعقيدات في تولد أسباب ودوافع تمنع الغرب من الاستجابة للحوار مع العالم الإسلامي، وتحبط كل محاولات العالم الإسلامي للدخول في حوار جاد مع الغرب.

إن نظرية صدام الحضارات تحولت من مجرد نظرية على الورق إلى أيديولوجية غربية ثابتة تجاه العالم الإسلامي متصلة بلا شك بسياسة الهيمنة التي لم يتنازل عنها الغرب بعد نهاية الاستعمار القديم، ولكن أعطاها شكلاً جديدًا من خلال نظريات صدام الحضارات ونهاية التاريخ، ومن خلال انطلاق العولمة بتهديدها لنظام الدولة، وسعيها إلى تحقيق السيطرة العالمية للشركات العملاقة العابرة للقارات، وبتهديدها أيضاً للثقافات الوطنية، ومحاولتها فرض ثقافة عالمية غربية في شكلها ومضمونها.

---

(١) رسول محمد رسول، من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات: قراءة نقدية في مقولة هنتنغتون، مجلة الكلمة، العدد ٢٤، السنة السادسة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، صيف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٩٣.

وبما لا شك فيه أن نظرية صدام الحضارات حاولت أن تؤسس نظريًا وعمليًا لما اصطلح على تسميته بـــــ «الخطر الإسلامي» و«التهديد الإســـلامي» و«الخطـــر الأخضر» وغير ذلك من المصطلحات التي ولّدتها نظريات صدام الحضارات لإشاعة الخوف من الإسلام «Islamophobia» «الإسلاموفوبيا»[1].

لقد أدت نظرية صدام الحضارات، وتفعيلها في علاقات الغـــرب مـــع العـــالم الإسلامي، إلى تحويل الحوار إلى أمر صعب، وبخاصة في ظل هذا التوظيف السياسي لصدام الحضارات، وتحول مقولة صدام الحضارات إلى عامـــل فاعـــل في الـــسياسة الدولية[2] فهي بلا شك النظرية المحركة للسياسة الغربية تجاه العالم الإســـلامي بعـــد أحداث سبتمبر، وستستمر هذه النظرية تمارس سيطرتها على التوجهات الـــسياسية الغربية والأمريكية ربما لعدة أجيال قادمة وذلك لعدة أسباب من أهمها:

أ - قوة التيار المعادى للإسلام في الغرب وغير الراغب في السماع إلى المسلمين، وتفهّم أطروحات الإسلام الصحيحة، وهذا التيار يقوده عدد من المنظّرين المهمـــين المهيمنين على الرؤية الغربية والأمريكية الحالية، ويقود هذا التيار اليمين الجديد مـــن المستشرقين والخبراء في شؤون العالم الإسلامي أمثال: «برنارد لويس»، و«صموئيل هنتنجتون»، و«فرانسيس فوكوياما»، و«دانيال بابيس»، وعدم قدرة التيار المـــتفهم أمثال «جون اسبوزيتو»، و«جون فول» وغيرهما من توصـــيل رؤيتـــهما المعتدلـــة لصانعي القرار في الغرب وفى الولايات المتحدة الأمريكية[3].

---

(١) أمير طاهري، الأحزاب الأوربية المتطرفة تزكى الشعور بالاسلاموفبيا في الغرب، جريدة الـشرق الأوسـط الإثنين ٢٧/٥/٢٠٠٢م، ص ٢٢.

(٢) محمود الذاودي، مصاعب الغرب في التأهل للحـوار مع العـالم الإسـلام، مجلة حوار العرب، السنة الأولى، العدد ٦، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، مايو ٢٠٠٥م، ص ١٣ -١٤.

(٣) زرفاوى عمر، صراع الحضارات ... نظرية أم أيديولوجيا، مجلـة الكلمـة، العـدد ٣٩، الـسنة ١٠ ربيـع ١٤٢٤/٢٠٠٣م، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ص ١٣٨.

ب – استغلال القوى المعادية للعرب والمسلمين، والمستندة إلى دوافع سياسية ودينية، لهذه الأوضاع وعملها الدؤوب على استعداء الغرب وتحفيزه ضد العالم العربي والإسلامي، ومن هذه القوى المعادية الصهيونية العالمية من ناحية، ويهود العالم وإسرائيل الذين وجدوا في الظروف والأوضاع الحالية الفرصة التاريخية المناسبة لتثبيت الكيان الصهيوني في فلسطين، والربط بين المقاومة الفلسطينية والإرهاب، والتشجيع على ممارسة الضغوط السياسية والعسكرية على بلدان العالم العربي والإسلامي من أجل التخلي عن القضية الفلسطينية، وتحييد مواقف هذه الشعوب من هذه القضية.

ج- قيام الإعلام الغربي بدور كبير في تشويه الصورة الإسلامية، وتزييف المعلومات حول الإسلام والمسلمين، والتحريض الدائم ضد كل ما هو عربي وإسلامي، والربط الدائم بين المسلمين والإرهاب، وعدم السماح بنشر الموقف الإسلامي الصحيح من الأحداث الجارية ومن الإرهاب، ودور الإعلام أيضاً في تشكيل الذهنية الغربية تجاه الإسلام والمسلمين مستخدماً في ذلك طاقاته العقلية وإمكاناته المادية والتكنولوجية، وقد لقيت نظريات الصراع قبولاً لدى شرائح المجتمع الغربي ذات الفاعلية في صناعة القرار في ظل الاعتماد الأمريكي والغربي على الإعلام والمعلومات العامة، وغياب المعلومات الصحيحة عن الإسلام، هذه المعلومات السلبية يشوهها الإعلام بشكل أعمق وتجذرها نمطية الأفلام السينمائية عن العرب والمسلمين[١].

إن نظرية صدام الحضارات حولت الصراع في فترة ما بعد الحرب الباردة من صراع أيديولوجيات إلى صراع حضارات، ويؤكد «هنتنجتون» في نظريته احتمال

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨.

النـــزاع بين الغرب وبقية العالم، ويتركز هذا الصراع بين الغرب من ناحية والدول الكونفوشيوسية - الإسلامية من ناحية أخرى[(١)].

في هذا الفهم لصراع الحضارات يبرز الإسلام كطرف ثابت في الـــصراع مـــع الغرب، وكما يقول الأستاذ وجيه كوثراني: «في هذا التصور يرتسم الإسلام تاريخاً ثابتاً في الصراع مع الغرب»[(٢)]. ويقتبس كوثرانى بعض عبارات «هنتنجتون» الموحية بأزلية الصراع بين الإسلام والغرب من بينها: «إن النـــزاع، وفق خط الانقسام بين الحضارتين الغربية والإسلامية، مستمر منذ ١٣٠٠ سنة ... وليس من المـــرجح أن ينحسر بل قد يصبح أكثر خطراً» والإسلام يصادم حضارات أخرى في عالمه وعلى حدوده مثل: «الصرب الأرثوذكس في البلقان، اليهود في إسرائيل، الهندوس في الهند، البوذيون في بورما، الكاثوليك في الفيليبين» ويختم بالعبارة الحاسمة: «إن للإســـلام حدوداً دموية»[(٣)].

إن إثبات الصراع وأزليته حسب نظرية صدام الحضارات تجعل إمكانية الحوار مع الغرب صعبة، فهذا الاعتقاد الراسخ في ثبات الصراع واستمراريته وفى «دموية» «الإسلام» تعنى أن الغرب ليس مستعدًا للحوار، بل لا يعطى اعتبارًا لإمكانية الحوار مع العالم الإسلامي.

---

(١) Hussein Mutalib, Beyond Pride and Prejudice: Western Perceptions of Islam and the Muslims, in Muslims and the West: Encounter and Dialogue, eds. 7.1 Ansari and John Esposito, Islamic Research Institute, Islamabad and Center for Muslim- Christian Understanding Georgetown University, Washington, DC. 2001, P.97-98

(٢) وجيه كوثرانى، فوكوياما، هانتغتون والإسلام، مجلة الاجتهاد، العدد ٤٩، السنة ١٢، شتاء ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م بيروت، ص ١٦٩.

(٣) صمونيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب تقديم صلاح قنصوه، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٤٣- ٣٤٤.

وتزيد الأمور تعقيداً داخل إطار نظرية صراع الحضارات حين تعتبر هذه النظرية الحضارة الغربية متميزة فريدة من نوعها، ومستهدفة بسبب هذا التميز من الحضارات الأخرى، وبخاصة من الحضارة الإسلامية، وهذا يعني أن العداء للحضارة الغربية عداء أصيل من جانب الحضارة الإسلامية، كما تدعى نظرية «هنتنجتون»، وأن المسلمين المنتمين إلى هذه الحضارة رافضون للثقافة الليبرالية الديمقراطية كما تدعى نظرية «فوكوياما»، لقد طبع «هنتنجتون» و«فوكوياما» الإسلام في الذهنية الغربية بطابع الدين العدواني الدموي، وصوّرا الصراع بين الغرب والإسلام على أنه «النموذج الأكمل لصدام الحضارات، وأن العالم الإسلامي هو عالم الصراعات القومية، والإثنية، والأيديولوجية، والمذهبية؛ وأن الإسلام ينتمي إلى حيز التاريخ الصراعي حيث تسود شرعية استخدام القوة ويغيب مفهوم السلام واللاعنف»[1].

هذا الوصف للإسلام وحضارته في النظريتين يقفل الباب أمام الحوار، إذ كيف يتسنى للغرب أن يتحاور مع ديانة وحضارة تابعة لها تتصفان بهذه الصفات العدوانية الصراعية، وللأسف الشديد أن هاتين النظريتين سيطرتا في الوقت الحالي على السياسة الدولية الغربية، وبخاصة السياسة الدولية الأمريكية التي تبنت هاتين النظريتين، ووظفتهما لإدارة الأزمات السياسية في الوقت الحالي الأمر الذي يؤكد على سوء توظيف المفاهيم في عالم السياسة، والمقصود بالمفاهيم هنا ما ينتمي إلى فلسفة التاريخ عند «فوكوياما»، ونظرية الثقافة والحضارة عند «هنتنجتون»[2] والأسوأ من هذا تشويه الإسلام وحضارته، وتحميل الدين وحضارته صفات ليست

---

(١) المرجع السابق.

(٢) وجيه كوثراني، مرجع سابق، ص ١٧٠.

فيهما منها العداء للثقافة الليبرالية – الديمقراطية، وللحضارة الغربية، والحديث عن هذا باعتباره من ثوابت الدين الإسلامي ومن خصائص حضارته.

وقد بدأت هذه الرغبة في الهيمنة مسيرة جديدة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وانتصار الديمقراطية الليبرالية واعتقاد الغرب، والأمريكيين على وجه التحديد، أن هذه الديمقراطية الليبرالية أصبحت فكرة عالمية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وهى نظرية عبر عنها «فرانسيس فوكوياما» بوضوح، وتكوّن جزءاً من دعوته الخاصة بنهاية التاريخ، وهى دعوة «تبشر بدين جديد.. بالعولمة التي تخلى فيها الغرب عن الحياد، والحرية، والموضوعية، وحقوق الإنسان، وانزلق إلى القالب الجبري الذي لا خيار لأحد في التمرد على قوانينه الحتمية الصارمة»[1] لقد أصبحت العولمة البديل الأمريكي للاستعمار القديم، أو للنمط الاستعماري الغربي... إن العولمة نمط أحادى للعالم يحمل الطابع الاقتصادي، ويختزل كل الخصوصيات، والفوارق الثقافية والعقائدية، ويقضى على الحواجز القومية، وبالتالي سقوط شعارات الانتماء الوطني، والعرقي والديني[2] إن العولمة تمثل: «استراتيجية هيمنة جديدة، واستمرارية لفكرة التمركز حول الذات الطامحة لاختزال (الآخر) المختلف»[3].

---

(١) خضير جعفر، نحن وفوكوياما ونهاية التاريخ، مجلة المجتمع الثقافي، العدد ١٣١٣، ربيع الأخر ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، بيروت، ص ٤٥.

(٢) زرفاوى عمر، صراع الحضارات نظرية أم أيديولوجيا، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٤٥.

Ahmet Davutoglu Civilization Self- Perception and Pluralistic Co-existence: A critical Examination of the Image of the Other in Muslims and the West, Encounter and Dialogue eds. Z.I. Ansari and John Esposito, Islamic Research Institute, Islamabad and Center for Muslim- Christian Understanding. Georgetown University. Washington, 2001, P.103

المبحث الثاني: أسباب تعثر الحوار مع الغرب
في ضوء أحداث الحادي عشر من سبتمبر

لا شك في أن مشاكل الحوار مع الغرب مشاكل قديمة، ولها أسبابها الدينية والثقافية والسياسية السابقة على أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، ولكن من المعروف أن مشاكل الحوار زادت عمقاً وحدة بعد هذه الأحداث إلى حد أن مستقبل الحوار مع الغرب أصبح مهدداً، ولا يمكن الحديث عن أسباب تعثر الحوار مع الغرب في الوقت الحالي بدون رد هذه الأسباب إلى تأثيرات أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. ويمكن على هذا الأساس تقسيم أسباب تعثر الحوار الإسلامي مع الغرب في ضوء هذه الأحداث إلى أسباب سياسية، وأسباب نفسية، وأسباب دينية نتناولها فيما يلي بشيء من التفصيل.

أولاً: الأسباب السياسية:

تسببت أحداث سبتمبر في خلق أزمة سياسية حادة بين الغرب والعالم الإسلامي، وأصبح العالم الغربي غير مستعد للحوار مع العالم الإسلامي، ووضع أجندته السياسية التي اعتبرها واجبة التنفيذ لمعالجة نتائج أحداث سبتمبر، وتأتى على رأس هذه الأجندة القضايا التي أثارها الغرب في علاقاته الجديدة وهي: قضايا الإرهاب، والإصلاح السياسي والديمقراطية، وقضايا حقوق الإنسان، وقضايا الإصلاح الاقتصادي المرتبطة بالعولمة من ناحية وبالإصلاح السياسي من ناحية أخرى.

١- قضية الإرهاب:

اعتبرت قضية الإرهاب القضية الأولى المسيطرة على الغرب في علاقته بالعالم الإسلامي[١] وتم اختزال كل العلاقات السياسية الدولية في موضوع الإرهاب، بل تمت قسمة العالم أمريكياً إلى: «من معنا» و«من ليس معنا»، وانشغل الغرب من خلال تحالفه مع الولايات المتحدة الأمريكية بالعمليات التي من شأنها أن تواجه الإرهاب وتقضى عليه. وتمخضت هذه العمليات حتى الآن عن حربين كبيرتين شنهما التحالف الأمريكي الأوروبي ضد أفغانستان أولاً، وضد العراق ثانياً.

وتم اعتماد سياسة مواجهة الإرهاب واعتباره القضية الأولى في العلاقات الدولية، وحشد العالم أجمع لمواجهته والمشاركة العسكرية في ذلك من خلال الحرب الدائمة الدائرة ضد القاعدة، والجماعات الأخرى المتهمة بتبني الإرهاب، حتى القضية الفلسطينية وقعت تحت التأثير المباشر لهذا التحول السياسي الخطير في علاقات الغرب بالعالم الإسلامي، وحدث التغيير الجذري في الربط بين القضية الفلسطينية والإرهاب، واعتبار الشأن الفلسطيني الآن شأناً يعالج غربياً داخل إطار مواجهة الإرهاب، وتحولت القضية الفلسطينية من قضية مقاومة إلى قضية إرهاب، ونجح الإسرائيليون في إقناع الأمريكيين والغرب بأن الصراع الإسرائيلي ضد الفلسطينيين مرتبط بمواجهة الإرهاب، وتطرح إسرائيل نفسها كقيمة استراتيجية، وكرأس حربة في محاربة الأصولية والإرهاب[٢].

في ظل هذا المناخ السياسي المشحون لا يوجد مناخ مناسب للحوار الهادئ، وفى ظل طبول الحرب ليست هناك فرصة حقيقية واحدة لإجراء حوار من أي نوع بين

(١) عبد الله السيد ولد أباه، الخطاب الغربي حول الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، مرجع سابق، ص ١١٨- ١٩٩.

(٢) أحمد الموصللي، التجديد والتحديات المعاصرة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٤.

الغرب والإسلام، وتم جذب العالم الإسلامي إلى اقتناع سياسي بضرورة المواجهة الغربية للإرهاب، وأدى وقوع عدد كبير من العمليات الإرهابية في بعض البلاد الإسلامية إلى اقتناع سياسي بضرورة المواجهة، والحقيقة هي أن الغرب فرض أجندته السياسية على الجميع، وأجبر الجميع على عدم التفكير سوى في الإرهاب ومواجهته.

أما انعكاسات هذا الوضع على الحوار الثقافي والديني فقد تبلورت في اتهام الغرب للعالم الإسلامي بأن نظامه الديني وفكره الثقافي مُولِّد للإرهاب، وأن الثقافة الغالبة هي ثقافة الإرهاب، والمطلوب ليس حواراً ثقافياً أو دينياً، ولكن تغيير الثقافة وتغيير الفكر الديني، ونشر ما أصبح يسمى في الأدبيات الغربية «ثقافة السلام» وانبرت الأمم المتحدة لكي تضع البرامج الثقافية والدينية الهادفة إلى تغيير الأوضاع الثقافية والدينية في العالم الإسلامي، والتدخل في برامج التعليم وغير ذلك لكي تحقق التغيير المطلوب ثقافياً ودينياً، وبدأ التدخل الأمريكي والأوروبي في السياسة الثقافية للعالم الإسلامي كجزء من سياسته العامة في مواجهة الإرهاب، وقد عبر «صموئيل هنتنجتون» عن ذلك تعبيراً مباشراً بقوله: «المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته... وبعالمية ثقافته... التي تفرض عليه التزاماً بنشر هذه الثقافة في العالم، وهذه هي المكونات الأساسية التي تغذي الصراع بين الإسلام والغرب»[1].

وهذا بطبيعة الحال لا يدخل في إطار الحوار، ولا يعتمد الحوار كوسيلة من وسائل إحداث التغيير الثقافي والديني.

٢- قضية الإصلاح السياسي:

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر والعلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي تتمحور حول الإصلاح السياسي والجدل الدائر حول الإصلاح من الداخل أم من

---

(١) هنتنجتون، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

الخارج، والإصلاح بالقوة كما حدث في أفغانستان والعراق، ومع السلطة الفلسطينية، والإصلاح من خلال الحصار، كما حدث مع ليبيا، وكما يحدث الآن مع إيران، والإصلاح بالوعد والوعيد كما يحدث مع مصر والسودان، ولا نقصد من هذا أن الإصلاح السياسي قد حدث، ولكن ما نقصده هو التدخل السياسي الغربي في شؤون العالم الإسلامي والرغبة الغربية الجامحة في تغيير الأوضاع السياسية، وجعلها مواتية للسياسات الأمريكية والغربية بحجة الإصلاح السياسي، والحوار السياسي بلا شك متعثر لأنه لم يعد حواراً ديمقراطياً تقوم به جهات دولية مسؤولة عن قضايا الإصلاح السياسي في العالم، ولكنها قرارات سياسية مفروضة فرضاً وغير قابلة للحوار، بل العكس هو الصحيح، وهو الاستعداد الدائم لاستخدام القوة في تنفيذ الإصلاح السياسي، وأمامنا نموذج أفغانستان والعراق كنموذج صارخ ودليل قاطع على انتهاء حوار السياسة بين الغرب والعالم الإسلامي.

٣- قضية الديمقراطية:

يرتبط بالإصلاح السياسي قضية الديمقراطية، وهو ملف قديم، ولكنه فُتح بشكل جذري بعد أحداث سبتمبر، واتخذت الديمقراطية كحجة سياسية للتدخل في الشأن الإسلامي، بل إن الحروب التي أعلنت على المسلمين اتخذت من الديمقراطية سبباً رئيسياً لها، كما هو الشأن في أفغانستان والعراق، والديمقراطية سبب وليست غاية نهائية في حد ذاتها، والدليل على ذلك أنه عندما تتحقق الديمقراطية، ولا يقبل بالتغير الديموقراطى الذي يحدث في بلد مسلم مثلما حدث في الجزائر، وتجربة وصول حماس إلى سدة الحكم عن طريق الانتخاب الديمقراطي، وردة الفعل الغربية العنيفة التي انتهت إلى حصار شامل للفلسطينيين، وعدم اعتراف بالتغير السياسي، وتجويع الفلسطينيين، ووضع العقبات أمام حماس وأمام السلطة الفلسطينية لكي تفشل

الحكومة، وتسقط في النهاية، والغرب الآن لا يتحاور بشأن الديمقراطيـــة، ولكـــن يدخل حروباً باسمها، ويتدخل في الشؤون السياسية للمسلمين بسببها، ثم يحبطها إذا أتت غير مواتية لأهدافه ومصالحه السياسية في المنطقة الإسلامية، والمـــسألة تـــتم في شكل أحادى وباستخدام القوة، وبدون حـــوار، وعادة ما يتهم الغرب بالازدواجية أو التعامل بمكيالين في المسألة الديمقراطية، والحقيقة أن المسألة لا علاقة لهـــا بالمثـــل السياسية، أو بأخلاقيات السياسة لكنها مرتبطة بالمصالح والاستراتيجيات غير المعلنة، وبخاصة بعد أحداث سبتمبر، ولا يشعر الغرب بحرج من وقـــوع هذه الازدواجية، أو السقوط الأخلاقي في التعامل بمكيالين، فالأمر كله مرتبط بالاستراتيجيات وليس بالأخلاقيات، إن «حوار الحضارات لا يمكن أن يقوم على المعـــايير المزدوجـــة»[١]، فالمجتمع الغربي يستخدم الحق المزدوج للقانون والشرعية الدوليـــة. وفي ظـــل هـــذه الازدواجية المعيارية لا يمكن لأي حوار أن ينجح[٢].

٤- قضايا حقوق الإنسان وحق الحرية الدينية:

هو ملف قديم جديد تم فتحه، وتعميقه، وتعقيده، بعد أحداث سبتمبر ليـــصبح في النهاية إحدى وسائل التدخل السياسي والعسكري في الشأن الإسلامي، لقد حدث مثل هذا النوع من التدخل قبل أحداث ســـبتمبر، وبخاصـــة في البوســـنة والهرســـك، وفى الصومال، لكن الدافع الإنساني كان موجوداً وقوياً إلى حد ما في الحالات السابقة على سبتمبر ٢٠٠١م، فقد كانت هناك مجازر عرقية وعمليات تطهير عرقي تستدعى التدخل تحت مظلة الأمم المتحدة وبرعايتها، أما ملف قضايا حقوق الإنسان بعد أحداث سبتمبر فقد أصبح ملفاً سياسياً خالصاً لا يتعامل مع حالات إنسانية، وإهدار فعلـــى لحقـــوق الإنسان، ولكنه يتعامل مع مصالح إستراتيجية يتم تنفيذها بكل الوســـائل والـــدعاوى

---

(١) أحمد الموصللي، التجديد والتحديات المعاصرة في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٤.
(٢) المرجع السابق.

الممكنة، ومنها دعوى حقوق الإنسان. كما أن قضية حقوق الإنسان مرتبطة بالمصلحة السياسية الغربية، وليست مرتبطة بالقضية الإنسانية في بلدها، بمعنى آخر تم تسييس حقوق الإنسان لتتحول إلى سبب للتدخل من أجل تحقيق أهداف سياسية واستراتيجية غربية، وليس من أجل تحقيق أهداف إنسانية، أو مرتبطة بحقوق الإنسان.

الأمر الآخر أن قضايا حقوق الإنسان كسبب للتدخل في الشأن الإسلامي لم تعد تتم تحت إمرة الأمم المتحدة ورعايتها، ولكنه قرار سياسي مستقل مرتبط بالإستراتيجية الغربية بعد أحداث سبتمبر، ولا يحتاج إلى موافقة الأمم المتحدة أو دعمها، ولو حدث سعى للحصول على هذه الموافقة فهو فقط من أجل الشرعية والمباركة، لا اعترافًا بحق، أو سلطة للأمم المتحدة، ونفس الشيء يتم مع ما يسمى «حق الحرية الدينية» حيث تم استبعاد الشرعية الدولية من التعامل مع هذا الموضوع. والولايات المتحدة الأمريكية جعلت من نفسها الفاعل الرئيسي الذي من حقه أن يتابع ويرصد الأوضاع، ويتخذ القرار بشأنها بحسب القوانين الأمريكية، واعتبار التحرك الأمريكي حقاً مكتسباً لا يشاركها فيه أحد، وإهمال المظلة الدولية بالكامل(١).

ثانياً: الأسباب النفسية لتعثر الحوار:

لا شك في أن أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وما تلاها من أحداث مشابهة مثل حادث ٧ يوليو في بريطانيا، قد تركت أثراً نفسياً عميقاً في النفسية والذهنية الغربية، ومن أهم التأثيرات العكسية لهذه الحالة النفسية التي أوجدتها أحداث سبتمبر أن الغرب أصبح غير مؤهل نفسيًا للحوار، بل هو قد يكون في وضعه النفسي أقرب إلى رفض الحوار رفضاً قاطعاً. وهنا يمكن أن نتصور توظيفاً سياسياً للحالة النفسية بحيث يصبح

(١) سمير مرقس، الحماية والعقاب، الغرب والمسألة الدينية في الشرق الأوسط من قانون الرعاية المذهبية إلى قانون الحرية الدينية (القاهرة: المركز القبطي للدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٣م) ص١٤٨- ١٤٩.

رفض الحوار المبنى على أساس نفسي له هدف سياسي وهو تنفيذ خطط الغرب الإستراتيجية بعد سبتمبر ٢٠٠١م، بمعنى أن الحالة النفسية رغم صحتها وعمق مبرراتها فإنها الأخرى توظف توظيفاً سياسياً حتى يتوقف الحوار لأسباب نفسية لأطول مدة ممكنة تعطى فرصة لتحقيق الأهداف الإستراتيجية.

وهناك عدة مظاهر لهذه الحالة النفسية التي أصابت الغرب وانعكست في سياساته، وأدت إلى الرفض لفكرة الحوار مع العالم الإسلامي، ومن أهم هذه المظاهر النفسية ما يلي:

١- رد الفعل الفوري القوى العنيف، وقد تمثل رد الفعل في خوض حرب أولى بعد الأحداث بأيام أو بأسابيع وهى حرب أفغانستان، ثم الدخول في حرب ثانية قبل أن تنتهي الأولى، وهى الأخرى حرب غير مبررة، وبنيت على ادعاءات ثبت أنها باطلة، ومن أهمها دعوى حيازة أسلحة الدمار الشامل.

٢- الرغبة في الانتقام السريع والميل إلى أن يكون الانتقام عنيفاً ومدوياً، والانتقام السريع أدى إلى عدم التحقيق الجاد في الحادث، بل ربما تم تفضيل عدم التحقيق الشامل في الحادث، وأسبابه، وكيفيته، وصفة منفذيه لأن التحقيق في مثل هذه الحوادث يستغرق وقتاً طويلاً تكون جذوة الانتقام فيه قد خَفَّت.

٣- غياب البعد الإنساني في الحربين اللتين وقعتا فهي لم تكن حروباً ضد جيوش ولكنها حروب ضد المدنيين، ويظهر ذلك من حجم الدمار الذي وقع بالبنية الأساسية في أفغانستان والعراق، وكثافة القتلى والجرحى من المدنيين، وحجم الخراب الذي وقع، وبخاصة فيما يتعلق بهدم أحياء مدنية، بل ومدن وقرى كاملة، والحصار الاقتصادي والغذائي الذي تم للمناطق المدنية، وحظر التجوال الشامل، وإصابات النساء، والأطفال، والشيوخ والقتلى منهم.

كل هذا قد وقع نتيجة لسيطرة العامل النفسي المتمثل في الرغبة في الانتقام السريع العنيف الذي أدى إلى ارتكاب انتهاكات ضخمة لحقوق الإنسان، وبخاصة حقوق المدنيين في وقت الحرب، أو تحت الاحتلال.

٤- التعذيب القاسي، والوحشي، وغير المبرر للأسرى في سجون التحالف في أفغانستان، وفى العراق، خاصة سجن أبو غريب، وفى جوانتناموا، وفى المناطق الأخرى المعروفة وغير المعروفة، والتي استقبلت أسرى، أو معتقلين سياسيين، وأدى العامل النفسي في هذا الشأن إلى إسقاط كل حقوق الإنسان، بل والتعتيم الشديد على ما يحدث داخل هذه السجون، والتعتيم الإعلامي، وعدم السماح لمؤسسات حقوق الإنسان بزيارتها.

٥- ارتكاب أشكال متعددة للسلوك الشاذ تجاه الأسرى والمعتقلين، والتي تسربت صورها، ونشرت كما هو معروف، ومنها أشكال التعذيب الجنسي، وإجبار الأسرى والمعتقلين على ارتكاب الشذوذ الجنسي، والأفعال الفاضحة، والقيام بتصويرها من قبل جنود التحالف أنفسهم بما يعنى أن المسألة كانت تمثل نوعاً من الترفيه عن النفس والتسلية، والحقيقة أنها كانت تمثل مغالاة في الانتقام، وتعبيراً أكبر عن الحالة النفسية للجنود نتيجة حالة الشحن النفسي العسكري والإعلامي، أو أنها جزء من حرب نفسيه، أو أنها كل ذلك في وقت واحد.

٧ - الاستغراق الشديد وغير العقلي في عمليات تشويه صورة المسلمين والإسلام بشكل لم يحدث من قبل في تاريخ العلاقات الغربية الإسلامية، وهذا أيضاً ناتج عن الحالة النفسية لأن صراعات سابقة طويلة حدثت بين الغرب والمسلمين لم ينتج عنها مثل هذا التشويه المقصود، والمخطط له بدقة شديدة، والذي وُظفت له كل إمكانات الغرب الإعلامية.

ومن أقسى صور التشويه التي لم تقع من قبل ربط الإسلام بالإرهاب، واستثنائه من بين كل أديان العالم بهذه الصفة، وهى أنه دين الإرهاب، ولكن الحالة النفسية للغرب بعد أحداث سبتمبر سمحت بمثل هذا الوصف الذي هو من باب الخرافة أو الأسطورة، ولا يدخل أبداً في إطار الوصف العلمي الموضوعي مثل هذا الاتهام للإسلام لا ينتجه إلا عقل مختل، أو مريض نفسياً ولكن الحقيقة أكبر من هذا، إن تشويه الإسلام لم يكن كله نتاج عقلية مريضة نفسياً بل كان في معظمه نتاج التوظيف السياسي للحدث بحيث أصبح الإسلام مفزعة للإنسان الغربي الذي لا يعرف الإسلام، و لم يقرأ عنه شيئًا في حياته، ويتقبل بدون وعى ما تمليه عليه السلطات السياسية لتبرير سياساتها من ناحية، ولكسب تأييد هذا الإنسان الغربي من ناحية أخرى.

٨- الإساءات المتكررة للمسلمين في الغرب، والمغالاة في فرض الحصار عليهم ومراقبتهم واضطهادهم، واعتبارهم متهمين بدون محاكمة لمجرد أنهم مسلمون، ولأنهم مسلمون فهم إرهابيون محتملون، ويجب التعامل معهم على هذا الأساس، ومن أكبر الإساءات تلك الموجهة إلى الدين ورموزه مثل تدنيس المصاحف، والهجوم على المساجد، والاعتداء على المصلين، والاستهانة بالمقدسات، وإثارة القضايا مثل قضية الحجاب وغيرها، وأخيرًا تأتى الإساءة الكبرى المرتبطة بالرسوم الكاريكاتيرية لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، كل هذا من قبيل التعبيرات الدالة على الحالة النفسية والذهنية للغرب في الوقت الحالي.

٩- التعبير عن هذه الحالة النفسية في بعض الكتابات الغربية من خلال استخدام مصطلحات نفسية صريحة مثل الاعتقاد في تحول الإسلام إلى مرض نفسي غربي كما عبرت عن ذلك مصطلحات مثل «الإسلاموفوبيا-Islamophobia» وترجمتها

«الخوف من الإسلام» ومثل مصطلحات «التهديد الإسلامي» و«الخطر الإسلامي» و«الخطر الأخضر» و«المسلمون قادمون» و«دموية الإسلام» إلى آخر هذه المنظومة من المصطلحات المصاغة بدقة لكي تُحدث التأثير النفسي اللازم على الإنسان الغربي.

كل هذه العوامل النفسية والمظاهر المختلفة لها تعتبر الآن أهم معوق من معوقات الحوار الغربي مع الإسلام، وإذا لم يزل هذا العامل النفسي بشكل جيد وعميق فإن الصورة التي تكونت عن الإسلام ستثبت لفترة زمنية طويلة، وتجعل الحوار مع الإسلام صعبا، لأن أهم متطلبات الحوار الاستعداد النفسي، وهو مطلوب في حالة الحوار العادي الذي لا تكمن وراءه مشاكل فما بالنا بحوار مطلوب مع طرف توجد معه مشاكل نفسية معقدة، ويوصف بأنه طرف مخيف، ومرعب، ومهدد، وإرهابي في النهاية.

يتوج هذه العوامل النفسية عامل نفسي يتصف به الطرف الإسلامي، وهو الشعور الدفين لدى الطرف المسلم بأنه الطرف الضعيف الذي يبادر بطلب الحوار بسبب الأزمة التي سببتها له أحداث سبتمبر، وعلى الرغم من أن الحوار مرفوض معه على أسس نفسية فإنه لو سمح بالحوار معه فلن يكون المحاور الكفء المتساوي مع الطرف الغربي.

المسلمون يسعون الآن للحوار مع الغرب من أجل الدفاع عن أنفسهم والحوار المنشود مع الغرب حوار اعتذاري طرفه المسلم الضعيف يصد عن نفسه اتهاماً غربياً بالإرهاب، ويريد أن يستخدم الحوار كوسيلة للدفاع[1] والحقيقة أنه كما افتقد

---

(١) انظر عبد الرحمن الحاج، بنية الخطاب الإسلامي الجديد، مجلة حوار العرب، العدد، السنة الأولى، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، يناير ٢٠٠٥م.

الطرف الغربي الرغبة في الحوار لأسباب نفسية، وأسباب أخرى جانبية، فقد افتقد المسلم الشعور بالندية في الحوار وأصبح هو أيضًا له هدفه الخاص من الحوار مع الغرب، وهو الدفاع عن نفسه، ورد الاتهامات الموجهة إليه، وهكذا تم تفريغ الحوار المنتظر من أهدافه الأساسية الطبيعية غير الاعتذارية، وهو الحوار من أجل تحقيق التعارف، والتفاهم، والفهم، والاحترام المتبادل، وغير ذلك من الأهداف الطبيعية التي يمثلها أطراف طبيعيون، معنى هذا أن طرفي الحوار في حالة نفسية لا تسمح لهما بإجراء حوار موضوعي سليم لتحقيق أهداف طبيعية إيجابية تخدم طرفين طبيعيين متساويين في الكفاءة والندية، فالطرف المسلم متهم في قضية، ويريد أن يتحاور بشأن هذه القضية لتبرئة الذات، والحصول على البراءة من الطرف الغربي، أو على الأقل قبول الاعتذار عما حدث، الطرف المسلم يسعى إلى تبرئة المسلمين من دم سبتمبر والدماء الأخرى التي سالت، والطرف الغربي لا يريد اعتذاراً قبل الانتقام، ولا يريد حواراً قبل تحقيق المصلحة الإستراتيجية للغرب.

ثالثًا: الأسباب الدينية والثقافية لتعثر الحوار:

لا يخفى على أحد أن الغرب بعد أحداث سبتمبر، وكنتيجة لتحليله الخاص لهذه الأحداث، له متطلبات دينية وثقافية على العالم الإسلامي. وهى متطلبات، وليست موضوعات للحوار لأن الدافع إليها سياسي في المقام الأول، فالغرب اعتقد أن الدين الإسلامي هو السبب الأول للإرهاب، وهو العائق أمام الإصلاح السياسي والاقتصادي، وهو المسئول عن التخلف في قضايا حقوق الإنسان، وبالتالي على العالم الإسلامي أن يتغير دينياً وثقافياً، وهذا التغير ليس أمراً اختيارياً، بل هو إجباري، ومن الممكن تحقيقه باستخدام القوة، ومن الممكن فرضه من الخارج إن لم يأت من الداخل، وهكذا تم استبعاد الحوار استبعاداً تاماً.

١- المتطلبات الدينية للغرب:

أما المتطلبات الدينية للغرب على العالم الإسلامي فقد دارت حول الموضوعات التالية:

- إلغاء التعليم الديني، والمطالبة بإغلاق المدارس الدينية كما حدث في أفغانستان وباكستان، وإلغاء الجامعات الدينية، وإلغاء المعاهد الدينية في كل مراحلها، وتوحيد التعليم، وعدم تقسيمه إلى تعليم ديني وتعليم دنيوي[١].

- إلغاء النصوص الدينية التي يراها الغرب أنها تحض على التعصب الديني، أو التي تنقد أهل الأديان الأخرى مثل اليهودية والمسيحية وغيرها، وحذف الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا، أو تعطيلها وعدم استخدامها في حياة المسلمين.

- تطوير الخطاب الديني، وتحويله من خطاب ديني متعصب من وجهة النظر الغربية، إلى خطاب ديني متسامح ينشر ثقافة التسامح، وإلغاء كل موضوعات الخطاب الديني التي تضطهد الآخر وتُكفره، وتنشر التعصب ضده.

- إبطال الجهاد، وتعطيل آيات الجهاد في القرآن الكريم أو إلغاؤها إن أمكن، وإصدار فتاوى دينية تحرم الاستشهاد في سبيل الله وتجرِّمه، وتُكَفِّر من يقوم به أو يَحُضُّ عليه، وتنص على أن المستشهدين «الانتحاريون في لغة الغرب» كافرون وعملهم «الانتحاري» ليس استشهاداً ولا يدخل صاحبه الجنة، والعمل على إصدار فتاوى دينية تُحرم المقاومة المسلحة للاحتلال وتعتبرها جريمة، وبشأن القضية الفلسطينية يضاف إلى السابق كله إصدار قانون تجريم المعاداة للسامية، وتوسيع مفهوم المعاداة للسامية ليشمل معاداة اليهود، والصهيونية، وإسرائيل.

---

(١) محمد عمارة، تجديد الخطاب الديني، أعمال ندوة جامعة القاهرة، تجديد الخطاب الديني بين التدخل الغربي والضرورة الإسلامية، في عرض للندوة بمجلة منار الإسلام العدد ٣٧١ السنة ٣١، ذو القعدة ١٤٢٦هـ، ديسمبر ٢٠٠٥م، ص ٥٣؛ وانظر أيضاً: أحمد شهاب، إعلام ما بعد العولمة، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، السنة ١٠، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ربيع١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١١٩.

- إغلاق الهيئات الخيرية الإسلامية، وبخاصة الدولية والعالمية منها، وطلب الرقابة على أنشطتها وأموالها، ومصادرة هذه الأموال، ومنع استخدامها .

- السماح بنشر العلمانية في بلدان العالم الإسلامي، واتخاذ تركيا كنموذج للدولة الإسلامية العلمانية الحديثة بالإضافة إلى الحديث عن النموذج العراقي، والنموذج الأفغاني كنماذج صالحة للعالم الإسلامي كله.

- الإصلاح الديني العام، وتحديث الإسلام وخطابه الديني، ولغته الدينية، والقضاء على التعصب الديني، وتحديد وظيفة المساجد وأنشطتها.

- قبول التعددية الدينية، والسماح بحرية التدين والاعتقاد، والسماح بالنشاط التنصيري في بلدان العالم الإسلامي كدليل على حرية الاعتقاد، وإلغاء كل الأحكام الدينية التي تمنع من تحول المسلم إلى دين آخر[1] والسماح بزواج المسلمة من غير المسلم، وإلغاء أحكام الردة، وكل أشكال الاضطهاد الديني حسب الفهم الغربي، وبخاصة ضد الجماعات والأقليات غير المسلمة في المجتمعات الإسلامية، والسماح ببناء الكنائس والمعابد الدينية للأديان الأخرى، والاعتراف بالفرق الدينية، والحركات الدينية المنحرفة.

- التدخل في أحكام الشريعة الإسلامية المرتبطة بالأسرة المسلمة، والمطالبة بقبول كل قرارات مؤتمرات السكان العالمية، وبخاصة فيما يتعلق بتحديد النسل، وإلغاء تعدد الزوجات، والسماح بالشذوذ الجنسي، وبالعلاقات الجنسية خارج الزواج، وبالعلاقات الجنسية قبل الزواج وقبول الصداقات بين الجنسين والاختلاط، وعلاقات البوي فريند boyfriend والجيرل فريند girlfriend ، والسماح بزواج المثلين.

---

(١) وقد تجاوز هذا المطلب حدود التنصير بين المسلمين إلى السماح بالتنصير بين المسيحيين من أجل تغيير المذهب. انظر في ذلك النصوص التي أوردها سمير مرقس وتعليقه: «المشروع الأمريكي لا يريد أن تقوم أي دولة بحرمان مواطن أمريكي من التبشير الأمر الذي يثير القلق لدى سلطة الكنائس والمذاهب التاريخية لصالح مذاهب غربية» انظر سمير مرقص، الحماية والعقاب، ص ١٤٩.

- وفي المجال الاقتصادي المطالبة بقبول المعاملات الربوية في البنوك، وشـهادات الاستثمار، وإلغاء البنوك الإسلامية، أو الفروع الخاصة بالمعاملات الإسلامية البنكية، وقبول النظام المصرفي العالمي بدون حظر.

- مراعاة قضايا حقوق الإنسان، ومنع انتهاك هذه الحقوق، وبخاصـة تلـك الخاصة بحقوق المرأة، والطفل، وحقوق الحيوان، ومطالبة بعض جمعيـات حقـوق الإنسان في الغرب بإبطال الذبح في عيد الأضحى رفقاً بالحيوان وحفظاً لحقوقه.

- إطلاق حرية الفرد، وعدم ربطها بالدين أو الأخلاق، ونشر مبـدأ الحريـة الفردية على النظام الغربي، وهو أن الإنسان حر ما دام أنه لا يضر غيره.

٢- المتطلبات الثقافية:

بالإضافة إلى المتطلبات الدينية السابقة هناك قائمة أخرى بالمتطلبـات الثقافيـة المنفصلة عن الدين والمستقلة عنه، ومن أهم هذه المتطلبات الثقافية ما يلي :

- نشر «ثقافة التسامح» لتحل محل ثقافة التعـصب، والتـشدد، والتزمـت، وكراهية (الآخر) وعدم احترام حقوقه، وذلك بالنظر إلى ثقافة المسلمين على أنهـا ثقافة غير متسامحة.

- نشر «ثقافة السلام» ونبذ العنف والعدوانية تجاه الآخر، ووصف العنف الناتج عن المقاومة للاحتلال بأنه ضد السلام، ومعطل للسلام، ونشر ثقافة اللاعنف.

- قبول التعددية الثقافية، ومواجهة كل أشكال الاضطهاد الثقـافي، والإثـني، والعرقي، والديني، ونبذ التعصب الثقافي والحضاري. وذلـك بـالنظر إلى الثقافـة الإسلامية على أنـها حاملة لهذه الصفـات السـلبية، وقبول العولمة الثقافية بكـل ما تحمله من قيم.

المبحث الثالث: أزمة المواجهة مع الغرب
في ضوء نظرية صدام الحضارات

أدت أزمة الحوار مع الغرب في ضوء نظرية صدام الحضارات وأحداث سبتمبر إلى تَوَلُّد أزمة المواجهة مع الغرب، ومن المنطقي أنه في ظل الرفض الغربي للحوار مع العالم الإسلامي أن يكون البديل هو المواجهة في ظل المعطيات التالية:

أولاً: عدوانية نظرية صدام الحضارات:

إن نظرية صدام الحضارات نظرية صدامية صراعية في طبيعتها. ولأنها تجاوزت حدود النظرية، وتحولت إلى سياسة واستراتيجية للغرب، فقد جعلت المواجهة مع العالم الإسلامي حتمية وأمرًا واقعًا، فالتبني الغربي للنظرية في التعامل مع المسلمين حولها إلى أيديولوجية سياسية تطور حولها ما أصبح معروفاً باليمين المحافظ، أو اليمين الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية وفى أوروبا الذي استغل أحداث سبتمبر واعتبرها الدليل الأكبر على الصدام الحضاري، وعلى صحة النظرية التي أطلقها صموئيل هنتنجتون والتي أصبحت تمثل الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في مواجهة تحديات العالم الإسلامي[١] لقد قضت نظرية صدام الحضارات على فكرة الحوار و«حولت العلاقات بين الحضارات إلى مراكز القرار السياسي ودهاليز الخطط الاستراتيجية»[٢] وتحولت هذه العلاقات إلى علاقة صراع وتصادم، وسيطرة ومواجهة.

إن عدوانية النظرية وتحولها إلي سياسة، واستراتيجية، وأيديولوجية فرض على العالم الإسلامي مواجهة هذه النظرية، ومواجهة السياسات التي ترتبت عليها وبخاصة أن طبيعة

---

(١) عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص ١٦٤.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

العمل السياسي تغيرت بسبب هذه النظرية الصدامية من عمل تفاوضـي بطبيعتـه إلى سياسة إجبارية مفروضة فرضاً، وإلى أمر واقع يجب قبوله، كما يفهم الغرب .

والجدير بالذكر أن نظرية صدام الحضارات تم الأخذ بها فقط في مواجهة العـالم الإسلامي، والدليل على ذلك أنها في تطبيقها الـسياسي لم تطبـق إلا علـى دول، وحكومات، وشعوب وجماعات إسلامية، وإذا كانت النظرية قد أشارت إلى الصين واعتبرت الحضارة الصينية حضارة مهددة للغرب ومتحدية له لكن على أرض الواقع السياسي ليس لنظرية صدام الحضارات دور سيـاسي بارز في التعـامل مع الصين، فلا توجد اعتداءات ضد الصين، ولا توجد ممارسات واضحة ومكشوفة ضد الحضارة الصينية على المستويات السياسية، والثقافية، نعم هناك تنافس اقتصادي، وسياسات اقتصادية مضادة للصين لكن سببها في الحقيقة هو القدرة الاقتصادية الصينية العالية، وعمليات الإغراق الاقتصادي التي تمارسها الصين في سياستها الاقتصادية، وأيضاً الغزو الاقتصادي الصيني للعالم كله، وليس للولايات المتحدة الأمريكية، أو الغرب فقط.

ثانياً: مواجهة الأصولية الدينية الغربية:

وجد العالم الإسلامي نفسه في مواجهة لما أصبح يسمى بالأصولية الدينية الغربية، وأصبحت الساحة العالمية تسيطر عليها ما أطلق عليه «حرب الأصوليات» وقد نتجت هذه الحرب عن تطور الأصوليات الدينية على المستوى العالمي، ومواجهتها لبعـضها البعض مع اعتبار الإسلام محور صراع هذه الأصوليات الدينية، فهناك أصولية يهودية، وأصولية مسيحية، وأصولية هندوسية كلها في حروب مع الإسـلام في مناطقهـا الجغرافية، فجزء كبير من السياسة الغربية محكوم وموجه من قبل الأصولية المسيحية[١]

(١) لا ينكر الإنجيليون الجدد كراهيتهم للإسلام بوصفه عدوا للمسيحية وللولايات المتحدة الأمريكية، انظر رضوان السيد، الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الانتروبولوجيا، مجلة التسامح، السنة الثانية، وزارة الأوقـاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، شتاء ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٨١.

وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا مع تأثيرات للأصولية اليهودية عليها فضلاً عن الصراع الأساسي مع الأصولية اليهودية في إسرائيل، وفي الولايات المتحدة، وأوروبا، والتي جعلت من فلسطين بؤرة تركيزها الصراعي الأصولي، ومعظم الحركات الراعية لإسرائيل في الولايات المتحدة وأوروبا هي حركات أصولية مسيحية التقت مع الأصولية اليهودية في هدف جمع الشتات اليهودي في فلسطين تحقيقاً لنبوءات أصولية، ورؤى غيبية، وشروط مسيحانية ترى أن القدوم الثاني للمسيح، عليه السلام، متوقف على جمع الشتات اليهودي له في فلسطين[1].

ثالثًا: أسباب أخرى للمواجهة:

وبالإضافة إلى عدوانية نظرية صدام الحضارات ومواجهة الأصولية الدينية الغربية هناك أسباب أخرى للمواجهة يراها العالم الإسلامي منها ما ارتبط بأحداث سبتمبر ٢٠٠١، والأوضاع التي ترتبت عليها، ومنها ما ارتبط بظواهر اقتصادية، وثقافية، ودينية عالمية، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

١- الدفاع عن الإسلام ضد الهجوم الغربي المعاصر:

لاشك أن الإسلام الآن يواجه حملة غربية جديدة ومعاصرة ضده، وهي حملة تجمع بين الهجوم الديني الحاد، والذي لم يسبق له مثيل في تاريخ المسلمين، وبين الهجوم السياسي والعسكري على بلاد وشعوب إسلامية نتج عنها حتى الآن احتلال بلدين مسلمين، بالإضافة إلى احتلال فلسطين.

---

(١) انظر في ذلك: يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠م)؛ وانظر أيضاً: ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٩٦، الكويت، ١٩٨٥م.

الإسلام، كدين وحضارة، يواجه أعنف هجوم غربي عليه في تاريخ العلاقات الإسلامية الغربية، وهو بطبيعة الحال امتداد للهجوم الذي بدأه الغرب على الإسلام في العصر الحديث متواكباً مع الحركة الاستعمارية الحديثة، ومتخذاً من الاستشراق وسيلة تعبير عن هذا الهجوم، والذي تركز حول اعتبار الإسلام سبب تخلف المسلمين، والبناء على هذا الأساس من أجل نشر العلمانية في بلاد المسلمين، ونشر الثقافة الغربية، وتحقيق الغزو الثقافي الغربي[1].

ولا شك في أن كل هذه الأهداف لا تزال موجودة والهجوم لا يزال متواصلاً، ولكن الجديد في هذه الحملة الغربية المعاصرة على الإسلام هو نوع الاتهام، فالاتهام المعاصر للإسلام هو الإرهاب، فقد تركز الهجوم السياسي والديني على الإسلام بأنه دين الإرهاب، وبأنه دين مهدد للغرب دينياً وسياسياً وثقافياً، والوصف هنا شامل للإسلام وليس اتهاماً موجهاً إلى مذهب معين، أو فكر إسلامي معين، أو جماعة إسلامية معينة، فنظرية صدام الحضارات بقيادة «برنارد لويس» و«صموئيل هنتنجتون»، ونظرية نهاية التاريخ لـ«فوكوياما» وغيرها من النظريات اتهمت الإسلام ديناً وحضارة بالدموية والإرهاب، والعنف، والتعصب، وربما لأول مرة في تاريخ الدراسات الغربية عن الإسلام أن تُفْرد هذه الخاصية للإسلام كله، ودون غيره من الأديان، وأمام هذا التشويه الشامل للدين وجد المسلمون أنفسهم في مواجهة لا مفر منها.

وهذه المواجهة مواجهة فكرية نظرية تسير في خط المواجهة الإسلامية للاستشراق وشبه المستشرقين ضد الإسلام وحضارته، ولكنها تتصف من الطرف الإسلامي بالتوتر، والتشتت الفكري، وعدم التوحد، ومن الناحية الغربية هذه الشبه المعاصرة ضد الإسلام وحضارته ليست شبه مستشرقين تقليدين، ولكنها اتهامات

(١) انظر رضوان السيد، الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الانثروبولوجيا، مرجع سابق، ٨٠-٨١.

سياسيين، وخبراء استراتيجيين، وصناع قرار سياسي، ومن هنا تأتي الجرأة في الاتهام ونوعه، فالاتهام بالإرهاب موجه إلى دين وحضارة بكاملهما، وموجه إلى كل الشعوب الإسلامية ما دام أنها حاملة لهذا الدين وحضارته، ولم يسبق في تاريخ العلاقات الإسلامية الغربية أن يأتي الاتهام، أو الشبهة، بهذه الفجاجة من ناحية، وبهذا الاستهتار وعدم المبالاة بالشعور الديني والثقافي لما يزيد عن ألف وثلاثمائة مليون مسلم.

والسبب الثاني: المهم للمواجهة وقوع بلدين مسلمين تحت الاحتلال المعاصر، وهما أفغانستان والعراق، وتهديد بلاد إسلامية أخرى مثل سوريا، وإيران، والسودان، وليبيا، ولبنان، بالإضافة إلى استمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، والتدهور الشديد الذي أصاب القضية الفلسطينية بتأثير مباشر من أحداث سبتمبر ٢٠٠١م.

٢- الدفاع عن الأقليات المسلمة في الغرب:

لقد أثرت أحداث سبتمبر تأثيراً مباشراً في وضع الأقليات المسلمة في الغرب، وقوَّت بعض الأحداث الإرهابية الأخرى هذا التأثير مثل حادثة ٧ يوليو في لندن، وأحداث مدريد. وانعكس الهجوم على الإسلام على أقرب المسلمين إلى الغرب، وهم المسلمون الذين يعيشون في الغرب، فتحولوا من مواطنين آمنين إلى إرهابيين محتملين في نظر الغرب، وبدأ حصارهم، ووضعهم تحت الرقابة، واضطهادهم وسوء معاملتهم، وإصدار قوانين تحد من حركتهم، وتدفعهم دفعاً إلى العودة إلى بلادهم، وقد عادت أعداد كبيرة منهم بالفعل، وبقيت أعداد أكبر تعيش في ظل توتر وعدم أمان، وظروف عمل قاسية، وبطالة ورقابة دائمة من الدولة[1].

---

(١) انظر انطوني ت سوليفان، الغرب والعالم الإسلامي: البحث عن بداية جديدة، مرجع سابق، ص ٨.

٣- مواجهة العولمة وغزوها الثقافي:

المواجهة المعاصرة التالية هي مواجهة الغزو الثقافي للعولمة في ظل العجز عن مواكبة متطلبات العولمة الاقتصادية، فقد طولب العالم الإسلامي بالإصلاح الاقتصادي كضرورة لدخول النظام الاقتصادي الدولي الجديد، والتعامل مع نظام السوق الحر، والمنافسة الاقتصادية. وازدادت المواجهة حدة عندما تم ربط الإصلاح الاقتصادي بالإصلاح السياسي.

أما العولمة في بعدها الثقافي فهي تمثل التحدي الحقيقي للعالم الإسلامي . ولذلك فالمواجهة الثقافية للعولمة أصبحت ضرورة إسلامية معاصرة من أجل الحفاظ على القيم الثقافية الإسلامية، والحفاظ على الهوية الإسلامية، وعلى الوجود الحضاري الإسلامي داخل العالم الإسلامي ذاته وفى الخارج، ويتأرجح رد الفعل الإسلامي تجاه العولمة بين اعتبارها شراً لابد من التخلص منه[١] أو اعتبار العولمة أمراً واقعاً لابد من التعامل معه[٢] ولم يتبلور حتى الآن موقف إسلامي عام واضح من العولمة، وكيفية مواجهة بعدها الثقافي، وحماية الثقافة الإسلامية من أخطارها، وفى نفس الوقت الاستفادة من إيجابياتها وبخاصة على المستوى الاقتصادي الذي يتطلب موقفاً علمياً واقتصادياً جيداً يحقق المصلحة الاقتصادية للمسلمين في ظل نظام الجودة، وفى ظل المنافسة الاقتصادية القوية.

---

(١) لحمد شهاب، إعلام ما بعد العولمة، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٢) محمد فاروق النبهان، التصور الإسلامي لمنهجية الحوار الحضاري، أعمال ندوة: الإسلام وحوار الحضارات مكتبة الملك عبد لعزيز، المجلد الأول، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٣١.

المبحث الرابع: سبل علاج تعثر الحوار مع الغرب

أولاً: طبيعة المشكلة:

لا شك في أن «الإسلاموفوبيا» صناعة سياسية غربية لإثارة المخاوف من الإسلام والمسلمين، وعلى الرغم من تعدد أسباب تعثر الحوار مع الغرب فإن إمكانية استعادة الحوار مرهونة بكيفية التعامل الإسلامي مع النظريات السائدة في التعامل الغربي مع الإسلام والمسلمين والتي وضعت من أجل تعميق فكرة الخوف من الإسلام، وهي: نظريات صدام الحضارات، والتهديد الإسلامي للحضارة الغربية، ونظرية الإسلام العدو البديل، وعلى المستوى النظري تولت أقلام عديدة، مسلمة وغربية، مناقشة هذه النظريات الثلاث ونقدها، ونظراً لأن هذه النظريات غير منطقية في أساسها، وخاطئة، ولا تتفق مع طبيعة الإسلام وحضارته فإن النقد النظري لها يسير، ولكن الصعب هو التخلص من آثارها النفسية والأضرار المعنوية التي لحقت بالمسلمين، وبالإسلام وحضارته بسبب التطبيق العملي لهذه النظريات في السياسة الغربية، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر حيث تم التركيز على صناعة الخوف من الإسلام والمسلمين.

ومن المتوقع أن الأسباب النفسية لتعثر الحوار كنتيجة من نتائج أحداث الحادي عشر من سبتمبر قابلة للتغير بمرور الزمن، ونعتقد أن حدة هذه الأزمة النفسية آخذة في الانحسار، فكلما ابتعدنا عن الحدث تاريخياً كلما قل تأثيره، ولكن تبقى المشاكل الأساسية لتعثر الحوار وهي المشاكل السياسية، والدينية، والثقافية التي تغذيها نظريات صدام الحضارات، والعدو البديل، والتهديد الحضاري، وهي نظريات باقية، ولها دور

كبير في إثارة الخوف من الإسلام والمسلمين، فهذه النظريات تركز على أن المسلمين أغيار أجانب، ومختلفون عن اليهود والمسيحيين، ومعادون للغـرب الـذي يـشعر بأفضليته، وبأنه يمثل المرجعية الوحيدة، وفي هذا يقول افتخار مالك: «إن كلاً مـن فوكوياما وهنتنجتون في أفكارهما الخاصة بنهاية التاريخ وصراع الثقافات قد احتفيا بمفهوم الغرب احتفاءً قوياً وذلك بالنظر إلى الغرب على أنه يمثل المرجعية الوحيـدة. فضلاً عن النظر إلى المجتمعات غير الغربية على أنها تمثل الآخر، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالمسلمين، ووفقا لهذا الفهم فالمسلمون ليسوا فقط مختلفين عن الغـرب اليهودي المسيحي، بل هم أيضاً معادون له، والغـرب يجـسد هـذا في الـشعور والاعتراف الصريح بالأفضلية، فالعلاقة بين الغرب وغير الغرب هي علاقة الأفـضل بالأدنى[1] وقد أصبحت الثقافة الإسلامية من خلال هذا المنظور ثقافـة لا تـستطيع منافسة القيم الغربية من ناحية، وتمثل في نفس الوقت تهديداً سياسياً رئيساً للغـرب، هذه الصـور السلبية للإسلام هي بلا شـك اسـتمرار لـصورة الإسـلام في الاستشراق التقـليدي القديـم الذي حرص على تحديد الإسلام من خلال غيريته، أو كونه يمثل (الآخر)[2].

وبقاء هذه النظريات على الساحة السياسية في الغرب مرتبط بـبعض القـضايا المهمة والمستمرة، ومن أهم هذه القضايا القضية الفلسطينية، وما نـتج عنـها مـن «صراع عربي إسرائيلي» يعتبره الشيخ راشد الغنوشي أهم مصادر إثارة الخوف مـن الإسلام حيث يقول: «على الرغم من تعدد مصادر تغذية مشاعر العداوة والارتياب

---

(١) Iftikhar H. Malik, Crescent between Cross and Star: Muslims and the West after 9/11, Oxford Univ. Press, 2006 P.10-11

(٢) Yunas Samad and Kasturi Sen, Islam in the European Union, Transnationalism Youth and the war on Terror, Oxford Univ. Press 2007, P.69

تجاه الإسلام وأهله، يبقى الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين الوقود الرئيسي لتلك العداوة المتصاعدة ضد الإسلام والمسلمين بسبب ما يزخر به هذا الصراع على فلسطين بين الإسلام وأوربا من رموز دينية وثقافية...» [١].

ويصعب من مهمة علاج «الصراع العربي الإسرائيلي» ما حدث من «دمج ديني وثقافي بين اليهودية والمسيحية في الغرب تحولت معه اليهودية شريكاً إلى جانب المسيحية في الإرث الحضاري الغربي، بل وغدت في المذهب البروتستانتي المرجع المقدس الأول للمسيحية مع إضفاء الطابع الديني المسيحي على المشروع الصهيوني على اعتبار أن سيطرة اليهود على فلسطين وبناء الهيكل المقدمة الضرورية لعودة المسيح»[٢].

ولقد طوَّر زعماء هذا الاتجاه من الصهاينة اليهود والصهاينة المسيحيين خطاباً شديد العداوة للإسلام، وقد كان الدافع الإنجيلي التنصيري قوياً لدى زعماء الصهيونية المسيحية الذين يرون أن من واجبهم الأخلاقي والديني أن يتبنوا سياسات عنيفة ضد البلاد الإسلامية وضد الأقليات المسلمة في الغرب[٣].

ومن الطبيعي أن ينتج عن هذا الدمج الديني والثقافي مزيد من الاستبعاد للإسلام وأهله وبخاصة من خلال صياغة مفاهيم مثل مفهوم التراث اليهودي المسيحي، ومثل هذه المفاهيم تُصَعِّب من مهمة تحرير علاقة الإسلام بالغرب من أهم العوائق وهو ما يسميه الغنوشي «العائق الصهيوني» إذ يعتبره العامل الأول في التحريض على الإسلام... وعلى الأقلية المسلمة في الغرب»[٤].

---

(١) الشيخ راشد الغنوشي، الإسلام في أوروبا، مجلة حوار الغرب السنة الثانية، العدد ٢١، أغسطس ٢٠٠٦م/ بيروت، ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.

(٣) Iftikhar Malik, P. 20- 21

(٤) الشيخ راشد الغنوشي، ص ٤٩.

أما القضية الثانية التي وظفتها هذه النظريات لصناعة الخوف من الإسلام، فهي قضية الأقليات المسلمة، وظاهرة تنامي الوجود الإسلامي في الغرب، والنظر إلى هذه الظاهرة على أنها تمثل خطراً وجودياً على الغرب باعتبار أن الأقليات المسلمة غير مستعدة للاندماج في المجتمعات الغربية، ومحافظة على هويتها الإسلامية إلى حد كبير الأمر الذي يجعلها دائما منعزلة، ولها حياتها المختلفة عن حياة هذه المجتمعات، ومن ناحية أخرى فهناك تخوف من الزيادة المستمرة في حجم هذه الأقليات من خلال الهجرة الدائمة، وزيادة نسبة الإنجاب، وقد يخلق هذا مشكلة ديموجرافية، بالإضافة إلى حدوث تزايد مواكب من حيث النفوذ الكمي والكيفي قد يؤثر في المستقبل على الأوضاع السياسية، والاجتماعية في المجتمعات الغربية.

وبالإضافة إلى القضية الفلسطينية وقضية الأقليات المسلمة أدى سقوط الاتحاد السوفيتي، وزوال الخطر الشيوعي إلى وضع نظرية جديدة ساهمت في صناعة الخوف من الإسلام، وهي نظرية الإسلام «العدو الجديد» للغرب بعد نهاية الخطر الشيوعي، فقد طور «هنتنجتون» و«برنارد لويس» و«كيبيل» فكرة الإسلام كعدو للغرب وبديل للعدو الشيوعي الذي سقط مع سقوط حائط برلين، وقد اعتبر الإسلام، وليس «الأصولية الإسلامية» فقط، ديناً لا يتفق مع القيم الغربية، وأنه سيصطدم معها بلا شك، وقد زادت أحداث سبتمبر من الشكوك وعدم الاطمئنان بالأمان تجاه الأقليات المسلمة في أوربا، ونادى البعض بضرورة التعامل الأمني مع هذه الأقليات[1] ونادى البعض الآخر بضرورة حماية القيم الغربية، والدفاع عنها، ضد هذا الوجود الإسلامي على الأرض الأوروبية، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا التعامل

---

(١) Yunas Samad and Kasturi Sen, P.3

الأمني مع الأقليات المسلمة إلى بناء حدود بين «نحن» و«هم» والتأسيس لمفهوم (الآخر) في الداخل[١] ولقد كان لوجود المسلمين تأثيره في إعادة النظر في مسألة الهوية الأوروبية، وإعادة بنائها على أساس استبعاد المسلمين كممثلين للآخر في تحديد هذه الهوية[٢].

ثانياً: سبل العلاج:

لقد تعددت أسباب تعثر الحوار مع الغرب، وبخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ويحتاج الأمر إلى جهود إسلامية كبيرة لاستعادة الحوار مع الغرب، والأمر يتطلب ضرورة الاشتغال على العقل الغربي والنفس الغربية اشتغالا يعتمد على المنطق والعقلانية، ومراعاة الجانب النفسي وعدم الاستهانة به، فقد نجحت وسائل الإعلام الغربية المدعومة من رجال السياسة في تغيير النفسية الغربية الأوربية والأمريكية تجاه الشخصية المسلمة تغييرا جذريا، وتسببت في انتشار مرض كراهية الإسلام والمسلمين «الإسلاموفوبيا».

ويؤصل «جون اسبوزيتو» لأسباب الحملة الغربية المعاصرة على الإسلام وحضارته برد المسألة إلى الجهل بالإسلام والمعالجة الانتقائية، والتحليل المتحيز الذي يضيف جهلاً ولا يُعمق المعرفة بالإسلام، ويشير إلى الكراهية الموروثة عن الحروب الصليبية، وإلى الخوف الغربي الحديث الذي تسببت فيه بعض النماذج المثيرة للتخوف الغربي من المسلمين مثل القاعدة، وطالبان، وصدام، ثم تأتي أحداث سبتمبر لكي تزداد هذه المخاوف حدة[٣].

---

(١) Ibid, P.4

(٢) Ibid, P.4

(٣) جون اسبوزيتو، التهديد الإسلامي، خرافة أم حقيقة؟ ترجمة د. قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠١م. وانظر: جمال معوض، التهديد الإسلامي للغرب المعاصر بين صموئيل هنتنجتون وجون اسبوزيتو، أعمال ندوة التقاء الحضارات في عالم متغير، حوار أم صراع، تحرير عبادة كحيلة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٤- ٣٠٥.

و«الإسلاموفوبيا» ظاهرة جديدة معناها «الخوف المرضي وغير المبرر من الدين الإسلامي» وهو مرض يفرض على صاحبه الحذر من المسلم والابتعاد عنه[1] وقد جعل هذا المرض الأوربيين يشعرون بأنهم غير آمنين على أنفسهم في بلدانهم بسبب وجود ما يقرب من ستة وعشرين مليون مسلم في البلدان الأوربية، ومن نتائج هذا الخوف الاعتقاد في أن وجود المسلمين في أوربا مشوه للحياة الأوربية، ومغير لها ومؤد إلى تغيير ثقافة المجتمعات الغربية، وأسلوب حياتها، ولذلك كثرت الدعوات إلى طرد المسلمين من أوربا، وغلق باب الهجرة أمامهم، وكثرت حالات اضطهاد المسلمين، والتضييق عليهم في الحياة وفي العمل، وقد طورت وسائل الإعلام الغربية فكرة الخوف من الإسلام، وتخويف الأوربيين من كل ما هو إسلامي، والربط المستمر بين الإسلام والإرهاب.

هذه الصورة عن الإسلام والمسلمين لا تحتاج إلى تفصيل، فالخوف من الإسلام قد تمكن من عقول الغربيين ونفوسهم، وقد أدى هذا إلى الدخول في قطيعة مقصودة مع كل ما هو إسلامي الأمر الذي انتهى إلى التأثير على الحوار الإسلامي مع الغرب، وأدى إلى حدوث قطيعة على مستوى الحوار سواء من جانب المؤسسات الدينية مثل الفاتيكان، أو على مستوى المؤسسات الثقافية والاجتماعية.

١- المواجهة السياسية والإعلامية والمعرفية:

ومشكلة الخوف من الإسلام لها ثلاثة أسباب رئيسية، الأول سبب سياسي يتطلب حلولاً سياسية، والثاني سبب إعلامي يتطلب جهوداً إعلامية، والثالث سبب معرفي، وهو الجهل بالإسلام والمسلمين، ويتطلب جهوداً معرفية.

---

(١) سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا، لماذا يخاف الغرب من الإسلام مكتبة الأسرة، سلسلة الفكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م ص٩.

فمن الناحية السياسية تسببت نظرية صدام الحضارات في إثارة الخوف من الإسلام على المستوى السياسي، والنظرية وصفت الإسلام بأنه «دين دموي» ووصفت الإسلام بأنه «مشكلة الغرب» كما يقول «هنتجتون»: «المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته»[1] ولا شك في أن نظرية صدام الحضارات تقوم على أساس من تشخيص خاطئ ومقصود للإسلام وللحضارة الإسلامية بل ولطبيعة الحضارة عامة، وطبيعة الحضارات الإنسانية عموماً، ويجب ملاحظة إن هذه النظرية ليست نظرية في الحضارة والعلاقات الحضارية، كما يبدو من اسمها، ولكنها نظرية سياسية تحدد طبيعة العلاقات الدولية، وتوظف الحضارات لخدمة الأهداف السياسية الأمريكية والغربية.

والمطلوب على المستوى السياسي هنا مواجهة هذه النظرية، ومواجهة آثارها السياسية السلبية على علاقة الغرب بالمسلمين. والمواجهة هنا مزدوجة فهي مواجهة علمية باعتبارها نظرية في السياسة الدولية، ومواجهة سياسية للحد من الآثار السلبية لتطبيق هذه النظرية في علاقة الغرب بالإسلام، والعمل السياسي الجاد لتحجيم هذه الآثار، وتصحيح الأوضاع السياسية الحالية الناجمة عن هذا التطبيق العملي لدعوى صدام الحضارات في المجال السياسي.

ومن الناحية الإعلامية فإن مواجهة الإعلام الغربي المنحاز ضد الإسلام والمسلمين والمتسبب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين تحتاج إلى جهود إعلامية إسلامية

---

(١) صمـوئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣٥٢.

جبارة لتصحيح هذه الصورة، وإعادة تقديم الإسلام إلى الغرب من خلال نفس الوسائل الإعلامية، ولا بد من الاعتراف بالتقصير في هذا المجال، وذلك بسبب غياب إستراتيجية إعلامية إسلامية موحدة، أو فردية تقاوم هذا المد الإعلامي الغربي، وتوفر مصدراً إسلامياً جيداً للمتلقي الغربي، وفي لغاته الغربية الأساسية، وتُحدث توازنا في مصادر المعرفة بالإسلام والمجتمعات الإسلامية لدى الإنسان الغربي، الذي لا يجد أمامه سوى الإعلام الغربي المنحاز، والمشوه للصورة الإسلامية.

وإذا ظل حال الإعلام في الدول الإسلامية على ما هو عليه من التشرذم وغياب الاستراتيجية فإن مواجهة الإعلام الغربي، وتوفير المصدر الإعلامي البديل، أو إحداث التوازن في مصادر الإعلام تصبح مسألة صعبة، وكما هو معروف فالإمكانات الإعلامية والقدرات المالية متوفرة في العالم الإسلامي، ولكنها بلا هدف استراتيجي يوحدها، ويوجهها لخدمة المصلحة الإسلامية.

ومن الناحية المعرفية، فإن الجهل بالإسلام وبالمجتمعات الإسلامية يقوي ويُعمِّق مسألة الخوف من الإسلام والمسلمين، والإنسان بطبيعته عدو ما يجهل، ونسبة كبيرة جداً من الغربيين يجهلون الإسلام، ولا يعرفون شيئاً عن المجتمعات الإسلامية، وعلى سبيل المثال فإن ٧٨% من البريطانيين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام حسب قول المسؤول الإعلامي بمجلس تطوير التفاهم العربي البريطاني[1] ونفس هذه النسبة أو ربما تزيد بالنسبة لكل البلاد الغربية الأخرى، وعن دور الجهل في إشاعة الخوف من الإسلام تقول المستشرقة الألمانية المعروفة «آناماري شيميل»: «إن الجهل يورث

(١) سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

الكراهية والبغضاء، وأن عدم المعرفة الذي ينجم عنه الخوف حقيقة يسجلها دارسو العلاقــات بين الأفراد، وبين الــدول مع بعضها البعض، وذلــك علــى تقلــب العصور، ومن يحاول جلاء هذا الغموض قد يعالج بعض الجوانب علــى حــساب الجوانب الأخرى، ولا يهتم بحقائق معينة، الأمر الذي يؤدي إلى تشويه حضارة ما، أو تقديم صورة مزيفة عنها فتنبعث الحزازات والحساسيات الفكرية الــضارية»[1].

وتطبــق المستشرقــة هذه الحالــة على الإسلام فتقــول: «الإسلام مثــل نمطــي لتلك التأويلات الظالمة المشــوهة، كمــا نرى في لوحات فناني القرن التاسع عشر في الغرب الذين شغفــوا بتصوير المســلمين برابرة، غير متحــضرين، محــاربين، شــاهري السيــوف، أو مترفين غارقين في مجال اللهو بين الحسان، وكمــا نــرى اليوم فعند ذكر كلمة الإسلام تقفز إلى الذهن صورة فقيه ملتح متزمت، أو صــورة إرهابي منحط... والحق أن هذه الصورة تستند إلى تأويل خاطئ ظــالم، وشــرح مغلوط آثم يستطيع كل من درس الحضارة الإسلامية أن يــصوبه ويــبين خطــأه وفساده»[2].

والجهل بالإسلام هو مســؤولية المسلمين والإعــلام الإســلامي، فــالجهود الإسلامية في التعريف بالإسلام وبالمجتمعــات الإســلامية في اللغــات الأوروبيــة ضعيفــة، والمادة المتــوفرة عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية مصدرها الاستشراق والإعــلام الغربي، وهــو في معظمه، مصــدر متحيز وغير موضــوعي، ويخــدم أهدافاً غربية.

---

(١) أنا ماري شيميل، الإسلام دين الإنسانية، ترجمة صلاح محجوب، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ٦٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٩- ١٠.

٢- آليات تقديم المعرفة بالإسلام وحضارته ومجتمعاته:

وفيما يتعلق بالتعريف الصحيح بالإسلام وحضارته ومجتمعاته نقترح الآليات والوسائل التالية:

١- تأليف كتب حديثة عن الإسلام، والحضارة الإسلامية، والمجتمعات الإسلامية في اللغات الأوربية الحديثة تقدم الإسلام وحضارته تقديما علميا يتناسب مع طبيعة العقل الغربي في لغة منطقية عقلية، وفي أسلوب علمي مباشر، وبدون التعقيدات الدينية والكلامية التي تتصف بها الكتابات الإسلامية التقليدية، ويجب أن يتوخى المؤلفون الاختصار غير المُخل، واعتماد منهج أو أسلوب المداخل إلى الأديان والحضارات، فيتم تأليف مدخل إلى الإسلام، ومدخل إلى الحضارة الإسلامية، ومدخل إلى المجتمع الإسلامي الحديث والمعاصر، ويمكن أن يقوم على تأليف هذه المداخل هيئة علمية إسلامية متخصصة تسند تأليف هذه المداخل إلى أساتذة مسلمين متخصصين، وعارفين باللغات الأوربية المختلفة. ولتأخذ هذه الهيئة مسمى «هيئة التعريف بالإسلام في الغرب»، وتتبع إحدى المنظمات الإسلامية المعروفة مثل منظمة المؤتمر الإسلامي، أو رابطة العالم الإسلامي، على سبيل المثال.

٢- ترجمة أهم المصادر الإسلامية في الدين، والحضارة، والمجتمع إلى اللغات الأوروبية، ويتم انتقاء هذه المصادر عن طريق هيئة علمية مسؤولة تضع ضوابط للترجمة، وتختار المترجمين، ويستحسن تأسيس مركز إسلامي للترجمة إلى اللغات الأوربية يتبع إحدى المنظمات الإسلامية المعروفة يضع خطة استراتيجية للترجمة من أجل سد الفراغ الكبير في المكتبة الغربية عن الإسلام وحضارته، وتوفير البديل

الإســـلامي لكتب المستشرقين والمنصـــرين، وإحـــداث التوازن في مصادر المعرفة عن الإسلام.

٣- إعداد أفلام تسجيلية توثيقية قصيرة عن الإسلام، والحـــضارة الإســـلامية، والمجتمعات الإسلامية الحديثة يتم إخراجها إخراجاً جيداً يتناسب مع التقدم العلمـــي والتكنولوجي في هذا المجال، وتوزيع هذه الأفلام وعرضها في المناســبات المختلفـــة وبالوسائل المختلفة، والاستفادة من السفارات الإسلامية في عرض هذه الأفلام، وفي تبادلها مع الهيئات الثقافية والإعلامية في البلاد الأوروبيـــة، وعرضـــها في القنـــوات التليفزيونية الأوروبية والأمريكية.

٤- تفعيل دور السفارات الإسلامية والملحقيات الثقافية في الـــبلاد الأوروبيـــة، وتزويد السفارات بالمادة الإعلامية المتنوعة التي تخدم هذا الغرض، ويجـــب تأســـيس مراكز ثقافية ملحقة بالسفارات وتابعة لها لكي تقوم بالمجهود الثقافي المتخـــصص في هذا الشأن كما تفعل المراكز الثقافية الأمريكية، والبريطانية، والفرنسية وغيرهـــا في بلاد العالم، وتقوم بدورها الثقافي كحلقة وصل بين الثقافة الإســـلامية وثقافـــات البلدان الأوروبية المختلفة.

٥- التوظيف الجيـــد لإمـــكانات الجاليات المـــسـلمة في الـــبلاد الغربيـــة، ومساعدتها على التمثيـــل الجيد للإســـلام وثقـــافته ومجتمعاته والاســـتفادة مـــن خبراتهم ومعرفتهم بلغات وثقافـــات البلاد التي يعيشون فيها مع مـــساعدة هـــذه الجاليات على الاندمـــاج الإيجابي في مجتمعاتهم الجديدة، والالتزام بقوانينه، وتجنـــب عزلة المجتمع حتى يتحولوا إلى مواطنين نافعين لوطنهم الجديد، ولأمتهم الإســـلامية في الوقت نفسه.

٦- تيسير تعليم اللغة العربية ولغات البلاد الإسلامية الأخرى في الجامعات الغربية، وفي السفارات، والملحقيات الثقافية، وتشجيع الغربيين على تعلم لغات الشعوب الإسلامية، وتمكينهم من التغلب على حاجز اللغة، وإتاحة الفرصة للباحثين، والمفكرين، والمثقفين للعودة إلى المصادر الأصلية للإسلام وحضارته، ومجتمعاته.

٧- تقوية العلاقات بين المثقفين المسلمين والمثقفين في الغرب من خلال التوسع في العضويات الشرفية لأبرز المفكرين الغربيين في النوادي الأدبية في البلاد العربية والإسلامية، ودعوتهم إلى المؤتمرات والندوات، ومعارض الكتب، والمهرجانات الأدبية والفنية التي تعقد في البلاد الإسلامية، وكذلك المشاركة الإسلامية الفعالة في الأنشطة الغربية المماثلة من مؤتمرات، ومهرجانات فنية وأدبية، ومعارض عالمية للكتب والفنون المختلفة، وتبادل الفرق الفنية.

٨- تشجيع السياحة الثقافية والتاريخية إلى البلاد الإسلامية، وتيسير الرحلات التعليمية لطلاب المدارس والجامعات الغربية لزيارة البلاد الإسلامية، وآثارها الإسلامية، ومعالمها الحديثة حتى يتعرفوا على طبيعة المجتمعات الإسلامية وثقافتها.

٩- التعريف بالفنون الإسلامية المختلفة من خلال المشاركة الفعالة في المناسبات الفنية، والمعارض الفنية، والمهرجانات الدولية على اختلاف أشكالها من أجل التعريف بالفن الإسلامي، وتنمية الوعي بالمنجزات الفنية الإسلامية.

١٠- التعريف بالمنجزات العلمية للحضارة الإسلامية من خلال التأليف والترجمة، والمشاركة في المؤتمرات الدولية العلمية، وتزويد المتاحف العلمية العالمية بنماذج من منجزات المسلمين في مجال العلوم المختلفة.

١١- إنتاج مواد وثائقية متنوعة تعطى أمثلة على التفاعل البناء بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، وتعكس الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية.

١٢- الاستفادة من شبكة المعلومات الدولية في التعريف الصحيح والمنظم بالإسلام وحضارته، وتغذية الشبكة بكل المواد الضرورية والتي تعكس وجهة النظر الإسلامية السليمة وفي لغة علمية مباشرة، وبعيدا عن الجدل وعمليات الدفاع، وذلك بالتركيز على المادة الوصفية الإيجابية والمعلومات المباشرة.

٣- مواجهة عمليات استبعاد الإسلام وحضارته:

وبالنسبة إلى عمليات استبعاد الإسلام والتركيز على أنه دين غريب عن ديانات الغرب، وهي اليهودية والمسيحية، فهي تتطلب جهوداً إسلامية على المستوى الديني والحضاري لإعادة تقديم الإسلام و حضارته إلى الغرب بشكل يؤكد على وجوه القرابة الدينية والحضارية، وإثبات انتماء الإسلام إلى ديانات التوحيد، ومن ثم تحديد علاقته باليهودية والمسيحية تحديداً يؤكد على الصلة العضوية بين الإسلام والديانتين التوحيديتين السابقتين عليه، وتعليل ظهور الإسلام كدين توحيدي في ظل وجود ديانتين توحيديتين سابقتين لأن هذا الأمر غير مفهوم لدى الغربي الذي يتساءل لماذا الإسلام في ظل وجود اليهودية والمسيحية؟ وبسبب هذا التساؤل جرت عمليات الاستبعاد، وفي صور مختلفة، يصل أدناها إلى تقديم الإسلام على أنه دين بدائي ظهر بين العرب الذين يعبدون إلهاً غريباً سموه «الله» ووصفوا هذا الإله بصفات غريبة تبعده عن إله التوحيد المعروف في اليهودية والمسيحية، وقد وصلت عمليات الاستبعاد أحياناً إلى القول بأن المسلمين يعبدون محمداً «صلى الله عليه وسلم»، أو يعبدون الكعبة، أو «الحجر الأسود»، أو غير ذلك من صور الاستبعاد التي

يقصدون منها إلى تصوير الإسلام على أنه دين أجنبي، غريب، وبدائي[1] ويصورون إله الإسلام؛ بأنه إله أجنبـــي غريب وليس هو إله التوحيد كما هـــو معـــروف في ديانات الغرب، ومن أجل مزيد من الاستبعاد تم تطوير مفهوم التـــراث اليهـــودي المسيحي (Judeo – Christian Tradition) الذي يرد تراث الغرب دينياً إلى المصدرين اليهودي المسيحي، ويرد الحضارة الغربية إلى نفس المصدرين بالإضافة إلى المـــصدر اليوناني الروماني.

وباختصار شديد يمكن نقد ومواجهة عملية استبعاد الإسلام من خلال العمـــل العلمي الجاد على المستوى الديني والحضاري لإثبات الصلة العضوية الرابطة دينيا بين الإسلام واليهودية والمسيحية، وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية حـــضارياً، ويمكن أن يتم ذلك من خلال البحوث والدراسات التي تؤكد على ما يلي:

أ- القرابة الدينية بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية، وعـــودة الأديـــان الثلاثة إلى مصدر واحد، واشتراكها في كثير من المعتقـــدات، وتوضـــيح المفـــاهيم الدينية المشـــتركة، وإيمان الإســـلام بالأنبياء الســـابقين، ومعظمهم أنبياء اليهودية والمسيحية، وتوضيح مكانة عيسى، عليه السلام، في الإســـلام، ومكانـــة مريـــم عليها الســـلام، وإيمان المسلمين بكتب الوحي السابقة، وبخاصة التوراة والإنجيل... إلى غير ذلك من المفـــاهيم الدينية التي تؤكد على هـــذه القرابة الدينيـــة، وتظهـــر زيف عمـــلية استبعاد الإســـلام على المستوى الـــديني، وعزلـــه عـــن الـــديانتين التوحيديتين السابقتين.

---

(١) Tom Wallace – Murphy, What Islam did for us, Watkins Publishing, London, 2006, P.216

ويؤكد «ستيفن كبنــز Steven Kepnes» هذه القرابــة الدينيــة بقولــه: إن الإسلام، الدين التوحيدي الثالث، يشارك في هوية مزدوجة في علاقتــه باليهوديــة والمسيحية وبالغرب المسيحي، وهذه الهوية المزدوجة هي أنه (الآخــر) و(المثــل) في نفس الوقت، فاستناداً إلى النص الديني المقدس... يشترك الإســلام مــع اليهوديــة والمسيحية في الإيمان بالإله الواحد، وبخيرية الخلق، وبحلــم الحــساب والــسلام في المستقبل وبالمبدأ الأساسي وهو أن الوحي معطى في كتاب، وكلنا أهل كتاب بهــذا المعنى، وعلى الرغم من اختلاف كتبنا فنحن نشترك في قصص مــشترك، وأنبيــاء مشتركين، ومبادئ واحدة للتفسير»[1].

وينتقل «كبنــز» من القرابة الدينية الإثنية أو العرقية فيقول: «إن الإسلام مــن خلال اسماعيل وهاجر، عليهما السلام، له جذور في سفر التكوين: على الرغم مــن أن الإسلام يُقدم دائماً على أنه الآخر بالنسبة لليهودية والمسيحية، وبالنسبة للمفهوم الخيالي الغريب المسمى بالتراث اليهودي المسيحي، فإن ذكر هاجر وإسماعيل، عليهما السلام، في سفر التكوين هو بمثابة تنبيه لليهود والمسيحيين أن يأخذوا الإسلام مأخذ الجد ليس فقط على أنه يمثل التوحيد، ولكن كتراث له جذور في ســفر التكــوين، وأصله ومصيره متداخل مع إسرائيل (بني إسرائيل) وإذا كان الإسلام له جــذوره في الكتب العبرية المقدسة فإن هذا يعطــى إمكانية جديدة لرؤية الإسلام على أنه تراث لا يتعارض مع التراث التوحيدي اليهودي المسيحي، ولكن حقاً باعتباره جزءاً منه، فمن خلال هاجر وإسماعيل، عليهما السلام، يستعيد الإسلام مكانته كــابن ثالــث لإبراهيم، عليه السلام، وكمرحلة ثالثة في تطور التوحيد، وهذا يعني أيضاً أن لــدينا

---

(١) Steven Kepnes, Islam as our other Islam as our self Iqbal Review, Journal of the Iqbal Academy, Special Issue, Studying the Religions other, ed, by M.S. Umar, Lahore October 2005, P.225

مُبررا في كتب الوحي في اليهودية والمسيحية أن نهتم بالمسلمين ليس كآخرين غرباء، ولكن كأعضاء أسرة فقدناهم منذ وقت طويل داخل هذه الأسرة العظيمة التي كتب عليها أن تكون نوراً للحقيقة، وشفاءً لكل أمم العالم، وهكذا فإن المعنى الأكبر لهذا التأمل العقلي في الأسفار المقدسة هو رؤية ظهور شعور ضمير ديني جديد يعترف بأنه لا يوجد فقط تراث يهودي مسيحي، بل حقيقة وواقع يهودي مسيحي إسلامي»[1].

ومن وجوه القرابة الدينية ظهور اليهودية والمسيحية في نفس المنطقة الجغرافية التي ظهر فيها الإسلام، وأن كلا من اليهودية والمسيحية ديانتان شرقيتان في الأصل، وليس لهما صلة بالغرب من حيث النشأة. وقد وُصفت الديانتان بأنهما غربيتان لأسباب لا علاقة لها بالأصل والنشأة، ولكن باعتبارهما الديانتين الرئيسيتين المنتشرتين في الغرب، وبسبب أن جزءا من تطورهما مرتبط بالغرب، مثل ارتباط البروتستانتية بألمانيا، ونشأة الفرق الدينية الكاثوليكية والبروتستانتية في الغرب.

وكذلك الوضع بالنسبة إلى اليهودية التي توزعت بين الشرق والغرب، وسارت في الغرب مسيرة مختلفة عن مسيرتها في الشرق، فظهرت فيها فرق وحركات دينية غربية النشأة والتطور مثل الحركة الإصلاحية، والحركة المحافظة، وحركة إعادة بناء اليهودية، والحسيدم والقبالا، وكذلك الحركة الصهيونية بمذاهبها المختلفة، والتي تعود جميعها إلى نشأة غربية مرتبطة بأسباب وعوامل غربية.

ب- القرابة الحضارية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. فعلى الرغم من اختلاف الرؤى الحضارية فهناك صلات حضارية قوية قبل تطور الحضارة الغربية الحديثة، ومن بينها التقاء الحضارة الإسلامية بالثقافة اليونانية، ودور المسلمين في

(١) Ibid, P. 226-7

الحفاظ على التراث اليوناني القديم من الضياع من خلال ترجمة معظمه إلى اللغة العربية ودراسته وتحليله، ونقده، والإضافة إليه، ونقل هذا التراث فيما بعد من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة من خلال بيوت الترجمة التي نشأت في ظل الحضارة الإسلامية.

وكانت نقطة الالتقاء الثانية في مسيرة الحضارتين الإسلامية والغربية نشأة حركة ترجمة علوم المسلمين إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة بواسطة المستشرقين، وهي الترجمات التي مكنت الغرب من الاتصال بالعلوم الحديثة آنذاك، وساعدته في بناء نهضته ودخوله في العصر الحديث، وفي هذا الشأن يذكر توم ولاس موري أن «الثقافة الأوربية مدينة بدين عظيم لا يمكن تحديده إلى عالم الإسلام، فقد حافظ العلماء المسلمون على علوم اليونان، ووضعوا الأساس للعلم الحديث والطب، والفلك، والملاحة، وكانوا مصدر الإلهام للعديد من منجزاتنا الثقافية الكبيرة»[1] وتعيش الحضارتان في القرنين الأخيرين مرحلة ثالثة من الالتقاء الحضاري حيث يشعر المسلمون بأنهم في حاجة إلى تحقيق التقدم العلمي وتنمية المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال الاستعانة بعلوم الغرب في العصر الحديث، ويمكن القول أن التاريخ قد أثبت تكامل الحضارتين واتصالهما المستمر، وعلى الرغم من وجود حضارات أخرى قديمة وحديثة فإن تاريخ الحضارة الإنسانية يدور حول معطيات هاتين الحضارتين ومنجزاتهما في التاريخ، وتكاملهما بسبب اتصالهما المباشر، والتقائهما المستمر الذي ساعد عليه الجوار الجغرافي، والاشتراك في أصول الحضارة ومصادرها بداية من حضارات الشرق الأدنى القديم، والحضارة اليونانية والرومانية، ونهاية بالحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية الحديثة.

---

(١) Tom Wallace – Murphy, P. 215

وتؤكد هذه القرابة الحضارية أن عملية استبعاد الحضارة الإسلامية وعزلها عن حضارة الغرب لا تتفق أبداً مع تاريخ الحضارة الغربية، وتاريخ الحضارة الإسلامية، وهي تبتعد عن المنطق التاريخي حين يتم إهمال المرحلة الإسلامية في تاريخ الحضارة الإنسانية، وبخاصة في تاريخ الحضارة الغربية حيث يميل المؤرخون للحضارة الغربية إلى القفز مباشرة من المرحلة اليونانية إلى المرحلة الأوروبية الحديثة في تجاهل تام للمرحلة الإسلامية بدعوى أن المسلمين كانوا مجرد نقلة للتراث اليوناني الذي سلموه للغرب، وكأن بضاعة الغرب رُدَّت إليه، وهو حكم ظالم، وغير موضوعي، ومتحيز تماما للغرب وحضارته.

وقد اعترف بعض علماء الغرب المعتدلين بهذه القرابة الحضارية. ومن بينهم «توم ولاس مورفي» الذي يقول: «إننا في الغرب مدينون للعالم الإسلامي دَيْناً لا يمكن الوفاء به، وعلى الرغم من جذورنا الدينية والروحية المشتركة، فقد رددنا دَيْن المسلمين من خلال قرون من عدم الثقة، ومن خلال وحشية الحروب الصليبية، واحتلال استعماري تمت إدارته في حالة من عدم الاكتراث واللامبالاة في مواجهة احتياجات الشعوب التي قمنا باستغلالها»[1].

---

(١) Tom Wallace - Murphy, Ibid, P.215

الفصل الخامس

وسائل بناء ثقافة الحوار

لاشك في أن الثقافة الإسلامية في أساسها ثقافة حوار، فقد استندت في تكوينها على مبادئ العالمية، والإنسانية، والأخوة، وعلى أسس من العقلانية، وحرية التعبير عن الرأي، وحرية الاعتقاد. والاعتراف بالتعددية، وبحق الاختلاف الديني والثقافي[1]. وكل هذه المبادئ والأسس المهمة في تكوين ثقافة الحوار مستمدة في الأصل من الكتاب والسنة، ومتأصلة في طبيعة الإسلام وحضارته.

وفي العصر الحديث دخل العالم الإسلامي في مرحلة من التدهور السياسي، وما تبعه من تدهور ديني وثقافي، انتهى إلى حالة من التخلف في مجالات الأنشطة الإنسانية المختلفة أصابت من بين ما أصابت الأوضاع العلمية والثقافية للمسلمين، وأصابت ثقافة الحوار ببعض الانغلاق، والتشدد، والتزمت.

ومن أهم أسباب هذا التغير في ثقافة المسلمين، وقوع البلاد الإسلامية تحت سيادة الاستعمار الغربي، وتحت سيطرة الغزو الفكري الغربي الذي شوه الثقافة الإسلامية، وعرضها لكل السلبيات التي أصابتها؛ ومن بينها الانغلاق، وعدم الانفتاح على الآخر، وسيادة ثقافة التشدد والتزمت والتعصب، وعدم التسامح، وقد انعكست كل هذه السلبيات على لغة الخطاب، وبخاصة الخطاب الموجه إلى (الآخر)، فأصبح خطاباً دفاعياً جدلياً اعتذارياً، وابتعد عن لغة الحوار التي كانت سمة أساسية في لغة الخطاب الإسلامي.

---

(١) محمد فاروق نبهان، التصور الإسلامي لمنهجية حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

المبحث الأول: الوسائل السياسية والتعليمية والتربوية

أولاً: الوسائل السياسية:

تعتبر السياسة مدخلاً مهماً لبناء ثقافة الحوار في العالم الإسلامي. فمن خلال السياسة يتم تغيير الأوضاع الثقافية التي تمهد لثقافة الحوار، وتعطى للحوار قيمة إيجابية في حياة المسلمين، وتؤدى إلى تفعيل الحوار كأسلوب حياة، ولاشك في أن الأوضاع السياسية في بعض بلدان العالم الإسلامي أوضاع متردية ومؤثرة في كل مجالات الأنشطة الإنسانية الأخرى، ونعتقد أنه إذا ما تم تصحيح هذه الأوضاع السياسية سيتغير السلوك الإسلامي على المستويات الاجتماعية، والدينية، والثقافية. فالسياسة مدخل أساسي لإصلاح أوضاع المسلمين، وتطوير علاقاتهم داخلياً وخارجياً بحيث يصبح الاتصال بالآخر الداخلي والخارجي اتصالاً طبيعياً، ويصبح الحوار أداة هذا الاتصال الطبيعي.

ومن أهم الأمور المطلوبة على المستوى السياسي من أجل تنمية ثقافة الحوار تحقيق الإصلاح السياسي العام، وإحياء الشورى كمبدأ سياسي في الحكم، والأخذ بالديمقراطية الحديثة، وتنمية الوعي الديموقراطي لدى الشعوب الإسلامية، وبناء المؤسسات الديموقراطية، وتوعية المواطنين بحقوقهم وواجباتهم، وبناء المواطن المسلم العارف بالحقوق والواجبات، وتطوير العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس من الشورى والديمقراطية، وتكوين رؤية سياسية إيجابية تجاه غير المسلم في المجتمعات الإسلامية، وتعريف المسلمين بحقوق غير المسلمين، وتنمية الوعي بالاختلاف وقيمة الرأي والرأي الآخر، وبناء المجتمع سياسياً حول حرية الرأي وحرية الاعتقاد، وحق الاختلاف السياسي والديني والثقافي.

هذه القاعدة السياسية تمثل الركن الأساسي في بناء ثقافة الحوار، وفى بناء علاقة إيجابية مع (الآخر) الداخلي و(الآخر) الخارجي، وفى بناء الذات، وعلاقة هذه (الذات) بـ(الآخر) على اختلاف انتمائه السياسي والديني والثقافي.

وعلى المستوى السياسي الدولي يجب إشاعة الإيمان الحقيقي بالتنوع والتعددية السياسية في المجال الدولي بدلاً من الهيمنة والانفراد، واستبعاد الآخرين كترجمة أمينة لحقيقة التنوع الإنساني، وللمساواة في الحقوق بين جميع الأفراد والشعوب، كما يجب أيضاً تثبيت مبدأ العدل في العلاقات الداخلية والخارجية من أجل تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي[١].

ثانياً: الوسائل التعليمية والتربوية:

يحتل التعليم والتربية مكاناً أساسياً في بناء ثقافة الحوار، وتحويلها إلى أسلوب حياة ومنهج باعتبار أن التعليم هدفه بناء الإنسان، وأن التربية هدفها بناء الشخصية الإنسانية منذ الصغر وخلال مراحل التعليم المختلفة من خلال اعتماد ثقافة الحوار في مناهج الدراسة، وفى الكتب المدرسية، وفى طرق التعليم.

والمجهود المطلوب في مجال التعليم والتربية يجب أن يتم على مستويين، المستوى الأول يتعلق بطرق التعليم التي يجب أن تتحول من طرق تقوم على أساس التلقين إلى طرق تعتمد على الفهم، وطرح التساؤلات، والمناقشة، وإبداء الرأي، والتدريب على الاختلاف في الرأي، وآداب الاختلاف، وتعتمد على الحوار بين الأستاذ والطالب، وبين الطالب والطالب بحيث تتحول العملية التعليمية إلى عملية حوارية تشجع الحوار العلمي، وإبداء الرأي، وتبني ثقافة الحوار في مجال التربية والتعليم.

---

(١) محمد السماك، حوار الحضارات في المنتديات العربية، مجلة الاجتهاد، العددان ٥٢- ٥٣، السنة ١٣، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بيروت، ص٧.

والمستوى الثاني يختص بالمحتوى التعليمي الذي يحتاج إلى إعادة نظر بحيث يتناسب مع حركة العلم والتقدم العالمي، ويتخلص في الوقت نفسه من المضامين التي تؤدى إلى الانغلاق على الذات، والمطلوب أيضاً إعادة النظر في الكتب الدراسية وتنقيتها من كل مظاهر التعريض غير الموضوعي بالثقافات والأديان الأخرى، وتقديم صورة إيجابية وموضوعية عن الآخر في البرامج التعليمية، والتخلص من كل ما يشوه صورة (الآخر)، أو يثير روح العداء والكراهية تجاهها، وضرورة الترويج لثقافة الحوار، وإشاعة روح التسامح، وقبول الاختلاف والتعددية الثقافية والدينية[1].

وتحتاج المناهج التعليمية والطرق التربوية إلى تعديلات جوهرية لكي يتحقق هدف بناء ثقافة الحوار، ومن أهم هذه التعديلات:

- استحداث مناهج دراسية تعالج الحضارات الإنسانية والثقافات المتنوعة بصورة إيجابية توضح فوائد الاتصال الحضاري والثقافي بين الشعوب، وتقدم في نفس الوقت المعرفة الضرورية بالثقافات الأخرى، وتحدد علاقة ثقافة البلد الخاصة بالثقافات الأخرى، مع التركيز على نقاط الالتقاء، ونماذج استفادة الحضارات من بعضها البعض حتى يتكون لدى الطالب الشعور الإيجابي نحو كل الحضارات الإنسانية، وهو شعور ضروري في بناء ثقافة الحوار.

- التوسع في الدراسات الحضارية المقارنة، وبخاصة في المرحلة الجامعية، وتخصيص مناهج خاصة بحوار الحضارات، والثقافات، والأديان.

- تربية النشء على احترام الحضارات والثقافات الأخرى، وتنمية حب الاستطلاع تجاه معرفة هذه الحضارات والثقافات.

---

(١) محمد السماك. مرجع سابق، ص٨.

- تشجيع التبادل العلمي والثقافي مع الجامعات والمؤسسات الأجنبية كوسيلة من وسائل بناء ثقافة الحوار، وتشجيع الرحلات والزيارات الميدانية لمناطق الحضارات الإنسانية للتعرف على أساليب الحياة المختلفة، وتقاليد الشعوب وعاداتها، والتعرف على نقاط التقاء الحضارات.

- بناء فلسفة تربوية واجتماعية لبناء الشخصية المسلمة، وتأهيلها للاندماج في محيطها الوطني والعالمي، والتكيف مع مختلف المعطيات المتجددة للعصر وقبوله للتجدد، والتنوع، والاختلاف[1].

- التدريب على نقد الصور النمطية التي تنشأ حول الثقافات الأجنبية، ودراسة سبل تغيير هذه الصور النمطية وتصحيحها من خلال المعرفة العلمية الحديثة والسليمة.

- التدريب العملي على ثقافة الحوار من خلال العملية التعليمية وطرق التدريس، وتشجيع الرأي والرأي الآخر، والتدريب على النقد واختلاف الرأي.

- تشجيع تعليم اللغات الأجنبية باعتبارها مفتاحاً لمعرفة الثقافات الأخرى، والتوسع في فتح أقسام اللغات الأجنبية في الجامعات.

والجدير بالذكر أن هذه الوسائل التعليمية والتربية يجب أن تتم على المستوى الدولي وذلك من خلال هيئة أو مؤسسة تعليمية وتربوية دولية مسؤولة عن مراجعة المناهج الدراسية، وتخليصها من كل المحتويات التي تشوه صورة (الآخر) وصور الحضارات والأديان الأخرى، ومثل هذه المهمة يجب أن تقوم بها مؤسسة اليونسكو على المستوى الدولي، ومؤسسة الإيسيسكو على المستوى العربي والإسلامي.

---

(١) مصطفى محسن، التربية ومهام التنمية والتحديث في عالم متغير: تحديات ورهانات في زمن العولمة، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، السنة ١٠، فترى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ربيع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٦٨.

المبحث الثاني: الوسائل الثقافية والاجتماعية والدينية

أولاً: الوسائل الثقافية:

لا يوجد شك في أهمية الثقافة في تنمية ثقافة الحوار، فالإنسان تُبنى شخصيته من خلال التعليم والتربية، والثقافة؛ ولأن الثقافة تستمر مع الإنسان، من بداية حياته إلى نهايتها فدورها مهم ومتواصل في حياة الإنسان، ويتجاوز حدود التعليم الذي ينتهي عند مرحلة تعليمية معينة. فالثقافة تعليم وتربية متواصلة على المستوى الفردي، وبدون حدود زمانية أو مكانية، وبدون حدود للمحتوى الثقافي نفسه والذي يغطي كل مجالات الثقافة الإنسانية.

وفضلا عن التثقيف الذاتي من الممكن تثقيف الشعوب من خلال المؤسسات الثقافية المحلية، والإقليمية، والدولية التي تنشر القيم الثقافية، وتبث الوعي الثقافي بالشعوب الأخرى، وتنمي الحوار الثقافي المتبادل، وتدعم ثقافة الحوار[١].

وأول الجهود الثقافية المطلوبة التعريف بالثقافات الأخرى، وتنمية العلاقات الثقافية بين الشعوب، وتحقيق التبادل الثقافي من خلال الوسائل المعروفة مثل عقد المؤتمرات والندوات، وإقامة المهرجانات الثقافية، والاحتفالات الأدبية والفنية، وعقد الأسابيع الثقافية، وتشجيع الزيارات والرحلات العلمية والثقافية.

---

(١) اهتمت المؤسسات الثقافية الدولية بثقافة التسامح وتم إعلان المبادئ حول التسامح عن اليونسكو عام ١٩٩٥م يطالب باحترام التنوع الثقافي والاعتراف بالحريات الأساسية للآخر، انظر: إبراهيم أعراب، التسامح وإشكالية المرجعية في الخطاب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٤، مركز دراسات الوحدة العربية، لندن، أكتوبر ١٩٩٧م، ص ٤٨، ٤٩.

ويمكن للمراكز الثقافية الأجنبية في كل البلاد أن تعرف شعوبها ثقافياً من خلال كل هذه الأنشطة فضلا عن قيامها بتعليم لغاتها والثقافات والآداب المرتبطة بها من خلال الأنشطة الثقافية المختلفة.

ويضاف إلى هذا كله السياحة الثقافية، والدينية، والأثرية التي تعتبر مصدراً ثقافياً مباشراً يساعد على تغيير الصور النمطية عن الشعوب، ويصحح هذه الصورة.

كما يمكن لأبناء الأقليات في البلاد المختلفة أن يقدموا نماذج لثقافتهم، وخلق جو من التفاهم والتواصل الثقافي مع ثقافات البلاد التي يعيشون فيها، وتحقيق نوع من الاندماج الثقافي السليم الذي لا يعرض الهوية الثقافية للضياع، ويسمح للثقافات المتنوعة بالتواصل البناء، وتحقيق الفهم الثقافي المتبادل.

كل هذه الوسائل تساعد على بناء ثقافة الحوار، فالتنوع الثقافي يدفع إلى التعارف الثقافي، ويساعد على توسيع الدائرة الثقافية للإنسان، ويخلق الحوار كلغة تخاطب في ظل الاختلاف والتنوع الثقافي، ويؤدى إلى تصحيح الصور الثقافية النمطية، وتنمية الوعي الثقافي بـ(الآخر) وحقوقه الثقافية، وتؤدى ثقافة الحوار إلى تغيير الخطاب الثقافي وتجديده، وتنقية الثقافة القائمة من كل عوامل التحيز الثقافي، وهو أمر مطلوب، وفى غاية الأهمية؛ وبخاصة فيما يتعلق بالثقافة الشعبية، أو الموروث الثقافي المحمل بكل عناصر التحيز المسيئة إلى (الآخر) وثقافته.

ثانياً: الوسائل الاجتماعية:

لاشك في أهمية التعليم والتربية والثقافة في تغيير المجتمع وتحقيق تنميته الشاملة، وتطوير علاقاته مع المجتمعات الأخرى، وهناك دور آخر منوط بالمؤسسات الاجتماعية في إحداث هذا التغيير، ومن أهم هذه المؤسسات مؤسسة الأسرة المسئولة مباشرة عن تربية النشء والأجيال، وتحميلهم بالقيم والمبادئ التي يتعاملون بها داخل الأسرة وخارجها. فالأسرة تقف إلى جانب المدرسة كمصدر أساسي للقيم، وهي القادرة على بناء الشخصية، وتشكيلها، والتأثير عليها في علاقاتها الخاصة والعامة.

وبناء ثقافة الحوار تبدأ من الأسرة، وتقوم المدرسة بتنظيمها، وتهذيبها، وتغذيتها بالمعرفة والعلم الضروريين، وبلا شك، الإنسان ابن بيئته الاجتماعية، وينشأ على ما تلقنه إياه الأسرة بخلفيتها الاجتماعية والثقافية، ولذلك من المهم تنمية الوعي الاجتماعي لدى الأسرة المسلمة بأهمية الحوار كأسلوب للعلاقات الأسرية مع ضمان الالتزام بالاحترام المتبادل داخل الأسرة، والسماح بمساحة من التعبير عن الرأي، وتربية الأبناء والبنات على حرية التعبير في ضوء الضوابط الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، وفى ظل المحافظة على العلاقات الأسرية السليمة بين الآباء والأبناء، وبين الأبناء مع بعضهم البعض بحيث لا يكون هناك إفراط أو تفريط في حرية الرأي والتعبير داخل الأسرة.

ويجب أن تتضامن المدرسة مع الأسرة في تكوين الشخصية السليمة للنشء بحيث يصبح قادراً على التعبير الحر السليم مع الحفاظ على قيم المجتمع ومبادئه، والحقيقة أن المجتمعات الإسلامية تحتاج إلى إعادة النظر في أسلوب تربية النشء في الأسرة وفى المدرسة، لأن الأساليب التقليدية الحالية في التربية والتعليم لا تربى في الشخصية الإنسانية القدرة السليمة على إبداء الرأي بسبب طبيعة التربية الأسرية وطبيعة التربية التعليمية التي تصر على المطالبة بالطاعة المطلقة للسلطة الأسرية، أو المدرسية،

وفيما بعد للسلطة السياسية، والنتيجة النهائية تكوين شخصية غير سوية اجتماعيـــاً، وغير قادرة على التعبير عن الرأي، وسلبية في علاقاهَا بالآخرين.

إن بناء ثقافة الحوار تبدأ من الأسرة التي يجب عليها أن تربي أبناءها على حريـــة التعبير في ضوء الضوابط المعروفة، وتعوِّد أبناءها على الحوار الداخلي داخل الأســـرة كضرورة وتدريب لها على الحوار الخارجي الذي يتسع لكي يشمل الحوار مع العالم كله، وبدون هذا التأسيس الأسري لثقافة الحوار يصعب بناء الشخصية الإنسانية في علاقاهَا المتشعبة بـــ(الذات) وبـــ(الآخر) داخل الأسرة وخارجها.

ثالثاً: الوسائل الدينية:

من أهم الوسائل الدينية الضرورية لبناء ثقافة الحوار:

- تصحيح الصورة المشوهة عن علاقة المسلم بغير المسلم، وإعادة رسم هـــذه العلاقة حسب القرآن الكريم والسنة النبوية، ودحض ما تطور من صور مغلوطة عن هذه العلاقة بتأثير من الظروف السياسية، والتغيرات الثقافية والاجتماعية التي مـــرت بها المجتمعات الإسلامية، ونشأة جماعات تنتمي إلى العالم الإسلامي تأخذ بـــسياسة التطرف الديني، والعنف السياسي والعسكري، وتشوه الصورة العامـــة الـــصحيحة للإسلام والمسلمين.

- تطوير الخطاب الديني الإسلامي الموجّه إلى غير المـــسلمين داخـــل العـــالم الإسلامي وخارجه، وتنقية هذا الخطاب من كل ما يحتوي عليه من أفكار تحض على العداء والكراهية، والتعصب والتطرف، وربط الخطاب الديني لغير المسلمين بالخطاب الدعوي القائم على أساس من التسامح الديني والأخـــوة الإنـــسانية، والـــداعي إلى التعارف والتقارب على الرغم من الاختلاف الديني[1].

---

(1) Hassan ko Nakata, The Border of Salvation, The Salvation of Non-Muslims in Islam in Jismer (Journal of the Interdisciplinary Study of Monotheistic Religions, Doshisha unir. Kyoto, Japan, 2002, P.58/69

- تطوير الخطاب الديني الداخلي الموجه إلى المسلمين بتحويله إلى خطاب عقلاني حديث يأخذ بأسباب العلم، ويدعو إلى الاستنارة، ويدفع بالمسلمين إلى التقدم العلمي والتكنولوجي، ويتناسب مع العصر وقضاياه، ويقوم على أساس من التسامح الديني، ونبذ التعصب المذهبي، ويقرب من المسلمين على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم، ويشجع الاعتدال الديني. ويتطلب ذلك أيضاً تطوير أساليب الوعظ، والإرشاد، ووسائل التوعية الدينية لتناسب شخصية المسلم في القرن الحادي والعشرين.

- نشر ثقافة الحوار من خلال الاعتراف بحق الاختلاف الديني، وقبول التعددية الدينية، وتشجيع الرأي والرأي الآخر، والأخذ بمبادئ حرية الاعتقاد وممارسة العبادات.

- تشجيع كل أشكال الحوار الديني الداخلي بين المسلمين، والخارجي بين المسلمين وغير المسلمين، والتدريب على أساليب الحوار، وتحقيق الاتصال الديني عبر الحوار.

- نشر تعاليم الإسلام الصحيحة في التعامل مع غير المسلمين، والإعلاء من مبادئ وحدة الأصل الإنساني، ووحدة الإنسانية، ومبادئ التعايش.

- التعريف بحقوق الأقليات داخل المجتمعات الإسلامية والحفاظ عليها، والدفاع عن حقوق الأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية، وتوجيه الأقليات المسلمة إلى احترام ثقافات البلاد التي يعيشون فيها، وتحقيق الاندماج الإيجابي في مجتمعاتهم مع المحافظة على هويتهم الدينية والحضارية.

الفصل السادس

ثمرات الحوار في مجالات الدعوة والإعلام والتربية والثقافة

اتخذ الإسلام من الحوار قاعدة عقلية للتعامل بين الناس في كل مجالات الأنشطة الإنسانية، وبروز الحوار كأداة للتعامل مرتبط بعقلانية الإسلام، وبكونه دين العقل، وبكونه أيضاً ثورة عقلية على أنماط الفكر الديني السابق على ظهور الإسلام. وقد التزم الإسلام ديناً وحضارة بمعطيات العقل السليم والفطرة السليمة، وطالب المسلم بالتدبر، والتأمل والتفكر، والتعقل من أجل الوصول إلى حقائق الدين، ومن أهمها حقيقة الألوهية. وتميز الدين الإسلامي باعتماده على الوحي والعقل كمصدرين أساسيين للمعرفة الدينية، وقضى بعدم تناقض الوحي والعقل، وطالب بضرورة التوسع في استخدام العقل في فهم الوحي وتفسيره، وفي بناء الحياة العقلية والمادية للمسلمين، وفي بناء الحضارة الإسلامية على أسس من مبادئ الدين الإسلامي، ومعطيات العقل البشري تحقيقاً لخاصية الإسلام كدين ودنيا، وعملاً بتحقيق التوازن الإسلامي المطلوب بين أمور الدين والدنيا.

الحوار إذن هو نتيجة طبيعية لهذه العقلانية التي اتصف بها الإسلام، واعتمد عليها في الدعوة اعتماداً أساسياً التزاماً بقاعدة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ وأصبح الحوار أساس التعامل الإسلامي في كل مجالات الحياة الإسلامية، وبخاصة في مجالات الدعوة، والإعلام والتربية، والثقافة. وكان للحوار ثمراته النافعة في حياة المسلمين، وفي تشكيل الثقافة الإسلامية، وفي بناء النظام التربوي الإسلامي. كما أن ثمراته في مجال الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي عظيمة وكثيرة. وفيما يلي عرض لبعض ثمرات الحوار في المجالات المذكورة.

المبحث الأول

ثمرات الحوار في مجال الدعوة الإسلامية والإعلام

اعتمد القرآن الكريم الحوار كوسيلة أولى وأساسية في الدعوة إلى الإسلام: ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥) وكذلك قوله: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (العنكبوت:٤٦) وبنيت الدعوة على أساس من حرية التدين والاعتراف بالتعددية الدينية وحق الاختلاف الديني: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦) وكذلك قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة:٢٥٦)

وكنتيجة لهذا الأساس الحواري والعقلي للدعوة نجح المسلمون في نشر الإسلام في بلدان العالم القديم خارج شبه الجزيرة العربية، وامتد الإسلام في أقصر مدة ممكنة من المحيط الأطلسي غرباً إلى الصين شرقاً، ويمكن تلخيص ثمرات الحوار في مجال الدعوة فيما يلي:

أولاً: نشر الإسلام:

انتشر الإسلام في كل قارات العالم القديم عن طريق الدعوة القائمة على أساس من الحوار الديني، وكان انتشار الإسلام واسعاً في آسيا وأفريقيا. وقد تحولتا بالتقريب إلى قارتين مسلمتين، وهما تمثلان العالم القديم زمن ظهور الإسلام قبل الكشف عن العالم الجديد في الأمريكتين واستراليا. وقد انتشر الإسلام قديماً في أجزاء كثيرة من

القارة الأوروبية، وكان له وجود مؤثر في الجنوب الأوربي، وبخاصة في الأندلس، وفي جزر حوض البحر الأبيض المتوسط، ولا يزال للإسلام وجوده في بعض البلدان الأوربية مثل البوسنة، والهرسك، والجمهوريات الإسلامية، وله أيضاً أقلياته الكبيرة في معظم البلدان الأوربية، وفي الوقت الحالي هناك وجود إسلامي قوي في بعض البلاد الأوروبية مثل بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا بالإضافة إلى وجود القوي في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا.

ودور الحوار في نشر الإسلام دور عظيم وأساسي، وبدون الحوار لا يمكن أن نتصور هذا الانتشار السريع للإسلام في بلدان العالم القديم، وحديثا في بعض البلاد الأوربية، والآسيوية، والإفريقية، ويجب أن نذكر هنا أن الفتوحات الإسلامية لم يكن هدفها إجبار الناس على الدخول في الإسلام، ولكن هدفها الأساسي إزالة ما يحول بين الناس وهذا الدين من سلطة غاشمة تمنع وصول الإسلام كمعرفة دينية إلى من يريدون معرفته.

ولا يزال الإسلام ينتشر في العالم عن طريق الحوار، وبخاصة في العصر الحديث الذي يوصف بعصر العقل، والحرية، والديمقراطية، وكلها صفات تجعل الحوار الوسيلة الوحيدة المقبولة في تقديم الأديان، والتعريف بها، والدعوة إليها، ويعد الإسلام أكثر الأديان انتشاراً في العصر الحديث بسبب عقلانيته من ناحية، واعتماد المسلمين على مبدأ الإقناع العقلي عن طريق الحوار في تقديمه من ناحية ثانية.

ثانياً: إعلان الفاتيكان وتحسين العلاقات مع الإسلام والمسلمين:

من ثمرات الحوار أيضاً تحسين العلاقات الدينية الإسلامية مع أهل الأديان والحضارات الأخرى، وقد تطورت هذه العلاقات في العصر الحديث من خلال عشرات لجان الحوار الإسلامي مع الأديان الأخرى، ومن أهمها لجان الحوار بين

المؤسسات الإسلامية والفاتيكان، والذي كان من ثماره المهمة إعلان الفاتيكان في عام ١٩٦٤م، والخاص بتطوير العلاقات الدينية بين المسيحية والإسلام من بين جهود الفاتيكان لتطوير علاقات المسيحية بالأديان الأخرى، وقد أتى إعلان الفاتيكان إيجابيا في موقفه من الإسلام، ولأول مرة في تاريخ المسيحية الحديث، فقد مهَّد الإعلان لتقديم الإسلام إلى الوجدان المسيحي المتأثر بخلفية الصراع الطويل بين المسيحيين والمسلمين بداية من ظهور الإسلام والحروب الصليبية، والاستعمار الغربي الحديث لبلاد المسلمين، فكان من الضروري أن يبحث الفاتيكان عن مدخل لتبرير العلاقات الجديدة مع المسلمين، وعلى أسس دينية تتحاشى خلفيات الصراع التاريخية، والسياسية، والعسكرية.

لقد كان حوار الفاتيكان مع الإسلام ممثلا من خلال بعض مؤسساته الكبرى مثل الأزهر- نقطه انطلاق عظيمة في تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية، وثمرة عظيمة من ثمرات الجهود الجادة الساعية إلى وضع أسس جديدة لهذه العلاقات تقوم على الاحترام المتبادل، والاعتراف بدور الأديان - إذا تعاونت- في حل كثير من القضايا الإنسانية، وفي حماية نفسها من الأخطار المشتركة، ونذكر مثالاً على هذا الدور الذي لعبه الإسلام والفاتيكان في مواجهة المد الشيوعي في العالم، وهو دور عادة ما يرده السياسيون إلى الجهود السياسية للغرب الرأسمالي، ولكن الحقيقة التاريخية تشير إلى دور عظيم للإسلام والفاتيكان في نقد الشيوعية ومواجهتها المواجهة الدينية اللازمة التي ساعدت في تحللها وسقوطها. ويؤكد هذا الكم الهائل من الكتابات الدينية الناقدة للشيوعية، والتي ألفها علماء مسلمون ومسيحيون، فقد كانت الشيوعية باتجاهها اللاديني خطراً مشتركاً على المسيحية والإسلام.

وبدون ترتيب أو اتفاق مسبق بين أهل الدينين انبري علماء الـــدين ينقـــدون الشيوعية نقداً دينياً حاداً منعها من الانتشار الكبير خارج حدودها، ثم هاجمها داخل حدودها حتى سقطت كأيديولوجية مهددة للدين وللأديان بسقوط الاتحاد السوفيتي سقوطاً سياسياً، وأيديولوجياً، وقد كسبت المسيحية، وكسب الإسلام كثيراً مـــن سقوط الشيوعية، وذلك بعودة دول بكاملها إلى الديانتين، وبعودة مـــــلايين مـــن البشر اضطروا إلى التخلي عن دينهم بالقوة تحت بطش القوة الحديديـــة للـــشيوعية، كما ضعف التمسك بالشيـــوعية كأيديولوجية في بـــلاد المـــسلمين وفي الـــبلاد المسيحية، وسقطت معظم الأحزاب الشيوعية الـــتي تأســـست في الـــبلاد الغربيـــة الرأسمالية، وفي العديد من البلاد الإسلامية التي سارت خلـــف الاتحـــاد الـــسوفيتي، وارتبطت به أيديولوجياً.

ومن ثمرات الحوار حصول المسلمين على اعتراف فاتيكاني بالإســـلام كـــدين مستقل عن المسيحية[1] بعد أن كان الاتجاه العام في الغـــرب المـــسيحي النظـــر إلى الإسلام النظرة التي ثبتها الاستشراق، وهي أن الإسلام لا يمثل ديناً مستقلاً، بل هـــو تشويه لليهودية وللمسيحية، وتم وصف الإسلام داخل هذا الإطار على أنه مجرد فرقة يهودية، أو مسيحية ماردة، أو مجرد هرطقة مسيحية أو يهودية، وفي أحسن الأحوال وصف الإسلام على أنه يهودية أو مسيحية مشوهة للأصل لكي تناســـب الطبيعـــة العربية، ووصف القرآن نفسه بأنه «توراة العرب» أو «إنجيل العرب» دلالة علـــى صلته المشوهة باليهودية والمسيحية.

---

(١) الشيخ يوسف القرضاوي، الحوار الإسلامي المسيحي، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٦، السنة ٢٢، ديـسمبر ١٩٩٧م، رمضان ١٤١٨هـ، القاهرة، ص ١٥٥.

فكان من ثمرات الحــوار مع الفــاتيكان صدور هــذا الإعــلان (١٩٦٤م) المؤسس لعلاقات جديدة تقوم على الاعتراف باستقلالية الإســلام عــن اليهوديــة والمسيحية مع التأكيد على وجــود عــلاقات دينية تــربط الإســلام بالــديانتين السابقتين عليه من خلال ما سماه الفاتيكان بالمشاركة في تراث إبراهيم عليه الــسلام أو «الإرث الإبراهيمي- Abrahamic Tradition». وقد نوّه إعــلان الفاتيكــان إلى القرابة الدينية بين الإسلام، والمسيحية، واليهودية، والتــشابه الموجــود في العقائــد وبخاصة التوحيد، والارتكاز إلى الوحي والنبوة، والإيمان بمعظم الأنبيــاء، علــيهم السلام، وفي معتقدات ما بعد الموت مثل الإيمان بالبعث، وبالثواب، والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من العقائد والمفاهيم الدينية، وأشار إعلان الفاتيكــان أيــضاً إلى وضع عيسى، عليه السلام، في الإسلام، مقراً أن المسلمين لا يؤمنون بإلوهية عيسى، عليه السلام، ولكنهم يقبلونه كنبي ورسول، ويؤمنون به ويجلّونه ويعترفون بمعجزاته، وأشار أيضاً إلى مكانة مريم، عليها السلام، في القرآن الكريم ودفاع القرآن الكــريم عنها ضد افتراءات اليهود واتهاماتهم لها، وهكذا تم تحديد علاقة الإســلام بــالتراث الإبراهيمي «وبالمسيحية تحديداً جديداً يؤكد على استقلالية الإسلام، وعلى القرابــة الدينية، والتشابه في المعتقدات والمفاهيم، والاشتراك في تراث إبراهيم، عليه السلام، من ناحية أخرى»[١].

وقد تواصــل الحــوار المسيــحي الإســلامي من خــلال الفاتيكان، واتسع فيما بعد لكي يضم كل المذاهب المسيحية الأخرى، والتي أسست لجانــاً للحــوار المسيحي الإسلامي شبيهة بلجنة الحوار مع الفاتيكان، وقد شهد النصف الثاني مــن القرن العشــرين – وبخــاصة بعد إعلان الفاتيكان في بداية الستينيات – نــشاطاً

(١) محمد أركال، مرجع سابق، ص ٤٥٤.

دينياً عظيماً في مجـال الحوار المسيـحي الإسـلامي، وكان له تأثير كبير في فـتح باب الحوار الديني مع كل أديان العالم بحيث يمكن القول أن من بين أهـم ثمـرات الحوار هذا التقـارب الـكبير الذي تـم بين الأديان، وتـمثل في لجان الحـوار المتعددة التي نشـأت بين الأديان المختلفة، ومؤتمرات حوار الأديان الـتي عقـدت لتحقيق الفهم والتفاهم بين الأديان، واعتماد الحوار كوسيلة ربط لتنمية العلاقـات الدينية بين الشعوب.

ثالثاً: ثمرات أخرى للحوار في مجال الدعوة:

ومن ثمرات الحوار الأخرى في مجال الدعوة ما يلي:

١- ساعد الحوار على سرعة انتشار الإسلام في العالم قديماً وحديثاً. ومن خلاله تم الحفاظ على مبادئ الإسلام الأساسية في الدعوة، وأهمها مبدأ التسامح الـديني، ونبذ التعصب، وعدم الإكراه على الدخول في الإسلام، ومبدأ حرية التدين، وحـق الاختلاف الديني والثقافي، والحفاظ على قاعدة الاقتناع العقلي في تقديم الإسلام إلى غير المسلمين.

٢- ساعد الحوار على تحقيق التوازن المطلوب بين القول بعالمية الإسلام وبـين الاعتراف بالأديان الأخرى بحيث أصبح لا يوجد تناقض بين الأمرين، فعالمية الإسلام تتطلب ضرورة العمل على نشره باعتبـار ديناً عالمياً صـالحاً للبشرية كلها، وهذا لا يعني، في نفس الوقت، إجبار الآخرين على الدخول فيه، إنما الدخول معهـم في حوار حر يهدف إلى التعريف بالإسلام وتقديمه إلى غير المسلمين بصرف النظر عـن نتيجة هذا الحوار من حيث الدخول في الإسلام عن اقتناع، أو عدم الدخول فيـه، فحرية الدين مكفولة في الحالتين.

٣- ساعد الحوار على دعم بعض المبادئ الأساسية التي تتحكم في علاقة المسلمين بغير المسلمين، وتوجه الدعوة الوجهة الصحيحة في التعامل مع الآخرين، ومن أهم هذه المبادئ وحدة البشرية، وعودتها إلى أصل واحد، والاشتراك في الإنسانية، والاعتراف بـ(الآخر) وإنسانيته ومراعاة حقوقه، وحقه في الاختلاف، والإقرار بحرية العقيدة، وترسيخ الاحترام المتبادل بين الأديان، وإظهار القيم المشتركة بين هذه الأديان بما يحقق خير الإنسانية وسعادتها، وإقرار مبدأ المساواة بين البشر دون تمييز بسبب الدين أو اللون، أو العرق، أو اللغة[1] وإقرار مبدأ العدالة دون تمييز بين مسلم وغير مسلم.

٤- ساعد الحوار على ترسيخ فكرة التقاء الأديان، ودعم التفاعل والتعايش بين الشعوب، ورفض كل نظريات الصراع الديني والحضاري المستندة إلى مبادئ الاستعلاء، والتعصب الديني والثقافي.

٥- ساعد الحوار على استجابة العديد من الدول الغربية وغيرها لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والدعوة الإسلامية، والعمل على مراجعة المناهج التعليمية التي تشوه الإسلام وحضارته، وتحض على الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين.

٦- كان للحوار ثمراته الكبيرة في مجال العمل الإسلامي حيث استجابت العديد من المؤسسات الإسلامية لدعوات التقريب بين المذاهب، والحد من التعصب المذهبي، وتوحيد العمل الإسلامي في القضايا التي تهم المسلمين، وتحقيق التعاون المشترك في نشر ثقافة الحوار بين المسلمين في الداخل والخارج.

---

(١) إنسانية الحضارة الإسلامية العدد (١٢٣) في سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٨٢.

٧- أدى النشاط المكثف المرتبط بالحوار في العالم الإسلامي إلى المشاركة العالمية في وضع مواثيق الحوار بين الحضارات والثقافات الإنسانية، وتأسيس المشاركة الإسلامية في ثقافة الحوار على الضوابط الشرعية، والقواعد الأخلاقية.

٨- أدى الحوار الحالي إلى التفكير الجاد في تطوير الدعوة الإسلامية من حيث المفاهيم، والأدوات، والوسائل، وذلك في ضوء قضايا حوار الأديان وحوار الثقافات والحضارات، وهي موضوعات لم تكن مطروحة على ساحة النشاط الدعوي بهذا الشكل الحاد الذي هي عليه الآن بعد طرح نظرية صدام الحضارات وصراع الأديان على الساحة الدولية المعاصرة، والمطالبة القوية بتطوير الخطاب الديني والثقافي وبالتالي ضرورة تطوير الخطاب الدعوي ليتلاءم مع هذه التوجهات الجديدة على الساحة العالمية، وفي ضوء التغيرات السياسية التي انتهت إلى الربط بين الإسلام والإرهاب، وأصبح على مؤسسات الدعوة مواجهة هذا، ومتابعتها للتطور في مجال الحوار والطروحات الثقافية الخاصة به، والاستفادة منها في الدعوة، والمواءمة بينها وبين دعوات حرية التدين وحقوق الاختلاف الديني بحيث لا يحدث تناقض في أساليب الدعوة الإسلامية، وأيضاً كيفية خدمة الدعوة من خلال الاستفادة من مناهج حوارات الأديان، وأدواتها، ووسائلها، وسبل إدارتها، وتأهيل الدعاة فيها باعتبارهم المؤهلين الحقيقيين للمشاركة في هذه الحوارات.

٩- كان للحوار دور في تحسين أوضاع المسلمين في الخارج، فالاهتمام العظيم بالحوار وثقافته على المستوى العالمي أصبح له تأثيره في أوضاع الأقليات المسلمة في الخارج من حيث تحسين أوضاعها، وضمان حقوقها من ناحية، وأيضاً من حيث التفكير في دور هذه الأقليات كحلقة وصل بين العالم الإسلامي ومجتمعاتها.

وبداية مرت الأقليات المسلمة في الغرب، على وجه الخصوص، بأزمة كبيرة بعد أحداث سبتمبر، ولا تزال تتعرض لأشكال من الاضطهاد، وسوء المعاملة، وغياب الثقة فيهم كمواطنين داخل دولهم، ولا يمكن أن يزول هذا الوضع الحرج بدون الحوار المتواصل على مستوى العالم الإسلامي مع دول الأقليات، وعلى مستوى الأقليات ذاتها مع دولها ومجتمعاتها، وإعادة الثقة تتم من خلال الحوار، والحفاظ على السلوك الإسلامي السليم، والالتزام بقوانين الدول وتقاليدها المقبولة إنسانيا، وغير الضارة لهوية المسلمين، ومن خلال المعرفة الجيدة بثقافات البلدان الغربية، وفي الحالات الطبيعية يمكن للأقليات المسلمة أن تمثل جسر التواصل مع المجتمعات الإسلامية من خلال التمثيل السليم للسلوك الإسلامي وللقيم الإسلامية، والبعد عن التطرف الديني، والانغلاق الثقافي في بلاد هم في أمس الحاجة إلى المعيشة فيها، والتعايش مع أهلها.

١٠- الحوار وتحسين أوضاع الأقليات غير المسلمة في الداخل: وعلى المنوال نفسه السابق ساهم الحوار في إعادة تأسيس العلاقات بين الشعوب الإسلامية وأقلياتها غير المسلمة حيث أدى الحوار الدائر الآن إلى الكشف عن الكثير من السلبيات في التعامل مع الأقليات لأسباب تاريخية، وليست دينية، والحرص على العودة إلى المبادئ الإسلامية في معاملة غير المسلمين[(١)] داخل المجتمعات الإسلامية، ودعم مبادئ التسامح الديني والثقافي والعدالة، والمساواة التي تميز بها الإسلام في معاملته لغير المسلمين داخل بلاد المسلمين، وكانت هذه من أهم ثمرات الحوار وذلك بسبب تأثيرها على أمن المسلمين في الداخل، وتحقيق الأمن الديني الداخلي، وعدم السماح

---

(١) محمد عثمان الخشت، المجتمع المدني والتعددية والتسامح في سياق الحضارة الإسلامية، مجلة التسامح، العدد ١٢، السنة ٣، سلطنة عمان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٦٥.

للقوى الدولية بالتدخل في شئون المسلمين بدعوى ضمان حقوق الأقليات، وتجنب التقارير السلبية لمؤسسات حقوق الإنسان التابعة للمنظمات الدولية والمدنية، وتقارير الاضطهاد الديني التي تقوم بها الأمم المتحدة وبعض الدول الكبرى، وقبل هـذا وذاك ضمان تحقيق العدالة الإسلامية في معاملة غير المسلمين، واستعادة الثوابت الإسلامية في هذا المجال.

رابعاً: ثمرات الحوار في المجال الإعلامي:

يلعب الإعلام دورا مهما في بناء ثقافة الحوار من خلال التوظيف الجيد لوسائل الإعلام المختلفة وعلى الرغم من عدم الاستغلال الإسلامي الجيد للإعـلام بسبب غياب الاستراتيجية الإعلامية الإسلامية الشاملة فقد تحققت في السنوات الماضية، وبخاصة بعد أحداث سبتمبر، بعض ثمرات للحوار في المجال الإعلامي من أهمها:

١- الكشف عن أهمية الحوار إعلامياً، ودور الإعلام في نشر ثقافة الحـوار، وإشاعة روح المودة في العلاقات بين أهل الأديان، وبخاصة في فترات الصراع والحروب التي يساعد فيها توظيف الدين في تبرير العنف.

٢- تفعيل الحوار الثقافي والإعلامي الجاد عبر وسائل الإعلام المختلفة، وزيادة المساحة الإعلامية المعطاة للوعي بالرأي والرأي الآخر، والالتزام بآداب الحوار مع ملاحظة أن بعض برامج الحوار قد تخرج على هذه الآداب الأمر الذي يتطلب تطوير لغة الحوار وأسلوبه من أجل الوصول إلى حوار إعلامي جيد، ومؤثر في تغيير الرأي العام الداخلي والعالمي لمصلحة الأمة الإسلامية.

ونظراً لأهمية مجال الإعلام في تصحيح صورة الإسلام والمسلمين فإن العالم الإسلامي في أمس الحاجة إلى وضع استراتيجية إعلامية شاملة للاستفادة من الإعلام في تحقيق أهداف الحوار، ومن أهم عناصر الإستراتيجية ما يلي:

١- إنشاء مرصد إعلامي يتولى متابعة عمليات التوظيف الإعلامي للدين في تشويه صورة (الآخر)، أو التحريض ضد دينه وثقافته[١].

٢- الحاجة إلى ضرورة وضع ميثاق إعلامي يلتزم به الإعلام السمعي والمرئي، والمكتوب، ومستخدمو الإنترنت من أجل الالتزام بتقديم الصورة الصحيحة الإيجابية عن الأديان والثقافات، وضرورة التناول الإعلامي العلمي الموضوعي لقضايا الحوار[٢].

٣- ضرورة تطوير إعلام إسلامي قوى يستخدم الحوار في مواجهة الإعلام الغربي، والرد على التغطية الإعلامية الخاطئة والمشوهة لقضايا المسلمين في الإعلام الغربي.

٤- تأسيس قوة ضغط إعلامي عربي وإسلامي تعمل داخل المجتمع الغربي تستعين بالحوار في عرض وجهة النظر الإسلامية، وتعمل على تحسين صورة المسلمين في الغرب من خلال عرض الحقائق الدينية، والثقافية عرضاً علمياً موضوعياً مؤيداً بالوثائق، والحوارات الموضوعية الجادة.

٥- تأسيس مراكز للمعلومات، ودراسات الرأي العام تعمل على تنمية الوعي بثقافة الحوار وبحق التعبير عن الرأي، وحق الاتصال.

٦- تحقيق الاستقلال الإعلامي، وبناء سياسة إعلامية وطنية مستقلة تعمل لصالح الأمة الإسلامية، وتحد من خطر التبعية الإعلامية باعتبارها مهددة للثقافة الإسلامية[٣].

---

(١) نبيل عبد الفتاح، الدين والحوار في الفضاء المتوسطي في كتاب، سياسات الأديان، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٣) حسين العودات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمستقبل الإعلامي الثقافي العربي، المجلة العربية للثقافة، ١٩٩٦م، ص ٤٨.

٧- مواجهة ازدواجية الدور الإعلامي في مجال الحوار وتناقضه بين إعلام يشجع الحوار ويحض عليه، وإعلام هدام يهدف إلى تعزيز الخوف من الآخر وعدم الاطمئنان إليه والثقة فيه، وبالتالي عدم تشجيع الحوار معه[1].

٨- أهمية دور الأفراد والجماعات في الوصول إلى (الآخر) والحوار معه عن طريق شبكة الانترنت التي تساعد في الاتصال المباشر بـ(الآخر) ومدِّه بالمعلومات الصحيحة عن الإسلام والمسلمين.

٩- إدراك خطورة الدور الإعلامي في صناعة القرار، وتغيير النظم والثقافة والقيم، وأنماط السلوك، ودور الإعلام أيضاً في إعادة تشكيل التاريخ وصناعته، كما تبين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ومن هذا يتأكد أن الإعلام قادر من ناحية أخرى على إشاعة ثقافة الحوار.

١٠- إنشاء مراكز بحوث إعلامية متخصصة لإعداد الردود الإعلامية الإسلامية القوية على عمليات تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، وذلك لغياب وجود جهة إعلامية موحدة للقيام بهذا العمل المهم.

---

(١) رينوفون كونتيانس، الحادي عشر من سبتمبر والخوف والمبادئ القانونية، كتاب السعوديون والإرهاب، رؤى عالمية لمجموعة من الكتاب العرب والأجانب. عرض سعيد الغامدي، سيناء للنشر مجلة البحوث الأمنية، العدد ٢٢، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ٣١٦.

المبحث الثاني
ثمرات الحوار في مجال التربية

إن مجالات حوار الأديان وحوار الحضارات تعد من أعقد المجالات الفكرية على المستوى الإنساني، فهي تتم على مستوى العلماء، والمفكرين والمثقفين، ورجال السياسة والدبلوماسية، وعلى مستوى أعلى المنظمات الثقافية والفكرية في العالم، ومن أهمها الأمم المتحدة بمؤسساتها الثقافية، والسياسية العديدة، كما تتم هذه الحوارات على مستوى أعظم المؤسسات الإسلامية والمسيحية -بمذاهبها المختلفة- واليهودية، وتتم أيضاً على مستوى الجامعات الكبرى في العالم، ومراكز البحوث العلمية في مجالات الأديان، والحضارات والاستشراق، كما أن الديانات الشرقية في الهند، والصين، واليابان أصبحت لها مؤسساتها الخاصة بحوارات الأديان وحوار الحضارات، وأُسست لهذه الحوارات مفوضيات، ومراكز، ومؤسسات ووضعت لها مواثيق، واعتمدتها الجامعات الكبرى في العالم، كموضوعات للدرس العلمي، ووضعت لها البرامج التدريبية المؤهلة للمحاورين أشبه بالتدريب على التفاوض الذي يتم في المراكز الدبلوماسية الدولية.

نحن إذن أمام منظومة فكرية معقدة تحتاج إلى منهج تربوي خاص يؤهل لعملية التحاور على المستوى الديني والحضاري، والحقيقة أن الغرب سبقنا في مجال التدريب والتأهيل للعمل الحواري الديني والحضاري، فأسس العديد من المراكز الخاصة بحوار الأديان وحوار الحضارات، وجعل من بين برامجها التدريب

على الحوار، كمـــا أن أقســـام الأديان في الغرب توسعـــت في مجـــــال حـــوار الأديان، ووضعت المنـــاهج والبرامـــج التعليميـــة الواسعـــــة المؤهلـــة للحـــوار، واعتمدت موضوع حوار الأديان في برامجها للدراسات العليا، وللحـــصول علـــى الماجستير والدكتوراه.

وفي مقابل هذه الجهود الضخمة التي بذلها الغرب للإعداد للحوار والتأهيل لـــه، والتدريب عليه لم يدرك العالم الإسلامي حتى الآن أهمية هذا المجال على المـــستويات الدعوية، والثقافية، والتربوية، والإعلامية، والسياسية، والاقتـــصادية، والاجتماعيـــة باعتبار أن العلاقـــات الدولية في كل هذه المجـــالات تـــتم مـــن خـــلال الحـــوار والمفاوضات التي تتطلب تربية علمية جادة على التحاور والتفاوض، ولهذا الـــسبب نلاحظ أن المشاركين في هذه الحوارات الدينية والحضارة في كل بلد مســـلم عـــدد محدود جـــداً من العلمـــاء، والمفكرين المسلمين، ويكادون ينحـــصرون في القـــادة الدينيين التقـــليديين ولا تتجاوزهم إلا إلى عدد آخر قليـــل جـــدا مـــن العلمـــاء، والمفكرين البارزين، وللأســـف الشـــديد، وبسبب نقـــص المؤسسات المتخصصة لم يتمكن العالم الإسلامي من تخريج صف ثان وثالث من العلماء القـــادرين علـــى الحوار على المستـــويات الدولية لأسباب ترتبط بالعجز العلمـــي علـــى مـــستوى التدريب، والتأهيل، وبالعجز في مجال معرفة لغات الحوار، والتفاوض، وأهمها اللغـــة الإنجليزية، فضلاً عن معرفة أسلوب الحوار وطرقه، وسبل الاستدلال والبرهنة، ويأتي العجز الأكبر في مجال إدارة الحوار، حيث أصبح هذا علماً من العلوم يرتبط بكيفيـــة إدارة الحوار والتفاوض، وما يرتبط بهذه العملية الإدارية من ضوابط وبروتوكولات، وآداب، وتكوين فرق عمل بحثيـــة على دراية بأدبيات الحوار تعد المـــادة العلميـــة

اللازمة للمحاورين والمفاوضين، وتقوم بالتحليلات الضرورية، وتقدم نتائج البحوث والتحليلات للمشاركين في الحوارات، وتساعدهم على اتخاذ القرار، وعلى وضع التوصيات بحيث يصبح المحاور مستعداً استعداداً علمياً، ونفسياً للدخول في الحوارات، وتحقيق الأهداف منها.

وسيظل العالم الإسلامي على هذا الوضع المتأخر في مجال حوار الأديان وحوار الحضارات إلى أن يتم أخذ المسألة مأخذ الجد، والنظر إليها على أنها مسألة علمية تربوية، فتوضع على خريطة العلم والتربية في مناهج وزارات التعليم، والتربية، والثقافة في العالم الإسلامي، وتؤسس لها المؤسسات والمراكز المتخصصة التي تستطيع في النهاية أن تخرج لنا ما نسميه بالمحاور المسلم في مجال الأديان والحضارات، وبالمفاوض المسلم في مجال السياسة والاقتصاد، وبخاصة في ظل الظروف الدولية المعاصرة المليئة بالقضايا التي يدخل فيها المسلمون كطرف دائم، وفي ظل العولمة وما تتطلبه من تأهيل علماء متخصصين في العولمة عارفين بإيجابياتها وسلبياتها، ومدركين لمتطلباتها العالمية، وقادرين على التفاعل مع العولمة، ومؤهلين للتفاوض في كل مجالاتها، المفروض منها وغير المفروض، حفاظا على وضع المسلمين في النظام الدولي الجديد، وحرصاً على الدفاع عن المصالح الإسلامية من خلال قدرات علمية وتربوية مؤسسية، وليس على أساس من الحظ، أو انتظار أن تقوم جهات غير إسلامية بالدفاع عن شئون المسلمين[1].

---

(١) مصطفى عبد المحسن، التربية ومهام التنمية والتحديث في عالم متغير: تحديات ورهانات في زمن العولمة، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، بيروت، هـ١٤٢٤/٢٠٠٣م.

أولاً: الإعداد التربوي المنهجي لحوارات الأديان والحضارات:

يحتاج الحوار بشكل عام، وحوارات الأديان والحضارات بشكل خاص، إلى عملية إعداد تربوي ومنهجي طويلة المدى، وتقوم على أسس علمية تربوية، وهذا يعني ضرورة ربط هذا الإعداد بداية بالمناهج التعليمية بحيث يصبح من بين أهداف العملية التعليمية تربية أجيال قادرة على الحوار من خلال طرق تعليم سليمة، ومناهج تربية موضوعية تربي في النشء القدرة على المناقشة، والمحاورة، والمناظرة، وإبداء الرأي، ومناقشة الآراء العلمية، وتحليلها، ونقدها، وحرية التعبير كأسلوب لتبادل الآراء، وتنمية النشء على الفهم، والبعد عن التلقين لتمكين الطالب من استيعاب أكبر قدر ممكن من المعلومات وفي أقصر وقت ممكن.

معنى هذا أن تأهيل المحاور وتأسيسه يبدأ منذ مراحل التعليم الأولى. ولعل هذا هو الذي أدى إلى تفوق الغرب في مجال التحاور والتفاوض لأن نظمه التعليمية والتربوية تقوم على أساس من حرية التعبير عن الرأي، وتنمية الملكة النقدية عند الطالب من خلال عمليات التحليل، والتدريب على النقد فتتكون الشخصية العلمية للطالب في وقت مبكر، وعلى أصول تربوية سليمة.

ويتطلب الأمر إعادة النظر في برامجنا ومناهجنا التعليمية، وفي الأسس التربوية للنظم التعليمية في العالم الإسلامي، وإعادة صياغتها بشكل يخدم هذا الهدف وهو بناء الشخصية الإسلامية الحرة القادرة على التعبير عن الرأي وفق الضوابط الشرعية، والأخلاقية، ودون الخروج على آداب التعبير ومعاييره.

وداخل هذه الدائرة أيضاً يجب تطوير طرق التدريس والتعليم في التعليم الديني في العالم الإسلامي لأن خريجي التعليم الديني سيكونون في الغالب مسئولين عن إدارة الحوار الديني والحضاري الداخلي والخارجي. وحوارات الأديان في العالم تعتمد في

المقام الأول على علماء الدين المؤهلين تأهيلاً جيداً في مجالات الحوار، والمتمكنين من أدواته ووسائله، والقادرين على الغوص في قضاياه والتعمق في مسائله، والمالكين لناصية اللغات الأجنبية المستخدمة في الحوارات العالمية، لهذه الأسباب يحتاج التعليم الديني الإسلامي إلى عملية تطوير وتحديث تخدم أهداف الحوار، وتنمي ثقافة الحوار والقدرة على التحاور سواء على مستوى الحوار الإسلامي-الإسلامي، أو على مستوى الحوار الإسلامي مع غير المسلمين.

وكل هذا يصب في النهاية في خدمة الدعوة الإسلامية لأن المدعو المستهدف تغيرت أوضاعه الفكرية والثقافية، وارتقت قدرته على التلقي، وأصبح قادرا على النقاش والجدل، وطرح التساؤلات حول الدين، كما أن ثورة المعلومات وسهولة الحصول على المعلومات من خلال شبكة الانترنت والقنوات الفضائية أدت إلى ارتفاع معدلات الثقافة العامة والخاصة، وارتقاء القدرة على الانتقاء والنقد، بل والمشاركة في تقديم المعلومات، وتغذية الشبكة بمواد علمية على سبيل المشاركة في الحوار الدائر وبخاصة في الموضوعات الدينية.

ويجب أن يستجيب التعليم الديني في بلاد المسلمين لهذا التطور الحادث على الساحة العالمية، ويضع أسساً لتعليم ديني حديث ومستنير، وفاهم لقضايا العصر، وقادر على الحوار والمناظرة.

ومن أهم أهداف الإعداد التربوي للمحاور المسلم:

- ترسيخ مفهوم الحوار، ونشر ثقافة الحوار.
- التربية على احترام الرأي والرأي الآخر، واعتماد الحوار كوسيلة للتعبير عن الرأي، وتعليم آداب الحوار في الرد على (الآخر).

- تنمية القدرة على الاستدلال والبرهنة بالحوار والخطاب العقلي السليم[1].

- بناء الشخصية المسلمة القادرة على التحاور في ثقة، والمزودة بالعلم اللازم والأدوات الضرورية للحوار.

- التربية على احترام عقائد الآخرين وحق الآخرين في الاختلاف الديني من خلال تربية دينية مستنيرة، ومنفتحة على عالم الأديان والحضارات.

- التدريب على اختلاف وجهات النظر، والتربية على الفكر النقدي الملتزم.

- التأهيل العلمي الضروري في قضايا حوار الأديان، والتوسع في تخصصات مقارنة الأديان والحضارات بالإضافة إلى علوم الدين التقليدية التي تُكَوِّن قاعدة المحاور المسلم الأساسية.

- التأهيل اللغوي المطلوب لصناعة محاور مسلم جيد قادر على التعبير الديني والحضاري، والعارف بمصطلحات الحوار الدينية واللاهوتية وبخاصة في الأديان الأخرى.

ثانياً: ثمرات الحوار في مجال التربية:

لا شك في أن العالم الإسلامي قد استفاد كثيراً من الحوارات الدائرة في مجال الأديان والحضارات والثقافات على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالمي وذلك على المستويات الدينية والثقافية والتربوية على النحو التالي:

١- أكدت الاهتمامات الدولية بالحوار وثقافته، وبحوارات الأديان على سلامة المنهج الإسلامي الذي أرسى قواعد العلاقات الدينية بين المسلمين وغير المسلمين منذ

---

(١) عبد الله علي العيان، الحوار وثمراته الإيجابية في الرؤية الإسلامية، مجلة تسامح، العدد ٦، وزارة الشئون الدينية والأوقاف، سلطنة عمان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٥٥.

البداية على قاعدة الحوار، وهي قاعدة لم يكترث بها الغرب في تاريخه الديني الطويل الذي قـام على أسـاس من الجدل الديني واللاهوتي الرافض للأديـان الأخـرى، سوى في القرن العشـرين بعد إرسـاء قواعـد الديمقراطيـة، فقد ظـل العـداء وتكفير المذاهب المسيحية لبعضها البعض قائما حتى تطـور الحركـة المـسكونية Ecumenical Movement التي عملت على تحقيق التقارب بين المذاهب المسيحية من خلال الاعتراف المذهبي.

و لم تبن عـلاقة المسيحية بالأديان الأخرى على أساس قاعدة الحوار إلا بعـد إعلان الفاتيكان (١٩٦٤م) الذي أعاد بناء علاقة المسيحية (الكاثوليكية) بالأديـان والأيديولوجيات الأخرى، وانطلقت بقية المذاهب المسيحية مـن بعـد ذلـك إلى الدخول في علاقات دينية حوارية بينها وبين الأديان الأخرى.

والإسلام، كما نعلم، اعترف منذ البداية بالأديان الأخرى، وبحق الاخـتلاف الديني، وربّى المسلمين على ثقافة الحوار وآدابه، واعتمد الحوار كوسيلة للدعوة من ناحية ولتحقيق التقارب مع أهل الأديان الأخرى من ناحية أخرى.

٢- أكـدت الاهتمامـات الدولية بحوار الحضـارات أيضـاً على سـلامة المنهج الإسلامي في التعامل مع الحضارات الأخرى حيث تربّـى المـسلمون علـى الانفتاح على الحضارات الأخرى، والاستفادة منها حتى في بناء الحضارة الإسـلامية ذاتها على المستوى المادي، وتربّى المسلمون أيضاً على احترام الحضارات الأخـرى وعدم تحقيرها، وعلى التعاون معها، كما ربّى الإسلام المسلمين على اعتبار سـعادة البشرية بأجمعها هو الهدف الأسمى للحضـارة الإسـلامية، فجاءت حضارة عالمية معطاءة، لم تحتكر منجزهـا الحضاري، واعتبرته منجزاً عالمياً يهـدف إلى تحقيـق سعادة الإنسـان في كل مكان وزمان وليس تحقيق سعادة الإنسان المسلم فقـط،

وبهذا تفوقت الحضارة الإسلامية على الحضارات اليونانية، والرومانية، والغربية الحديثة في تجنبها للاستعلاء الحضاري رغم تفوقها[1]، وفي بعدها عن الصراع الحضاري، وفي حرصها على إسعاد غير المسلم من خلال عدم احتكار الإنجازات الحضارية. وكانت الحضارة الغربية الحديثة أول من استفاد من هذه القاعدة الإسلامية حيث نهلت من علوم المسلمين، وبنت على أساسها نهضتها الحديثة من خلال ترجمة علوم المسلمين إلى اللاتينية واللغات الأوربية الحديثة على يد المستشرقين.

٣- ساعد الانخراط الإسلامي الحديث في الحوارات الدائرة على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في التوجيه التربوي للمسلمين إلى ثقافة الحوار بعد قرون من التخلف العلمي والثقافي والتربوي التي تسبب فيها الاستعمار، ونمّى فيها أساليب تربوية غير إيجابية في حياة المسلمين من بينها تطور نظرة غير إيجابية إلى (الآخر) ونظرة تعصبية إلى الأديان الأخرى تسبب فيها الاستعمار من ناحية، والجهل بالدين الإسلامي وعلاقته بالأديان الأخرى من ناحية أخرى، كما تسببت فيها السياسات الغربية المعاصرة تجاه المسلمين وقضاياهم.

وهناك الآن اتجاه طيب إلى العودة إلى ثقافة الحوار باعتبارها خطاً منهجياً تربوياً إسلامياً أصيلاً، وتغيير سلوك المسلم تجاه (الآخر) وتخليصه مما طرأ عليه من اتجاهات سلبية مناقضة للموقف الإسلامي العام[2].

---

(١) بكر مصباح تنيرة، تطور إستراتيجية الحوار في الحضارة الإسلامية، ندوة الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض، ٢٠٠٤م.

(٢) مصطفى محسن، التربية ومهام التنمية والتحديث في عالم متغير: تحديات ورهانات في زمن العولمة، مرجع سابق، ص٧٤.

٤- نمو توجه إسلامي إيجابي إلى دعم القيم التربوية والأخلاقية على المستوى العالمي من خلال المشاركة الإسلامية الفعالة في وضع المواثيق العالمية الناشرة لقيم التسامح والعدالة، وقيم الحرية، والتعاون في مجالات الخير والبر، والمصالح المشتركة المشروعة، ودعم قيم السلام، والعدل والتضامن.

٥- انتشار آداب الحوار بين المسلمين داخلياً، ومع غير المسلمين في الداخل والخارج، من خلال النماذج الحوارية الكثيرة الدائرة على الساحة المحلية والإقليمية، والعالمية.

٦- تربية المسلمين على قبول الخلاف الديني والحضاري باعتباره ضرورة دينية إسلامية، وضرورة عصرية جلبتها الظروف الدولية الحديثة والمعاصرة من عولمة وانفتاح على العالم من خلال ثورة المعلومات.

٧- تغيير سلوك الأقليات المسلمة في الخارج، وانتهاج الحوار كوسيلة تعامل بينها وبين أهل المجتمعات التي يعيشون فيها، وإرساء حياتهم على أسس التعايش والاندماج الإيجابي، والالتزام بقوانين الدول التي يعيشون فيها، والحفاظ على السلوك الإسلامي الطيب في التعامل مع الآخر داخل مجتمعاتهم.

٨- دور الحوار في تربية المسلمين على التمسك بالاعتدال الديني والبعد عن التعصب والكراهية والحقد، وكل الصفات غير الإيجابية التي تولدت ونمت بسبب التعصب الديني والثقافي، وبسبب الإرهاب القائم على أساس من العنف والعدوان على حقوق (الآخر).

المبحث الثالث: ثمرات الحوار في المجال الثقافي

أولاً: الثمرات العامة للحوار الثقافي:

أدت الجهود الدولية المكثفة في مجال الحوار الثقافي إلى:

١- خلق مناخ عالمي قابل للتعددية الثقافية وللتنوع الثقافي، ولحق الاختلاف الثقافي، واحترام الخصوصيات الثقافية للشعوب وتقبل فكرة التعايش مع الثقافات الأخرى، والتفاعل والتعاون معها بشكل عام.

٢- التأكيد على أهمية الانفتاح الثقافي على (الآخر) بما يؤدي إليه من تسامح وتعاون، وتفاعل، والبعد عن الانغلاق الثقافي على (الذات) بما يؤدي إليه من تعصب، وكراهية، وعدم قبول لـ(الآخر) والاعتراف بقيمة الحوار في مواجهة التطرف الديني والتعصب الثقافي، وتحقيق الاعتدال، وعدم الغلو الديني والثقافي.

٣- تجديد الثقة في وضع الثقافة الإسلامية كثقافة إنسانية عالمية تحرص على الاختلاف والتنوع الثقافي، وتؤمن بالتفاعل الثقافي، والانفتاح على (الآخر) ثقافياً، والاستفادة منه وإفادته مع الحرص على الثوابت الثقافية الإسلامية.

٤- الرفض العالمي لنظرية صدام الحضارات باعتبارها فكرة متناقضة مع طبيعة الحضارات، وهادفة إلى تحقيق أهداف ومصالح سياسية لأصحابها، والتأكيد العالمي على أن الثقافات تلتقي وتتفاعل مع بعضها البعض لمصلحة البشرية، ولتحقيق سعادة الإنسانية.

٥- تعميق المعرفة العلمية بالثقافات والحضارات الإنسانية. ودراسة وجوه التشابه والاختلاف بين الثقافات، وتحديد المشترك الثقافي الإنساني واعتباره قاعدة

الانطلاق في بناء العلاقات الثقافية المعاصرة بين الشعوب[1] وإبراز الوحدة والتنوع في الثقافات الإنسانية، والتنظير لأرضية ثقافية عالمية مشتركة.

٦- إدراك أهمية الثقافة كشرط للحوار وثقافة الحوار[2]. فالحقيقة أنه بدون القاعدة الثقافية الواسعة لا يمكن للحوار أن ينمو و يتطور كحوار ثقافي بناء، ومن خلال الثقافة تتم عمليات التواصل والتفاعل مع الشعوب الأخرى، ويتم الحوار مع الثقافات والحضارات الأجنبية، وتغيير الصور النمطية عن (الآخر) والثقافة هي المدخل لفهم المتغيرات الدولية، وبخاصة تلك المبنية على أسس ثقافية، أو حضارية مثل نظرية صدام الحضارات التي يجب أن تفهم داخل الإطار الثقافي الذي أنتجها كنظرية سياسية.

ثانياً: الحوار وخلق أرضية ثقافية عالمية مشتركة:

اهتم عدد من الشخصيات العالمية المرموقة بقضية العلاقات الحضارية والثقافية بين الشعوب، ودعت إلى التقارب الحضاري والثقافي، وتحقيق التفاهم بين أهل الأديان، والتأسيس للحوار الحضاري بين الشعوب، وخلق أرضية ثقافية عالمية مشتركة، ونذكر من بين أهم هذه الشخصيات ألأمير تشارلز، والرئيس الألماني الأسبق «هيرتسوج»، وعالم اللاهوت الكاثوليكي «هانزكينج»، والأمين العام السابق للأمم المتحدة «كوفي أنان»، ومن المستشرقين البارزين المستشرقة الألمانية «آن ماري شيميل»، والمستشرق الألماني «فريتس شتيبات»، والمستشرق الأمريكي «جون اسبوزيتو».

---

(١) المرجع السابق، ص ٣١٨.

(٢) عبد الله أبو هيف، العمل الثقافي العربي المشترك: رؤية واقعية وتصور مستقبلي، المجلة العربية الثقافية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٦م، ص٨٨.

ومن أهم الأفكار التي نشأت عن هذا الاهتمام العالمي بالإسـلام وبالعلاقـات الحضارية العالمية ما يلي:

١- الإسلام كجزء من ماضي الغرب وحاضره:

في محاضرته المعروفة التي ألقاها في أكسفورد عـام ٢٠٠١م وصـف الأمـير «تشارلز» ولي عهد بريطانيا التراث الإسلامي بأنه جزء من تـراث الغـرب، وأن الإسلام جزء من ماضي الغرب وحاضره في جميع مجالات الأنشطة الإنسانية، وأنـه ساهم في تكوين أوربا الحديثة، وأن الإسلام دين معتدل، وأن الإرهاب كظـاهرة موجود عند بعض أهل كل الأديان بما في ذلك المسيحية[١].

٢- الحوار ومشروع الأخلاق العالمية:

أما عالم اللاهوت الكاثوليكي «هانزكينج» فقد اعتبر الحوار بين الأديان مؤديـاً إلى تكوين «أخلاق عالمية» حيث أن التوجه الديني الأساسي في كل الأديان يمـنح الإنسان مجموعة من القيم ذات الطابع العالمي، ومن أهمها قيم الكرامـة الإنـسانية، والحقوق الإنسانية[٢] وهذه أخـلاق عالمية يتفق عليها جميع المؤمنين في كل الأديان بل وأصحاب النزعة الإنسانية من غير المتدينين، ويكونون لهذا تحالفاً مشتركاً لخـير البشرية، وقد أقر برلمان الأديان العالمية الذي انعقـد في شـيكاغو ١٩٩٣م رؤيـة «كينج»، وأصدرها في الإعلان عن الأخلاق العالمية[٣].

ويدعو «كينج» إلى ضرورة الحوار بين المسيحية والأديان العالمية علـى نطـاق واسع، وبدون أن يتخلى طرف عن معتقداته التي يؤمن بها لأن أي حوار لن تكـون له فائدة «إذا افتقد تدين أي طرف من أطراف الحوار إلى العنصر المعياري والمحـدد

---

(١) انظر جمال عوض شقرة، التهديد الإسلامي للغرب المعاصر.. مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(٢) فريتس شتيبات، الإسلام شريكا، ترجمة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، العدد ٣٠٢، الكويت، ٢٠٠٤م ص٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٠.

تحديداً نهائياً في دينه أو تدينه»[1] ومن الضروري أن يجمع المحاورون بين أصدق الولاء لمعتقداتهم وأقصى الانفتاح الممكن على الآخرين، ويرى أن في إمكان الديانات الأخرى أن تضيف إلى الديانة المسيحية، وتصححها، وتزيدها عمقاً ما دام أن هذه الديانات لا تتناقض مع رسالة المسيحية تناقضاً مباشراً، وهو يقول في هذا الخصوص: «ينبغي علينا، انطلاقاً من التزام مسيحي أصيل واستعداد دائم للتعليم، أن نستمر في تغيير أنفسنا على طريقتنا من خلال ما نتعلمه من الأديان الأخرى بحيث لا يؤدي ذلك إلى تدمير إيماننا العريق، بل إلى إثرائه»[2].

٣- الحوار ونواة الحضارة العالمية:

يعتبر الرئيس «رومان هيرتسوج» من أشد المتحمسين في الغرب لمسألة الحوار بين الحضارات إلى حد أنه يعتقد في إمكانية «تحقيق نواة لحضارة عالمية تسهم فيها كل الثقافات»[3] فهناك حد أدنى من العوامل المشتركة بين الحضارات مهما اختلفت العقائد الدينية، وعن الحوار المسيحي الإسلامي يقر «هيرتسوج» بأن «الإسلام والمسيحية يجمعهما الإيمان بالله الواحد، وتتبعان تعاليم أخلاقية متشابهة، فليس هناك ما يوجب وجود مصدر للصراع بينهما... إننا اليوم في أمس الحاجة إلى أن نعيد إلى الأذهان من جديد التقاليد الروحية الكبرى النابعة من الإسلام ومساهماته الاجتماعية والحضارية[4]، ويطالب الأطراف المتحاورة أن تتحلى بالتسامح وعدم الادعاء بالتفوق، مع التركيز على معرفة أوجه التشابه وأوجه الاختلاف لتكون منطلقاً لبناء استراتيجيات تتفادى وقوع نزاعات»[5] فالحوار عنده «إستراتيجية يحكمها العقل»[6].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٧٦.
(٣) متابعات في الاستعداد لعام حوار الحضارات، ٢٠٠١م، مجلة الكلمة، العدد ٢٤، صيف ١٩٩٩م، ص ١٨٨.
(٤) المرجع السابق، ص ١٨٨.
(٥) المرجع نفسه، ص ١٨٩.
(٦) الإسلام والغرب وإمكانية الحوار تحرير وتقديم كامي حافظ، ترجمة صلاح محجوب، المجلس الأعلى للثقافة، العدد ٢٤٠، القاهرة، ٢٠٠٠ن، ص ٢١٧- ٢١٨.

وقد اقترح «هيرتسوج» إنشاء نظام للإنذار المبكر ضد أي هجوم ضد الثقافات، وضد الحملات الدينية والمذهبية، والعرقية، والقومية في الصراعات الدولية أو المجتمعية، يتولى دراسة وتحليل توظيف الأديان في الصراعات السياسية والثقافية الإقليمية، والنزاعات الداخلية في دول ومجتمعات الأقاليم المختلفة في العالم عن طريق تشجيع إصدار تقارير بحثية قومية وإقليمية حول الأديان»[١].

ومن ثمرات هذا المجهود المرتبط بالحوار تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة المقترح الخاص بنظام الإنذار المبكر في قرارها رقم ١٢٥/٤٧ لتحقيق أهداف منع تصاعد التوترات العرقية، أو الإثنية، أو الدينية، وتحولها إلى منازعات[٢] وقد وضعت الأمم المتحدة آليات للإنذار المبكر منها قيام المفوض السامي لحقوق الإنسان بدور الوسيط في الحالات التي يمكن أن تتصاعد وتتحول إلى منازعات عن طريق اتخاذ إجراءات مع الحكومات على المستوى الدبلوماسي، وتشجيع الحوار بين الأطراف المعنية للوصول إلى نتائج إيجابية.

٤- الحوار وبناء منظومة أخلاقية عالمية:

أما كوفي عنان فقد نبه إلى أهمية حوار الحضارات في بناء «منظومة أخلاقية عالمية» وقد وصف «كوفي أنان» الإسلام بأنه: «واحد من أعظم الأديان في العالم ونبراس هاد لأكثر من حضارة عظيمة»[٣] وقد دعا «أنان» إلى حوار سلمي يقوم على أساس مجموعة من القيم المشتركة[٤] وأكد أن الجاليات الإسلامية؛ لأنها جزء أساسي في المجتمع الغربي اليوم، فهي قادرة على إقامة حوار حضارات، وستصبح

(١) نبيل عبد الفتاح، الدين والحوار في الفضاء المتوسطي، في كتابه سياسات الأديان، الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٢١- ١٢٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢١.
(٣) مجلة الكلمة متابعات في الاستعداد لعام حوار الحضارات، مرجع سابق، ص ١٨٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٨٦.

الجاليات الإسلامية مصدراً مهماً من مصادر التجدد والإلهام في الفكر الإسلامي[1] وطالب أنان بضرورة قيام الحوار على أساس من الاحترام المتبادل وليس إلغاء الاختلاف بين البشر، وإنما الحفاظ على هذه الاختلافات والاحتفاء بها، وقد أصدرت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بياناً أثنت فيه على رؤية «كوفي أنان» للإسلام وللحضارة الإسلامية واعتبرت رؤيته موضوعية وداعمة لحوار الحضارات، ومساعدة على التخفيف من حدة الكراهية والتوتر في العالم.

٥- الحوار وضرورة تطبيع العلاقات بين الغرب والإسلام:

تعد «آن ماري شيميل» المدافعة الأولى عن الحوار بين الغرب والإسلام وتنادي بضرورة تطبيع العلاقات بين الطرفين، وتتهم الغرب بمسئولية إفساد علاقته بالإسلام، وتحدد المستشرقين كطرف غربي مسؤول مسؤولية أخلاقية عن التردي الذي انحدرت إليه العلاقة بين الغرب والإسلام، وتعتبر هذا سقوطاً أخلاقياً للمؤسسة الاستشراقية[2].

وتتهم «آن ماري شيميل» أيضاً النظريات القائلة بالتهديد الإسلامي للغرب وحضارته، وتشير إلى الدور الحضاري للإسلام في نهضة الغرب وازدهار ثقافته وفنونه وآدابه من خلال التفاعل الحضاري بين الغرب والإسلام، وتؤكد أن الجهل بالشيء يورث كراهيته والخوف منه، وأن هذا هو حال الغرب في موقفه الجاهل من الإسلام، وتطالب بضرورة تطبيع العلاقة بين الغرب والإسلام من خلال معرفة الإسلام معرفة علمية موضوعية، ومن خلال نبذ الكراهية، والابتعاد عن التعصب، وإظهار العلاقة الحقيقية الإيجابية، والبعد عن التشويه المتعمد، وبخاصة في مسألة اتهام الإسلام بالإرهاب، ومقاومة دعاة الصدام، والدخول في حوار جاد مع العالم الإسلامي.

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٢) آن ماري شيميل، الإسلام دين الإنسانية، ترجمة صلاح محجوب إدريس (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).

٦- الحوار وحصر الصراع داخل الإطار التاريخي:

اعتبر «فريتس شتيبات» الحوار هو المدخل إلى البحث عن الحقيقة، وأقر بأن جهد الباحث العلمي يفقد قيمته إذا رجحت في ميزان عمله كفة الأغراض السياسية كفة البحث الخالص عن الحقيقة(١) وفي هذا الإطار يعالج «شتيبات» الموقف من الإسلام في الغرب وقضية الحوار بين الأديان، وبخاصة بين الإسلام والمسيحية، وهو يصف الدوافع الغربية وراء اعتبار الإسلام خطراً، أو عدواً، يهدد الغرب بأنها «دوافع غير عقلانية»(٢).

وينقد «شتيبات» نظرية صدام الحضارات نقداً شديداً معتقداً أن «صموئيل هنتنجتون» بالغ مبالغة شديدة في حديثه عن أن الإسلام هو العدو الأول للغرب في هذا الصدام بين الحضارات، وأن نتيجة هذا التفكير مدمرة للعلاقات المسيحية- الإسلامية حيث يقول: «لو سلّم الرأي العام في الغرب (المسيحي) - وفقاً لتصور هنتنجتون- بأن الإسلام هو عدوه الطبيعي لما استنتج المسلمون من ذلك سوى أن عليهم ألا يتوقعوا من الغرب غير العدوان عليهم الأمر الذي يمكن أن يدفع المسلمين كافة إلى اتخاذ موقف عدائي موحد ضد الغرب،... إن «هنتنجتون» يضع في الواقع إطارا نظريا لاستنفار كل من الإسلام والمسيحية ضد الآخر»(٣).

ويرى «شتيبات» أنه لا المسيحية ولا الإسلام، بحكم طبيعتيهما، يريدان الحرب.. وإذا وجدت ظاهرة الحرب الدينية، فيجب دائماً تفسيرها في إطار سياقها التاريخي، والعداء لا يأتي من داخل أي دين، ولكنه نتيجة مترتبة على مجموعة من

---

(١) فريتز شتيبات، ملاحظات عن دور البحث العلمي في حوار الأديان منشور في كتابه: الإسلام شريكا، دراسات عن الإسلام والمسلمين، ترجمة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، العدد ٣٠٢ أبريل ٢٠٠٤م الكويت، ص٦٤.

(٢) فريتز شتيبات، المنظومة الإبراهيمية للحوار، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٨٥.

(٣) الإسلام شريكاً، ص ٦٨.

العوامل التاريخية وعلى الأفعال وردود الأفعال من أطراف النـــزاع[1] ويـــرفض «شتيبات» رفضاً تاماً أن الأديان تواجه بعضها البعض بطريقة تؤدي بالــضرورة إلى كل أنواع الصراع.

والحوار هو الحل عند «شتيبات»، فإذا أردنا للصراع ألا يتفجر فعلينا أن نعمل على زيادة التفاهم المتبادل، وإيجاد الأرض المشتركة بين أتباع الديانات المختلفة، وأن نتجنب تكوين التكتلات السياسية التي تعمل على تفجر الصراعات المصبوغة باللون الديني، ويركز «شتيبات» على الحوار بين الديانات التوحيدية فيؤكـــد أن قاعـــدة الحوار متوفرة في هذه الديانات من خلال: «وجود أرض مشتركة بينهما تقوم على العلاقة التاريخية التي تربط الأديان الثلاثة،وتدعمها حقيقة كونها ديانات تنتسب إلى أبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، كما تتفق جميعها على الإيمان بعقيدة التوحيـــد، أن المسيحية تعترف بالكتاب المقدس لليهودية، وأن الإسلام يعترف بالكتب المقدســـة لليهودية والمسيحية، وقد قامت على مر التاريخ علاقات وثيقة وعميقة بين المــؤمنين بالأديان الثلاثة أدت إلى مناقشات مستفيــضة لأفكـــارهم وإلى تبـــادل الخـــبرات والتجارب بينهم»[2] ويدرك «شتيبات» أن هناك اختلافات بين هذه الأديان مـــن المهم تحديدها، وتوضيح أوجه التشابه والتناظر المشتركة بينها.

ويشترط «شتيبات» لنجاح الحوار أن يتجنب أطرافه الاتجاه لتحويل الطرف الآخر عن دينه حيث يتعارض هذا مع روح الحوار وأن يحترم كل طرف معتقدات الآخر وألا يحاول طرف كسب النقاط «على حساب الطرف الآخر لأن ذلك يفسد جو الحوار».

وعلى عكس نظرية صدام الحضارات، يعتقد «شتيبات» أن الحوار عندما يـــتم بروح سمحة يمكن أن يصلح الأجواء، ويمهد لإيجاد الحلول وإزالة العقبات، والحـــوار

---

(١) المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧١.

يؤدي إلى تأكد جميع الأطراف المشتركة فيه «بأن الأطراف المتعارضة لا تريد أن تدمرها أو تؤذيها، وأنها لا تهدف إلى الصدام معها، وإنما تسعى إلى تفهم الآخرين والتوصل إلى أسس مشتركة يقوم عليها التعايش البناء والتعاون المثمر»(١).

واستمراراً في نقد فكرة «صدام الحضارات»، يدعو «شتيبات» رجال السياسة والاقتصاد أن يضعوا الحوار بين الأديان في تقديرهم، ويجعلوه أحد اهتماماتهم عندما يلتقون لحل المشكلات الدولية»(٢) ويطالب كل الشعوب أن تجعل الحوار قضيتها الأولى، وفي كل المناسبات الممكنة، حتى في المناسبات الاجتماعية مثل المشروعات الاجتماعية المشتركة، وفي الزيجات المختلطة، وفي الاحتفالات الدينية، وفي المبادرات السياسية(٣).

وإمعاناً في نقد هنتنجتون يطالب شتيبات بضرورة وضع كل ظاهرة في سياقها التاريخي الخاص، ويدعو إلى تصحيح الطرق غير التاريخية في النظر والإدراك كما فعل هنتنجتون في صدام الحضارات(٤).

٧- الحوار بديل للصدام وأسطورة التهديد الإسلامي:

يعد «جون اسبوزيتو» من أشد الناقدين في الغرب لنظرية «صدام الحضارات» ولمقولة التهديد الإسلامي للغرب(٥) وكتاب «جون اسبوزيتو» رد فعل ضد حملات التشهير ضد الإسلام التي انتشرت في الغرب، وحملت شعارات «المسلمون قادمون» و«الخطر الإسلامي» وغير ذلك من المصطلحات التي وضعت سياسياً للتعبير عن هذا الاتجاه السياسي، ويرد «اسبوزيتو» أسباب الحملة على الإسلام إلى الجهل المقصود بالإسلام، والمعالجة الانتقائية المفتقدة للموضوعية عند دارسيه في الغرب، والتحليل

---

(١) المنظومة الإبراهيمية للحوار، ص ١٨٨.
(٢) الإسلام شريكاً، ص ٧٧.
(٣) المرجع نفسه، ص ٧٧.
(٤) المنظومة الإبراهيمية للحوار، ص ١٨٨.
(٥) جون سبوزيتو، التهديد الإسلامي حقيقة أم أسطورة، ترجمة قاسم عبده قاسم، والكتاب ترجمة عربية أقدم (القاهرة: مركز المعلومات والدراسات، ١٩٩٥م؛ دار الشروق، ٢٠٠٣م).

المتحيز[1]، ومن أسباب الحملة على الإسلام أيضاً قاعدة الكراهية التقليدية الموروثة من فترات الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي، وقد اتهم «اسبوزيتو» المنظور الغربي للإسلام بأنه منظور سياسي، أيديولوجي، انتقائي ينطلق من تحيزات قبلية، وقوالب نمطية. ويجعل من الصراع مع الإسلام حتمية تاريخية باعتباره العدو البديل للشيوعية دينياً، وأيديولوجياً، والخطر المهدد للمسيحية واليهودية وللحضارة الغربية، وقدم نقداً خاصاً للمستشرق اليهودي «برنارد لويس» المنظر الرئيسي والأب الروحي لنظرية «صدام الحضارات»، وفكرة الإسلام العدو المهدد للحضارة الغربية، ويصف مقاله «جذور الغضب الإسلامي» بأن فكرته المحورية فكرة تحريضية مستنفرة ضد الإسلام والمسلمين.

يصف «اسبوزيتو» نظرية التهديد الإسلامي بأنها أسطورة من صنع رجال السياسة الذين يكررون الخطأ الذي حدث مع الاتحاد السوفيتي باستخدام قوالب نمطية في تصوير العدو والخطر الذي يمثله، ويتهم الغرب بأنه يصنع إمبراطورية شر جديدة ليس لها وجود سوى في أذهان واضعي نظرية صراع الحضارات والمروجين لها، ويركز «اسبوزيتو» على تصارع المصالح السياسية والخلافات الاقتصادية والاجتماعية ويعتبرها السبب الحقيقي وراء المواجهة مع الإسلام[2] ويؤيد عاصم الدسوقي هذا الرأي بقوله: «إنها حرب مصالح اقتصادية يسعى الغرب من ورائها لضمان السوق العالمية تحت غطاء منظمة التجارة العالمية، وليضمن قيادة النظام الجديد»[3] وينادي «اسبوزيتو» بإسقاط نظرية العدو الإسلامي، وتحقيق التفاعل الضروري مع الإسلام وحضارته من خلال الحوار البناء وعلاقات التفاعل الإيجابية.

---

(١) جمال معوض شقرة، التهديد الإسلامي للغرب المعاصر بين صامويل هنتنجتون وجون اسبوزيتو، في كتاب له التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، مرجع سابق، ص ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠٨ - ٣٢١.

(٣) عاصم الدسوقي، ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ووهم الصراع الديني، في كتاب التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

الخاتمة

نتائج وتوصيات

اكتسب الحوار قيمة عظيمة في الدين الإسلامي وحضارته إلى حد يمكن معه وصف الإسلام بأنه دين الحوار، ووصف الحضارة الإسلامية بأنها حضارة الحوار، وقد تربى المسلمون منذ بداية الإسلام على ثقافة الحوار، فقد استخدموا الحوار في فهم دينهم، وفي تكوين تراثهم الإسلامي. واستخدموه في الدعوة الإسلامية القائمة على أساس من الاقتناع العقلي، وحرية التدين والاعتراف بحق الاختلاف الديني والثقافي، واستخدم المسلمون الحوار أيضاً في جهودهم العلمية والمعرفية، فأصبح وسيلة ثابتة من وسائل تحقيق الفهم والتفاهم في مجالات العلوم المختلفة الدينية منها والدنيوية، واستخدموه منهجياً كأحد وسائل جمع المادة العلمية حول موضوعاتهم البحثية، هذا كله بالإضافة إلى أن الحوار كان وسيلة اتصال المسلمين بغيرهم، وأساس العلاقات الدينية بين المسلمين والشعوب الأخرى، وعلامة مهمة من علامات التقاء الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى عبر التاريخ.

وللحوار عند المسلمين مقوماته وأهدافه الرئيسية والثابتة، ومن أهم مقومات الحوار عالمية الإسلام، وعالمية حضارته، والإيمان بوحدة الإله والدين، ووحدة البشرية. وهي ثوابت حددت علاقة المسلمين بغير المسلمين، ووجهت المسلمين نحو الحوار مع غير المسلمين في إطار الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية التي لم تمنع أبداً من التقاء البشر، وتعارفهم وتعايشهم، وتحقيق مصالح حياتهم المشتركة ومنافعهم المتبادلة على أساس من العدالة والمساواة، والاحترام المتبادل.

وفي إطار هذه المقومات الثابتة للحوار، تحددت أهداف الحوار ومقاصده في الإسلام وحضارته، وتدور هذه الأهداف حول تحقيق التعارف الإنساني، وتحقيق الفهم المتبادل بين أهل الأديان والثقافات، ودعم سبل التعايش الإنساني على أرضية الاختلاف الديني والثقافي، وتطوير العلاقات الدينية والثقافية بين الشعوب على أساس من ثقافة الحوار وقيم التسامح، ودعم دور الأديان في تحقيق سلام الشعوب، وتجنب الحروب بينها، ودحض نظريات الصراع والصدام واستبعادها كأساس للعلاقات بين الأديان وبين الحضارات، ومن أهداف الحوار أيضاً دعم الاعتدال الديني، والبعد عن التطرف في كل أشكاله الدينية والثقافية، كما يهدف الحوار إلى السعي نحو التقريب بين الأديان والمذاهب مع المحافظة على استقلالية الأديان والحفاظ على هويتها، هذا بالإضافة إلى دور الحوار في تصحيح صورة الأديان، وإزالة الشبهات ومواطن سوء الفهم، وتصحيح الأخطاء الشائعة والتقليدية عنها، ودور الحوار في تطوير أسلوب الخطاب الديني والثقافي إلى أسلوب إيجابي ينشر قيم التسامح، ويعبر عن قضايا المجتمع المعاصر، ويهدف الحوار أيضاً إلى الكشف عن المشترك الإنساني دينياً وثقافياً وتحقيق التعايش المشترك، والارتقاء بالحياة الدينية والثقافية للإنسان من خلال الاستفادة من التجارب الدينية والثقافية للشعوب الأخرى.

ولكي ينجح الحوار الديني والثقافي لا بد أن تتوافر له شروط أساسية ومجموعة من الآداب والضوابط، ومن أهم هذه الشروط استقلالية الأديان والثقافات، وتأمين عدم خضوعها لتبعية أو هيمنة دين من الأديان، أو ثقافة من الثقافات، ويرتبط بالاستقلالية أن يقوم الحوار على أساس من الشورى والديمقراطية تتساوي معها الأديان والثقافات، وتملك جميعا حق التعبير عن نفسها في ظل السيادة الكاملة وعن طريق ممثليها الشرعيين، وبعيداً عن كل أشكال الضغوط الدينية أو السياسية، ومن

شروط نجاح الحوار استمراريته وذلك لاختلاف طبيعة الحوارات الدينية والثقافية عن المفاوضات السياسية أو الاقتصادية التي قد تنتهي بانتهاء المشكلة التي يتم التفاوض عليها، أما قضايا الدين والثقافة فهي قضايا مستمرة في حياة البشر، والحوار حولها يجب ألا يتوقف، كما أن من شروط الحوار الديني أو الثقافي أن تتحقق منه الفائدة المرجوة على المستوى الديني والثقافي فيرتقي مستوى التفكير، وتتطور المفاهيم الروحية السامية، ويحدث التغيير المرجو في العلاقات الدينية والثقافية بين الشعوب.

وبالإضافة إلى شروط الحوار يجب أن تتوافر مجموعة من الآداب والضوابط التي تضمن للحوار نجاحه واستمراره، وقد أعطى القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة منظومة لآداب الحوار وضوابطه تتمثل في الحوار الحسن، والقول الطيب، واللين في التعامل، والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، والتزام الأدب والبعد عن السباب، وضرورة التواضع، والالتزام بالعدالة والمساواة والمشورة، وقد أعطى النبي، عليه الصلاة والسلام، من خلال حواراته المتعددة النموذج والقدوة للمحاور المسلم من حيث الالتزام بآداب الحوار مثل الصدق، والصبر، والحلم والأناة، والرحمة والرفق والمرونة، والتسامح، والدماثة واللطف، والكياسة والفطنة، وحسن الخلق على وجه العموم، بالإضافة إلى سلاسة القول، والفصاحة البيان، والكلام الفصل المفهوم.

وقد أفرزت الحوارات الحديثة بين الأديان والثقافات مجموعة ضوابط أو بروتوكولات تنظيمية تمخضت عن بعض الآداب الجديدة التي لا تخرج عن دائرة آداب الحوار لأنها ضوابط سلوكية للمتحاورين تقضي بالالتزام بنظام الحوار كما يحدده المسئولون عنه، وعدم الخروج على نظام الجلسات وطرق إدارتها، وعدم مقاطعة المتحاورين، والالتزام بالأوقات المحددة لكل محاور، وللأسئلة والمداخلات إلى غير ذلك من هذه الأمور المرتبطة بالتنظيم، وقد اكتسبت بعض الحوارات المعاصرة

روح الأخلاقيات الدبلوماسية والبروتوكولات الرسمية، وذلك لغلبة الطابع السياسي والدبلوماسي على حوار الأديان وحوارات الحضارات في الوقت الحالي، وارتباطهـــا رسمياً بوزارات الخارجية أو بالمنظمات الدولية العالمية.

ويعاني الحوار في الوقت الحالي من عدة إشكاليات تمثل عوائق أمام اتساع دائرة الحوار وانتشار ثقافة الحوار، ومن أهم هذه الإشكاليات مسألة التوظيف الـــسياسي لحوارات الأديان وحوارات الحضارات والثقافات. فالكثير من الحوارات الدائرة الآن هي بمثابة ردود أفعال تجاه نظرية صدام الحضارات والاتجاه القائل بصراع الأديان في الدوائر الغربية، فقد تحول حوار الحضارات إلى هدف للسياسة الغربية، وتم تـــسييس الحضارات والأديان وتكوين نظريات صراعية لا تخدم الأديان والحضارات بل تخدم واضعيها من صناع القرار السياسي في الغرب، وما يحدث لا يعد عائقاً فقط للحوار، ولكن يمثل انتكاسة حضارية كبرى. وهناك أيضاً إشكالية التمثيل الديني والثقافي في الحوار نظراً لاختلاف المذاهب داخل الديانة الواحدة، واختلاف الأيديولوجيات غير الدينية داخل البلد الواحد، وهذا الوضع يثير تساؤلات حول مـــشروعية الحـــوار، وكيفية صنع القرار الديني أو الثقافي داخل الحوار.

ومن العوائق الأخرى أمام الحوار مشكلة غياب المحاور المسلم المؤهل والمـــدرب على الحوار، وكيفية صنع القرار الديني أو الثقافي داخل الحوار، ومن العوائق الأخرى إشكالية غلبة التمثيل الرسمي والطابع المؤسسي للحوار، وإنتاج خطـــاب حـــواري جامد، وتقليدي، واحتفالي مجامل إلى حد بعيد، ويردد عبارات تقليدية جوفاء خالية من الدلالات الحقيقية. وربما نتيجة لهذا لا نجد تأثيراً للحوارات الدائرة خارج إطـــار حدودها الرسمية حيث يعاني الحوار من غياب التأثير الاجتماعي العام، وعدم ترجمـــة الحوار إلى أنشطة وأفعال لها تأثيرها على المجتمعات، كما أن السرية الغالبـــة علـــى

اجتماعات الحوارات تمثل عائقاً آخر أمام انتشار ثقافة الحوار وامتداد مفعولها إلى الشعوب والجماهير العريضة، ولا تزال هناك مشكلة لغة الحوار، فالإنجليزية هي تقريباً اللغة الرسمية للحوارات العالمية، وهي تمثل مشكلة في الوقت الحالي بالنسبة إلى الشعوب غير المتحدثة بالإنجليزية، ويتطلب الأمر ضرورة تأهيل محاورين متقنين للغات الأوربية، وبخاصة الإنجليزية.

ويضاف إلى هذا قضية موضوع الحوار حيث تم الاتفاق ودياً أو رسمياً على عدم مناقشة الموضوعات الخلافية، مثل مسائل العقيدة، والاكتفاء بمناقشة المتفق عليه، والمتفق عليه لا يحتاج في الحقيقة إلى حوار، وفي التركيز عليه ضياع لهدف الحوار وهو تحقيق الفهم والتفاهم. وتبقى إشكاليتان الأولى تخص مسألة تمويل حوارات الأديان والحضارات، وارتباط هذا التمويل بجهات كنسية أو رسمية غربية مثل وزارات الخارجية وغيرها، وهذا يثير قضية استقلالية الحوار وعدم التبعية، وديمقراطية الحوار، وتوجيه الحوارات لتحقيق مصالح الممولين، وهي مسألة من أخطر إشكاليات الحوار، وفي النهاية هناك مشكلة إدارة الحوار، وضرورة التأهيل الإسلامي في مسائل الإدارة حتى لا تكون السيطرة الإدارية في الحوار للجهات الكنسية والغربية.

وقد تبلورت آداب الحوار في الإسلام في إطار مقومات الحوار ومشروعيته في الكتاب والسنة حيث نصت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على قيمة الحوار وأهميته في حياة المسلمين، وضرورته للدعوة والتعارف الإنساني، ولتحقيق التعايش المشترك، والتعاون بين البشر، وتحقيق السلام والأمن بين الشعوب، وقد اكتسب الحوار مشروعية أيضاً من طبيعة الإسلام وحضارته من حيث العالمية والعقلانية والوسطية والخيرية، ومن حيث تحقيق سبل التعارف والالتقاء والاتصال، وعادة ما ينقسم الحوار إلى نوعين من الحوار أحدهما موجه إلى (الذات) وإلى الداخل

الإسلامي، والآخر موجه إلى الخارج، أو إلى ما يسمى في الأدبيات الغربية (الآخر) مع التأكيد على عدم صحة هذا المصطلح إسلاميا حيث لا يوجد (آخر) في الإسلام في ظل عالمية الإسلام ووحدة الدين ووحدة البشرية، والحوار الموجه إلى الذات هدفه بناء (الذات) والتأكيد على وحدهما، والقضاء على أسباب الفرقة بين المسلمين، وتحقيق التعارف الإسلامي، ودعم التفاهم الداخلي، وفي هذا المجال يجب تطوير عدة حوارات داخلية منها حوار سني شيعي يقوم على مقومات الأخوة الإسلامية والإنسانية، والمصالح المشتركة، وهدف تحقيق وحدة المسلمين. ولهذا الحوار أسسه وأهمها الاعتراف بحق الاختلاف المذهبي، والاحترام والود المتبادل، وغاية التقريب بين المنتمين إلى الإسلام.

أما الحوار الخارجي فهو مع غير المسلم الموجود داخل البلاد الإسلامية في شكل أقليات دينية، أو خارج المجتمع المسلم في بلاد لا تنتمي إلى الإسلام، وهذا الحوار الخارجي أصبح ضرورياً في العصر الحالي من أجل تصحيح صورة المسلمين التي شوهتها وسائل الإعلام الغربية، وصحة التعريف بالإسلام وتقديمه إلى غير المسلمين، ومن أجل منع وقوع الاضطهاد بالأقليات المسلمة في العالم، ومن أجل التعارف ودعم العلاقات الدينية والثقافية مع الشعوب، وبناء المشترك الإنساني مع غير المسلم على أسس الأخوة الإنسانية، ووحدة الجنس البشري، وعلى أساس من الحوار الإنساني، والاستخلاف في عمارة الأرض، والتكريم الإلهي لبني آدم، وأيضاً على أسس التعارف والتعاون الإنساني، وأساس المواطنة الإنسانية، والانتماء إلى الوطن الواحد والعالم الواحد.

وتتعدد مجالات المشترك الإنساني لكي تغطي مجالات الأديان، والثقافات، والحضارات، وكل الأنشطة الإنسانية، ومجال القيم الإنسانية العامة، والقضايا

الإنسانية المشتركة مثل قضايا الفقر، والجهل، والمرض، والعنصرية والاستعباد، وهناك أيضاً قضايا التنمية البشرية، وعمارة الأرض، ومجال حقوق الإنسان، والأقليات والمرأة، والطفل، والجدير بالذكر أن نظريات الصدام والصراع ونهاية التاريخ وغيرها لا تعترف بالمشترك الإنساني، ولا ترضى بالتعايش، وتوظف الثقافات والحضارات والأديان لإثارة الصراع بين الشعوب، ووأد كل وسائل الالتقاء وبناء المشترك.

وقد أدت نظريات الصراع والصدام بعد سيطرتها على علاقات الغرب بالعالم الإسلامي إلى خلق أزمة إسلامية أجبرت المسلمين على الدخول في مواجهة مع الغرب، وحدوث أزمة حوار مع الغرب غيرت جذرياً من وضع الحوار، وأثرت في جهود الحوار في النصف الثاني من القرن العشرين، ووضعت العالم الإسلامي والغرب أمام مرحلة جديدة من العلاقات تسودها مشاعر عدم الثقة والكراهية، وربما عدم وجود رغبة حقيقية من جانب الغرب في الحوار مع العالم الإسلامي، وسيطرت رغبات الهيمنة، وفرض السيادة ولغة الحرب على علاقات السلم والحوار، وأصبح هناك عائق خطير أمام الحوار مع الغرب حيث استحالة الحوار في ظل سيطرة نظريات الصدام، وقيام الإعلام الغربي بتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

لقد تعثر الحوار مع الغرب لأسباب كثيرة من بينها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولأسباب مرتبطة بقضية الإرهاب، وبمحالات فرض الإصلاح السياسي على العالم الإسلامي من خارجه، هذا بالإضافة إلى أسباب سيكولوجية حيث أصبح الغرب غير مستعد نفسياً للحوار مع المسلمين مع وجود عدة مظاهر لهذه الحالة النفسية للغرب من بينها ردود الفعل العنيفة في التعامل مع القضايا الإسلامية، وإظهار القوة، والرغبة في الانتقام، واللجوء إلى الانتهاكات الإنسانية وعمليات التعذيب غير المبررة للأسرى والمعتقلين، والاستغراق غير العقلاني في تشويه صورة الدين

الإسلامي وصورة المسلمين، والإساءة إلى المقدسات الإسلامية، والإساءة إلى الرسول، عليه الصلاة والسلام، وتدنيس المصاحف، وهناك أسباب دينية لتعثر الحوار مع الغرب منها المتطلبات الدينية للغرب مثل إلغاء التعليم الديني، والسماح بنشر العلمانية، والسماح للتنصير في بلاد المسلمين، وإغلاق الهيئات الخيرية، وإبطال الجهاد إلى آخر القائمة من المطالب والتي تمثل تدخلاً في الشأن الديني للمسلمين يعطل الحوار بل ويمنعه.

أما المواجهة الحالية مع الغرب فسببها الرئيسي عدوانية نظرية صدام الحضارات وصراع الأديان، وانتشار الأصولية الدينية الغربية وتيارات اليمين المحافظ، وسيطرة الصهيونية المسيحية فضلاً عن دور الصهيونية اليهودية، وتتخذ المواجهة الآن شكلين: الأول يتمثل في ضرورة الدفاع عن الإسلام ضد الحملة الغربية المعاصرة، والثاني ضرورة الدفاع عن بلاد المسلمين ضد الاحتلال، وسياسات الهيمنة، واستراتيجيات التفكيك، وضرورة الدفاع عن الأقليات المسلمة في الغرب، والواقعة الآن تحت كل أشكال الاضطهاد والتهديد، والانتهاكات لحقوقها، هذا فضلاً عن ضرورة مقاومة العولمة الثقافية كأداة للهيمنة، وبخاصة في تهديدها للخصوصيات الثقافية والهويات الحضارية.

وأصبح من الضروري في الوقت الحالي إعادة بناء ثقافة الحوار وبخاصة بعد التدهور الذي أصابها في الغرب وفي الشرق المسلم، ولا بد من تطوير آليات سياسية، وثقافية، وتربوية وتعليمية، ووسائل دينية وإعلامية من أجل بناء ثقافة الحوار، والمدخل السياسي لبناء ثقافة الحوار مهم لأن معظم الأسباب التي أدت إلى توقف الحوار كانت أسباباً سياسية أهمها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما تطور عنها من صورة سلبية للعلاقات الغربية الإسلامية، والمجهود السياسي المطلوب يجب أن يتم على المستوى الداخلي في العالم الإسلامي من خلال تنمية الديمقراطية، وتحقيق

الإصلاح السياسي، وبناء إنسان مسلم حر عارف لحقوقه وواجباته، وأيضاً تنمية الوعي السياسي بحق الاختلاف والتعبير عن الرأي، وتكوين رؤية سياسية صحيحة تجاه غير المسلمين في الداخل والخارج، وعلى المستوى الخارجي يتطلب الأمر إشاعة الإيمان الحقيقي بالتنوع والتعددية السياسية في المجال الدولي، وتثبيت مبدأ العدل في العلاقات الدولية، كما يتطلب بناء ثقافة الحوار إجراء التعديلات الضرورية في البرامج التعليمية والتربوية لتتجه نحو دعم الحوار ومبادئ التسامح والتعايش، واحترام الأديان والثقافات الأخرى والتعريف بها تعريفا صحيحا، وفي المجال الثقافي يجب التعريف بثقافة الحوار، وبالثقافات الأخرى، وتوسيع دائرة التبادل الثقافي، وضرورة تغيير الخطاب الثقافي بما يخدم التعددية الثقافية، وينمي الوعي بالحقوق والواجبات، وتنمية الوعي الثقافي بغير المسلم وبحقوقه، وعلى المستوى الاجتماعي يحتاج بناء ثقافة الحوار إلى بناء العلاقات الاجتماعية على أساس من احترام حقوق الآخرين مسلمين وغير مسلمين، وضرورة الانفتاح الاجتماعي الإيجابي الذي يحترم الخصوصيات ويحرص على الهويات، ويقدر حقوق الجميع، وفي المجال الديني يحتاج بناء ثقافة الحوار إلى تطوير الخطاب الديني، وتخليصه مما يؤذي من نختلف معهم دينياً وثقافياً، وتحويل هذا الخطاب إلى دعوة للتسامح ونبذ الكراهية والتعصب، والتطرف، وتشجيع الحوار الديني ودعم سبل التعايش بين البشر، وبين أبناء المجتمع الواحد.

وعلى الرغم مما يواجهه الحوار من أزمات وإشكاليات وعوائق، فقد تحققت من خلاله عدة نتائج جيدة وثمرات مفيدة تشجع على دعم الحوار في المستقبل كوسيلة للتقريب بين الشعوب، وتحقيق السلام والأمن لها، وتحقيق التعارف والتعايش فيما بينها، وللحوار ثمراته المعروفة في مجال الدعوة الإسلامية حيث اعتمد عليه بصفة دائمة كوسيلة تعريف بالإسلام، وأداة توصيل لعقائده ومضامينه بعيداً عن الإكراه

الديني، والحقيقة أنه بدون الحوار لا يمكن تصور نجاح الدعوة، فقد حتمت عقلانية الإسلام من ناحية، والإيمان بحق الاختلاف الديني من ناحية أخرى أن يصبح الحوار وسيلة المسلمين الأولى في الدعوة، ومن ثمرات الحوار النجاح في تحسين العلاقات الإسلامية المسيحية، وقد تُوِّج هذا النجاح بإصدار إعلان الفاتيكان بتطوير العلاقات المسيحية الإسلامية في بداية الستينيات من القرن العشرين، وتم على أثر ذلك تكوين لجنة الحوار المسيحي الإسلامي، واللجان الأخرى الفرعية التي انبثقت عنها، ومن فوائد هذا الحوار الاعتراف باستقلالية الإسلام من ناحية وبشراكته فيما سماه الفاتيكان «التراث الإبراهيمي» وقد توسع الحوار بعد ذلك ليضم كل المذاهب المسيحية التي سعت للحوار مع المسلمين من خلال لجان معتمدة للحوار. وقد رسخ الحوار فكرة التقاء الثقافات والحضارات وعدم صراعها، وكان له دور مثمر في مواجهة كل نظريات ودعوات الصدام والصراع، وأفاد الحوار داخلياً في التقريب بين السنة والشيعة، وإن كان هذا المجال لا يزال يحتاج إلى جهود إيجابية ومكثفة نحو تحقيق هذا التقريب، وقد أثمر الحوار أيضاً عن نجاح الجهود الساعية إلى وضع مواثيق عالمية للحوار بين الحضارات وحوار الأديان، وأصدرت بعض المنظمات الدولية والعالمية بيانات ومواثيق في هذا الخصوص.

وفي المجال التربوي، بدأت تدرك بعض المؤسسات أهمية الإعداد التربوي المنهجي للحوارات الخاصة بالأديان والحضارات، وأهمية تأهيل المحاور المسلم وتدريبه في مجال الحوار من خلال البرامج الخاصة. ويحتاج هذا المجال التربوي إلى تكثيف الجهود الخاصة بتطوير المناهج في المراحل التعليمية المختلفة، واعتماد الحوار كوسيلة تعليم تربوية ناجحة، وتدريب المعلمين والطلاب على ثقافة الحوار وقبول (الآخر) المختلف، وتوجيه المناهج التعليمية المناسبة لدعم سبل التعايش والتعارف، والتعريف بالثقافات

والحضارات والأديان في أسلوب تربوي جيد وإيجابي، وتخليص المناهج من الأفكار التي تحض على عدم التسامح، والكراهية، والعنف، والحض على الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى، وتشجيع دراسة اللغات المختلفة والآداب الأجنبية.

ومن الثمرات العظيمة للحوار انجذاب عدد من قادة العالم ومفكريه الكبار إلى ثقافة الحوار، ومشاركتهم في وضع أهداف ومنطلقات للحوار، ومحاولة بعضهم وضع فلسفة للحوار، وتنظيمه داخل سياق فكري نافع للبشرية كلها، يركز على المشترك الإنساني، ويدفع إلى التعايش بين البشر، وخلق أرضية ثقافية عالمية مشتركة، ومن أهم هذه الأفكار العالمية النظر إلى الإسلام كجزء من ماضي الغرب وحاضره، كما عبر عن ذلك الأمير «تشارلز»، ومشروع الأخلاق العالمية عند عالم اللاهوت الكاثوليكي «هانز كينج»، ونواة الحضارة العالمية عند «رومان هيرتسوج» الرئيس الألماني الأسبق، والمنظومة الأخلاقية العالمية عند كوفي أنان الأمين العام الأمم المتحدة، وضرورة تطبيع العلاقات المسيحية الإسلامية، وهي دعوة المستشرقة الألمانية «آن ماري شيميل»، وفكرة حصر الصراع بين الشعوب داخل الإطار التاريخي للصراع للمستشرق الألماني «فريتس شتيبات»، وفكرة الحوار بديلاً للصدام وأسطورة التهديد الإسلامي للغرب عند المستشرق الأمريكي «جون اسبوزيتو».

وفي السنوات الأخيرة التالية لأحداث سبتمبر ٢٠٠١م تعرض الحوار على المستوى الديني والثقافي لأزمة شديدة أثرت تأثيراً سلبياً على كل جهود الحوار التي بذلت على مدى نصف قرن، فانقطع الحوار بين المسلمين والغرب، وازدادت حدة العداوة، وانتشر في الغرب ما يسمى بالخوف من الإسلام «Islamophobia»، وازدادت صورة الإسلام والمسلمين تشويها في وسائل الإعلام الغربية، ونتيجة لهذا الحدث السياسي الخطير، توقفت سبل الاتصال الديني، والثقافي، والحضاري بين الغرب والعالم

الإسلامي، وأصبح هناك ما يشبه القطيعة التامة بين الطرفين في ظل غياب الحوار، ويحتاج الأمر إلى جهود هائلة من كل الأطراف المعنية لاستعادة الحوار كوسيلة اتصال ديني وثقافي، وإعادة العلاقات الإسلامية الغربية إلى سابق وضعها الإيجابي في ظل الالتقاء الثقافي والحضاري، ومن خلال الحوارات الدينية والثقافية الجادة، وعملاً على دعم السلام العالمي، واستقراره لمصلحة البشرية جمعاء، وفي هذا الشأن يقدم الكتاب بعض التوصيات التي تساعد على تحقيق هذا الأمل المنشود عالمياً.

وكعلاج للمشاكل التي تعترض سبيل الحوار، وكمحاولة لتحقيق إسهام إسلامي في الارتقاء بثقافة الحوار وإنجاز مشاركة إسلامية حقيقية في حوارات الأديان، وحوارات الثقافات والحضارات، ومن أهم هذه التوصيات ما يلي:

أولاً: إنشاء مراكز للحوار في العالم الإسلامي للبحث العلمي في مجال حوار الأديان، وحوار الحضارات، وتساهم في تأهيل محاورين مسلمين تأهيلاً علمياً ودينياً حتى تصبح المشاركة الإسلامية مشاركة تخصصية، ولا يغلب عليها الطابع الرسمي من خلال التمثيل السياسي، والديني غير المتخصص.

ثانياً: التوسع في الدراسة العلمية للأديان من خلال تأسيس أقسام لمقارنة الأديان في الجامعات الإسلامية، وجعل حوار الأديان تخصصاً مستقلاً فيها تمنح فيه درجات الماجستير والدكتوراه، ويدرب فيه الطلاب تدريباً علمياً على الحوار الديني.

ثالثاً: استحداث وحدات للحوار الديني داخل المؤسسات الدينية المهمة في البلاد الإسلامية لإدارة شؤون الحوار مع الأديان الأخرى، ولتأهيل الأشخاص القادرين على المشاركة في الحوار على المستويات الإقليمية والدولية.

رابعاً: تقوية الوحدات ذات الصلة بالعلاقات الدينية داخل المؤسسات الدينية الكبرى في العالم الإسلامي، وتأهيل العاملين في هذه الوحدات في مجال الحوار الديني.

خامساً: الحرص على الحضور الإسلامي القوي في جميع المحافل، والمؤتمرات، والمنتديات، والندوات، ذات الصلة بحوار الأديان وحوار الحضارات على المستويات الإقليمية، والدولية والعالمية. وإعطاء الفرصة لشباب الباحثين والمتخصصين للمشاركة في بعض هذه الأنشطة من أجل الحصول على التدريب، والتأهيل، والخبرة في مجال الحوار الديني.

سادساً: تأهيل الدعاة المسلمين تأهيلاً عصرياً يتناسب مع العالم المعاصر، ومع التغيرات الثقافية على الساحة العالمية، ومع التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي، وفي ضوء الانفتاح على العالم، ومعرفة قضاياه، وفي ظل ثورة المعلومات الحالية، وضرورة تجديد أساليب الدعوة في ضوء هذه المتغيرات، وتحديث الخطاب الدعوى الداخلي والخارجي.

سابعاً: تطوير الخطاب الديني العام ومراجعته بما يتناسب مع تطور الأحداث المحلية والإقليمية، والدولية والعالمية على المستويات الثقافية، والدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وكذلك مراجعة الخطاب الديني لدى الأديان الأخرى، وتنقية هذا الخطاب من كل عناصر التعصب والتطرف وعدم التسامح، وتوجيه هذا الخطاب نحو بناء ثقافة حوار سليمة وإيجابية وبخاصة تجاه (الآخر).

ثامناً: تأسيس مجالس للتعايش الديني والثقافي، وبخاصة في البلدان التي تتعدد فيها الأديان والفرق والمذاهب للنظر في القضايا الدينية المشتركة، وعلاج الأزمات الدينية الطارئة، والوقاية من حدوث هذه الأزمات بما يضمن الاستقرار الديني، والتعايش المشترك.

تاسعاً: الاهتمام بالتثقيف الديني في الحوار وقيمه، والعمل على تخليص الثقافة الشعبية من كل أشكال الجهل والتخلف، وبخاصة في مجال علاقة المسلم بغير المسلم.

عاشراً: تطوير مناهج التعليم في المراحل التعليمية المختلفة، وإرساء الحوار كوسيلة تربوية تعليمية، وتنمية ثقافة الحوار لدى التلاميذ والطلاب، واستحداث بعض المناهج الجديدة التي تثرى معرفة الطالب بالأديان، والثقافات، والحضارات على أسس علمية موضوعية تساعد على نشر التسامح الديني والثقافي، ومراجعة المناهج التعليمية وتخليصها من كل ما يضر بالتسامح دينياً وثقافياً.

حادي عشر: التناول الإعلامي المستمر لقضايا الحوار الديني والحضاري، ومن خلال برامج إعلامية إذاعية، وتليفزيونية راقية المستوى، وتهدف إلى بث المعرفة بالأديان والحضارات، والانفتاح على الثقافات العالمية، ونشر قيم التسامح بين أهل الأديان والحضارات، والاهتمام بالصحافة الدينية وتوجيهها لخدمة أهداف الحوار وثقافته،والعناية بالإعلام الديني الموجه لخدمة نشر قيم التسامح الديني والثقافي، والدعوة إلى تحقيق التعايش، وحسن استغلال شبكة الانترنت والقنوات الفضائية في نشر ثقافة الحوار.

ثاني عشر: تشجيع الأقليات المسلمة في الغرب خصوصاً، وفي بلدان العالم الأخرى، على الحوار مع أهل البلاد التي يعيشون فيها دينياً وثقافياً، وأن يكونوا حلقة وصل جيدة بينها وبين بلدان العالم الإسلامي، وهم بطبيعة معيشتهم في الغرب أكثر تأهلاً للحوار بسبب معرفتهم للأوضاع الدينية والثقافية الغربية، ومعرفتهم بالقضايا الملحة المحتاجة إلى الحوار، وإتقانهم للغات الأوربية، ودرايتهم بالقوانين والنظم، وبالحقوق والواجبات، وكيفية الوصول إلى المؤسسات والقيادات المسئولة عن الحوار والمهتمة به، وضرورة دعم هذه الأقليات بالمساعدات المادية والمعنوية التي تمكنهم من تحقيق الحوار وأهدافه مع الغرب، وتصحيح الصورة النمطية العدائية تجاه الإسلام والمسلمين.

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم.

- إبراهيم أعراب، التسامح وإشكالية المرجعية في الخطاب الغربي، مجلة المستقبل العربي، العدد:٢٢٤، لندن: مركز دراسات الوحدة العربية ، أكتوبر ١٩٩٧م.

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، دار الفكر: ١٤٠٠هـ.

- أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ.

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء ٢٦، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ.

- أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد: ١٦ ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ١٣٨٥هـ.

- أحمد القديدي، الإسلام وصراع الحضارات، كتاب الأمة، العدد ٤٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- أحمد الموصللي، التجديد والتحديات المعاصرة في العالم الإسلامي، مجلة حوار العرب، العدد: ٢، السنة الأولى، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، ٢٠٠٥م.

- أحمد شهاب، إعلام ما بعد العولمة، مجلة الكلمة، العدد ٣٩، السنة ١٠، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ربيع ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- أحمد عمر هاشم، الاعتدال في الإسلام، القاهرة: الشركة المتحدة للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
- إدريس هاني، جدل الضرورة والحرية: مشكلة الحداثة في الثقافة العربية الإسلامية ومسألة تعدد الثقافات مقاربة في المنهج، مجلة الكلمة، العدد ٢٤، السنة السادسة، بيروت، صيف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، العدد ١٠، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شعبان ١٤٠٥هـ.
- أماني مسعود، تجديد الخطاب الديني الإسلامي في الكتابات الغربية، ندوة: تجديد الخطاب الديني بين التدخل الغربي والضرورة الإصلاحية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م، عرض بمجلة منار الإسلام، العدد: ٣٧١، ديسمبر ٢٠٠٥م.
- أمير طاهري، الأحزاب الأوربية المتطرفة تزكي الشعور بالإسلاموفوبيا في الغرب، جريدة الشرق الأوسط، الاثنين ٢٧/٥/٢٠٠٢م.
- آن ماري شيمل، الإسلام دين الإنسانية، ترجمة صلاح محجوب إدريس، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
- انجمار كارلسون، عداء الشرق والغرب: الخوف المتبادل، في كتاب: الإسلام وأوربا: تعايش أم مجابهة، بدون تاريخ.
- أنطوني، سوليفان، الغرب والعالم الإسلامي: البحث عن بداية جديدة، ترجمة مروان حمدان، نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد ٢٣، عمان، صيف ٢٠٠٢م.
- بركات محمد مراد، القرآن والسنة النبوية الشريفة أساساً للجدل والمناظرة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٨٣، السنة ٤٢، شوال ١٤٢٦هـ/ نوفمبر ٢٠٠٥م.

- بكر مصباح تنيرة، تطور إستراتيجية الحوار في الحضارة الإسلامية مع الحضارات قديماً وحديثاً، ندوة: الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- بيان الدوحة الصادر عن مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية، ٢٠-٢٢ يناير ٢٠٠٧م.
- جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الإمامين الجليلين، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- جمال عوض شقرة، التهديد الإسلامي للغرب المعاصر بين صاموئيل هنتنجتون وجون اسبوزيتو، في كتاب: التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، مركز الدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، القاهرة ٢٠٠٤م.
- جودت القزويني، اتجاهات التقريب بين المذاهب الإسلامية، مجلة المنهاج، العدد ٢٨، بيروت، شتاء ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م.
- جون اسبوزيتو، التهديد الإسلامي... حقيقة أم أسطورة، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣م.
- جيبسون إرب ونهي بكر، صدام أم حوار بين العرب والغرب، الواقع وتفسيره، نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد:٣٢، عمان، شتاء ٢٠٠٤م.
- حسن عبد الكريم الوراكلي، ثقافة الحوار الحضاري عند المسلمين، تأملات في سؤال المفهوم والإجراء، أعمال ندوة: الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- حسنين محمد مخلوف، فكرة التقريب، مجلة رسالة الإسلام، ١٩٤٨م.

- خضير جعفر، نحن وفوكوياما ونهاية التاريخ، مجلة المجتمع الثقافي، العدد: ١٣١٣، بيروت، ربيع الآخر ١٤١٩/١٩٩٨م
- رسول محمد رسول، من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات: قراءة نقدية في مقولة هنتنغتون، مجلة الكلمة، العدد: ٢٢٤، السنة السادسة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، صيف ١٩٩٩م/١٤٢٠هـ.
- رضوان السيد: الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الانثرويولوجيا، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، شتاء ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- زرفاوي عمر، صراع الحضارات... نظرية أم أيديولوجيا، مجلة الكلمة، العدد: ٣٩، السنة ١٠، منتهى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- زكي الميلاد، انبعاث الحضارات بين خيار التصادم والتعايش، مجلة الكلمة، العدد: ١٢، السنة الثالثة، صيف ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- سعيد اللاوندي، الإسلاموفوبيا.. لماذا يخاف الغرب من الإسلام، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- السيد كمال الحيدري، المدارس الإسلامية بين الاختلاف وضروريات المنهجية المشتركة، مجلة الكلمة، ١٩٩٦م.
- شمس الدين الكيلاني، شغف الرحالة العرب بالتعرف على أوربا (التعارف سبيلاً لحوار الحضارات)، مجلة الاجتهاد، العددان: ٥٢-٥٣، السنة ١٣، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة، ١٩٩٨م.

- طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، العدد:٢، ١٩٨٧م.
- عاصم الدسوقي، ١١سبتمبر ٢٠٠١ ووهم الصراع الديني، في كتاب التقاء الحضارات في عالم متغير: حوار أم صراع، مركز الدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٤م
- عبد الرحمن الحاج، بنية الخطاب الإسلامي الجديد، مجلة حوار العرب العدد: ٦، السنة الأولى، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، يناير ٢٠٠٥م.
- عبد الرحمن السالمي، ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك**﴾، الانفتاح والتنوع، مجلة التسامح العدد: ١٢، السنة ٣، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- عبد الرحمن بدوي، دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقصين من قدره، ترجمة كمال جاد الله، القاهرة: الدار العالمية للكتب والنشر، ١٩٩٩م.
- عبد الستار الهيتي، الحوار: الذات والآخر، كتاب الأمة، العدد: ٩٩، السنة ٢٤، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، ١٤٢٥هـ.
- عبد العزيز الخياط، أسس للحوار الإسلامي- الإسلامي، مجلة الكلمة، ١٩٩٦م.
- عبد الله السيد ولد أباه، الخطاب الغربي حول الإسلام بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، مجلة التسامح، السنة الثانية، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- عبد الله المعتوق، أعمال ندوة: الوسطية منهج حياة، عرض علي محمد العجلة، مجلة منار الإسلام، العدد: ٣٦٦، السنة ٣١، جمادي الآخرة ١٤٢٦هـ/يوليو ٢٠٠٥.

- عبد الله علي العليان، الحوار وثمراته الإيجابية في الرؤية الإسلامية، مجلة التسامح، العدد: ٦، وزارة الشئون الدينية والأوقاف، سلطنة عمان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- عبد المعطى محمد بيومي، دور الأزهر في حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية، في كتاب الإمامان البروجردي وشلتوت رائدا التقريب، طهران، ٢٠٠٤م.
- عبد الهادي بوطالب، عالمية الإسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالآخر، مجلة الاجتهاد، العددان: ٥٢-٥٣، السنة الثالثة عشرة، بيروت: دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- عدنان رضا النحوي، قاعدة الأخوة في الحوار الإسلامي-الإسلامي، مجلة الكلمة، ١٩٩٦م.
- عز الدين إبراهيم، رسالة إلى المؤتمر الدولي حول التسامح الديني والتقريب بين المذاهب، ٢٦-٢٧ مارس ٢٠٠٧م، مركز الشيخ زايد الإسلامي، كراتشي.
- علي أحمدي، الشيخ محمود شلتوت، تعريب عامر شوهاني، طهران ٢٠٠٧م.
- علي محمد العجلة، تقرير عن ندوة: الوسطية منهج حياة، مجلة منار الإسلام، العدد ٣٦٦، السنة ٣١، جمادي الآخرة ١٤٢٦هـ/يوليو ٢٠٠٥م.
- عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الحوار الذات والآخر، للدكتور عبد الستار الهيتي، كتاب الأمة، العدد: ٩٩، السنة ٢٤، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، ١٤٢٥هـ.
- عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الإسلام وصراع الحضارات، تأليف أحمد القديدي، كتاب الأمة، العدد: ٤٤، الدوحة، ١٤١٥هـ.
- فريتس شتيبات، المنظومة الإبراهيمية للحوار في كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ٢٠٠٠م.

- فريتس شتيبات، ملاحظات عن دور البحث العلمي في حوار الأديان، في كتابه: الإسلام شريكاً، ترجمة عبدالغفار مكاوي، عالم المعرفة، العدد: ٣٠٢، الكويت، ٢٠٠٤م.
- فضل الهادي وازين، أصول قرآنية للحوار مع الآخر، أعمال مؤتمر التسامح الديني والتقريب بين المذاهب، ٢٦-٢٧ مارس ٢٠٠٧م، جامعة كراتشي، مركز الشيخ زايد الإسلامي.
- فهمي هويدي، تجربة التقريب بين المذاهب، في كتاب الإمامان البروجردي وشلتوت، طهران، ٢٠٠٤.
- فوزية العشماوي، الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، مجلة الاجتهاد، العددان: ٥٢-٥٣ بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- مجلة الكلمة، متابعات في الاستعداد لعام حوار الحضارات ٢٠٠١م، العدد: ٢٤، بيروت، صيف ١٩٩٩م.
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إنسانية الحضارة الإسلامية، العدد: ١٢٣، سلسلة قضايا إسلامية، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، التفسير الميسر المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.
- محمد أركال، تطوير الحوار بين المسلمين والنصارى وبعض المقترحات اللازمة لذلك، ندوة: الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- محمد السماك، حوار الحضارات في المنتديات العربية، مجلة الاجتهاد العددان:٥٢-٥٢، السنة ١٣، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢.
- محمد السيد محسن، راهنية الآخر وشرعنة رأيه، عرض كتاب عبد الله اليوسف: شرعية الاختلاف، مجلة الكلمة، ١٩٩٦م.
- محمد حسن تبرائيان، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية ودورها في وحدة الأمة، مجلة المنبر، هيئة علماء السودان، العدد: الأول ،مارس ٢٠٠٧م.
- محمد حسون، من علل المحاورة، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٤٨٢، شواء ١٤٢٦هـ.
- محمد خليفة حسن، موقف المذاهب المسيحية من الصهيونية، مركز زايد للتوثيق والمتابعة، الإمارات، ٢٠٠٤م.
- محمد خليفة حسن، المسلمون والحوار الحضاري مع (الآخر): نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات، العدد:٢، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات، العدد: ٣، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- محمد خير فرج، تحليل مقال صورة الآخر: العربي ناظراً أو منظوراً إليه، ترجمة الطاهر لبيب، مجلة الاجتهاد، العدد: ٤٩، السنة ١٢، بيروت،شتاء ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- محمد سعيد رمضان البوطي، التصور الإسلامي للعلاقة بين الحضارات، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٤٧٩، السنة ٤٢، رجب ١٤٢٦هـ/سبتمبر ٢٠٠٥.

- محمد عبد الرحيم الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، مجلة منبر الحوار، العدد: ٣٩، بيروت، صيف ١٩٩٩م.
- محمد عثمان الخشت، المجمع المدني والتعددية والتسامح في سياق الحضارة الإسلامية، مجلة التسامح، العدد: ١٢، السنة ٣، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- محمد عمارة، تجديد الخطاب الديني، أعمال ندوة تجديد الخطاب الديني بين التدخل الغربي والضرورة الإسلامية، جامعة القاهرة ١٥-١٦يونيو ٢٠٠٥م، عرض الندوة بمجلة منار الإسلام، العدد: ٣٧١ السنة ٣١، ذو القعدة ١٤٢٦هـ/ ديسمبر ٢٠٠٥م.
- محمد فاروق النبهان، التصور الإسلامي لمنهجية حوار الحضارات، ندوة الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، المجلد الثاني، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- محمد كمال الدين إمام، محمود شلتوت مجتهداً ورائداً للتقريب، في كتاب الإمامان البروجردي وشلتوت، طهران ٢٠٠٤م.
- محمود الذاودي، مصاعب الغرب في التأهل للحوار مع العالم الإسلامي، مجلة حوار العرب، السنة الأولى، العدد: ٦، بيروت: مؤسسة الفكر العربي، مايو ٢٠٠٥م.
- مصطفى محسن، التربية ومهام التنمية والتحديث في عالم متغير: تحديات ورهانات في زمن العولمة، مجلة الكلمة، العدد: ٢٩، السنة١٠، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ربيع ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

- نبيل عبد الفتاح، الدين والحوار في الفضاء المتوسطي، في كتابه: سياسات الأديان: الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- نبيل عبد الفتاح، حوارات الأديان أم حوارات الحياة، في كتابه: سياسات الأديان الصراعات وضرورات الإصلاح، مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- نصر فريد واصل، الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ومنهجه في الإصلاح والتجديد والتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ١٤٢٥هـ.
- هارل موللر، تعايش الثقافات والقيم الإنسانية، مشروع مضاد لهنتنجتون، ترجمة أبو هشمش، مجلة التسامح، العدد: ٧، سلطنة عمان، ٢٠٠٤م.
- الشيخ يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها المركز العالمي للوسطية، سلسلة الأمة، الوسط العدد: ١٣، الكويت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- هشام المكي، نظرات في حوار الحضارات... نحو إمكانية حقيقية للحوار، مجلة الكلمة، العدد: ٣٩، السنة ١٠، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت، ربيع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- وجية كوثر اني، فوكوياما، هانتغتون، والإسلام، مجلة الاجتهاد، العدد: ٤٩، السنة١٢، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- وجيهة البحارنة، الوسطية كمفهوم قرآني، نشرة المعهد الملكي للدراسات الدينية، العدد: ٣٥، السنة ٩، عمان، مارس ٢٠٠٥م.
- يوسف القرضاوي: الحوار الإسلامي-المسيحي، مجلة المسلم المعاصرة، العدد: ٨٦، السنة ٢٢، رمضان ١٤١٨هـ/ديسمبر ١٩٩٧م.

- المصادر الأجنبية:

1. A. Azra, "Pluralim, Co-existence and Religions Harmony in Southeast Asia, Int. Symposium, Islamabad other Religions Coexistence and Cooperation, Seoul 2001.
2. Ahmet Davutoglu, Civilization Self-Perception and Pluralistic Co-existence: A Critical Examination of the Image of the "Other" in, Muslims and the West: Encounter and Dialogue, eds. Z.I Ansari, and John Esposito, Islamic Research Institute, Islamabad, and Center for Muslim-Christian Understanding Georgetown University, Washington, D.C, 2001.
3. Attaullah Siddiqui, Christian Muslim Dialogue in the Twentieth Century, London, Macmillan 1997.
4. Charles Kimball, Striving Together: A Way forward in Christian – Muslim Relations Mary Knoll, Orbis Books, 1991.
5. David R. Smock, ed, Interfaith Dialogue and Peacebuilding, United States Institute of Peace, Washington, D.C, 2002.
6. Douglas Pratt, The Challenge of Islam: Encounters in interfaith Dialogue, Ashgate Hampshire and Burlington, 2005.
7. Gh. H. Aasi, Muslim understanding of other religions, a study of Ibn Hazm's Kitab Al-Fisal Fi al-Milal wa-al-Ahwal wa al-Nihal, Int. Inst. Of Islamic Thought, Islamabad, 1999.
8. Hassan Ko Nakata, "The Border of Salvation of Non- Muslims in Islam", in JISMOR (Journal of the Interdisciplinary Study of Monotheistic Religions, Doshisha University, Kyoto, Japan, 2002.
9. Hussin Mutalib, "beyond Pride and Prejudice: Western Perceptions of Islam and the Muslims in, Muslims and the West: Encounter and Dialogue, eds. Z.I Ansari, and John Esposito, Islamic Research Institute, Islamabad, and Center for Muslim-Christian Understanding Georgetown University, Washington, D.C, 2001.
10. Iftikhar Mallik, Crescent between Cross and Star, Muslims and the West after 9/11, Oxford Univ. Press 2006.
11. Ismail Al Faruqi and Lois Lamya Al Faruqi The Cultural Atlas of Islam, Macmillan Pub. Co. New York, 1986.

12. Leonard Swidler, Theoria, - Parxis: How Jews, Christians and Muslims come Together More from theory to Practice, Leuren, Belgium, Peeters 19981
13. M.N. Marwat, The Role of Religion for World Peace and Sustainability in the 21st Century in, World Peace and Religious Harmonization, 2006 World Religious Leaders, Conference, Seoul, 2006.
14. Osman Bakar, "Islam and other Religions in Asia" Int. Symposium, Islam and other Religions in Asia, Co-existence and Co-operation, Seoul, 2006.
15. Steven Kepnes "Islam as our other Islam as our self, Journal of Iqbal Academy special Issue Lahore, 2005.
16. Tom Wallace – Murphy, What Islam did for us, Watkins Pub – London 2006.
17. Yunas Samad and Kasturi, Islam in the European Union, Oxford Univ. Press 2007.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

صدر عن مركز البحوث والدراسات:

إشكالية التنمية

وسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح

في إطار سلسلة «المشروعات الثقافية الجماعية المشتركة» صدر الكتاب السابع بعنوان: «**إشكالية التنمية: وسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح**»، ليشكل رؤية نهضوية متكاملة وإسهاماً جديداً في بناء العقل الناقد، وتنمية الحس النقدي، وتدريب العقل المسلم على القيام بعمليات المراجعة والتقويم واكتشاف الخلل وتحديد أسباب التقصير ومواطن القصور، انطلاقاً من المرجعية الشرعية في الكتاب والسنة؛ وهو عبارة عن مساهمات ورؤى تتجمع لتشكل مجرى يمكن أن يستدعي إضافات جديدة، ويثير التفكير، ويدفع إلى المراجعة والتقويم، حيث إشكالية التنمية تعتبر هاجساً رئيساً، وكابوساً ثقيلاً، وإشكالية كبرى في حياة الناس، كل الناس، سواء في ذلك الدول المتقدمة الصناعية أو الدول النامية والمتخلفة.. ويأتي الكتاب في ظل المناخ التنموي الذي تعمل فيه دولة قطر استكمالاً لوسائل النهوض ووضع خطة وطنية استراتيجية للتنمية المستدامة؛ وفي الوقت الذي يتعرض فيه الاقتصاد العالمي لمنعطفات كبرى نتيجة الخلل الذي يجتاح مؤسساته المالية والمصرفية.

